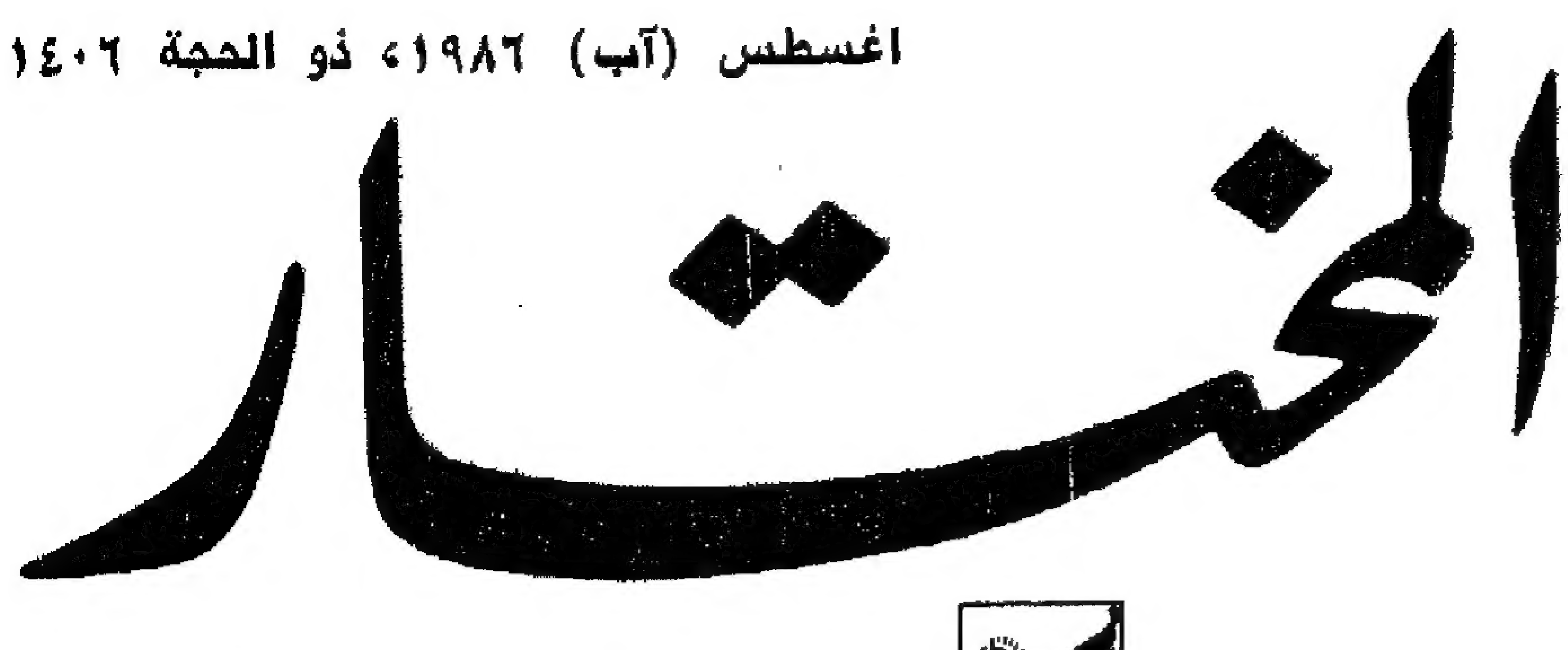
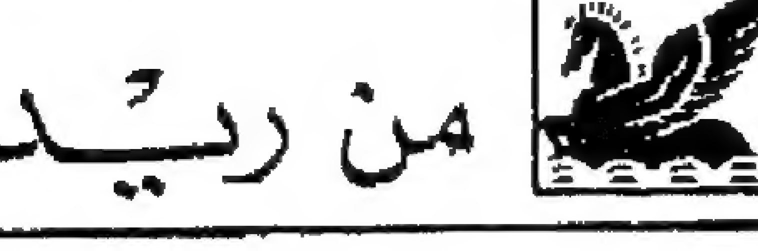
اغسطس (آب) ١٩٨٦؛ ذو الحجة ١٤٠٦



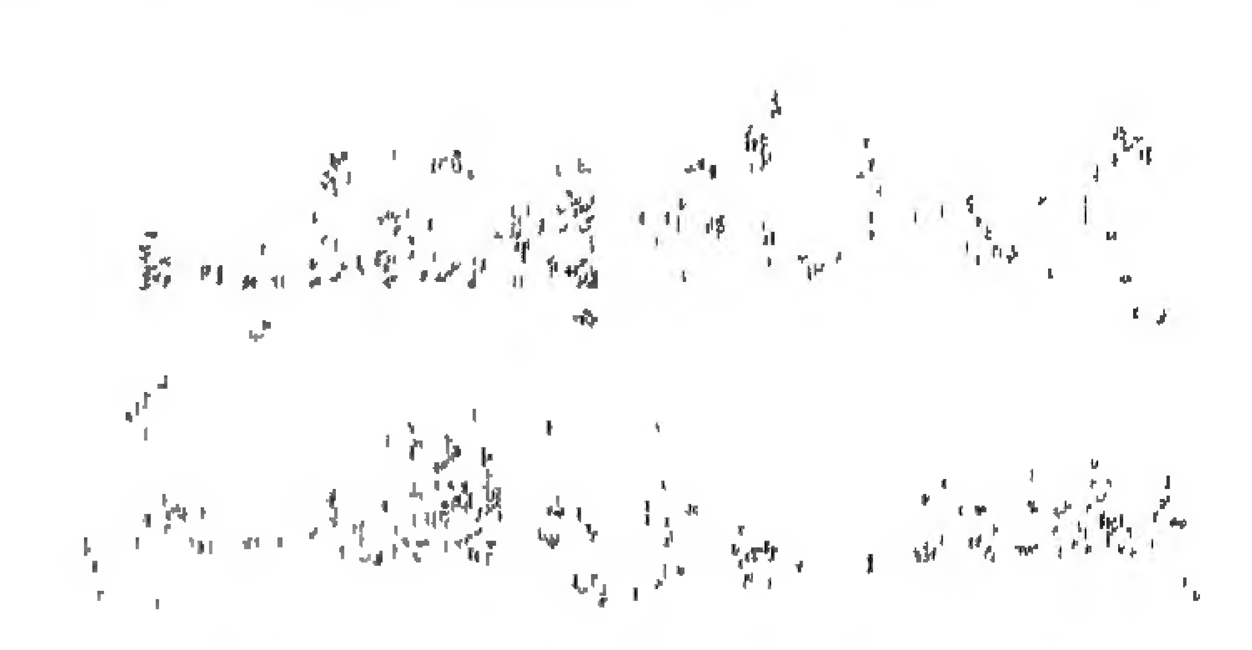


من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest August 86 N° 93



كارثة تشالنجر ١١
اغفري له يا أمي! ٢٨
ثمرة الخلود ٤٠
فلورنسا زهرة إيطاليا ٤٣
قنديل البحر ٥٠
جان هنري فابر شاعر العلم ٥٦
أنشودة الحياة ٦٢
مانجودارو، مهد حضارة ٦٨
نهاية محنة (مأساة وقعية) ٧٤
العملة المزورة ٨١
أولاد الانتظار ٨٧
عادات تطيل العمر وعادات تقصره ٩٢
إكسير الحب (قصة قصيرة) ٩٦
تعاونيات موندراغون ١٠٣
الاشرعة تحرر المعاقين ١٠٩





(ص ٣٤)

جنوب افريقيا: رد على التحدي

(ص ٢١)

خاص - ١: الحب المستحيل ١١٥
خاص - ٢: هدية والد ١٣١
أخرجوا التلفزيون من غرف الاطفال ٣

كيف تشتري سيارة جديدة

(ص ١٨)

اخبار العلم ٩ - الضحك ٣٣ - صور من الحياة ٥٥ -
حكايات ٦٧ - الطب ٨٥ - دائرة المعارف ١٠١

اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٩ بلداً بـ١٥ لغة



من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE .
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

August 86 N° 93 (New Series) Vol 8

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د.


PHILIPS
فيليبس
فيليپس الهولندية تقدم...
آلة فيليشيف الجديدة
في إمكانك الآن أن تنعم بحلاقة متقنة
ELECTRONIC
ONE HOUR CHARGE! UNIVERSAL VOLTAGE
PHILISHAVE
PHILIPS
انك تنظر إلى أكثر آلات الحلاقة الالكترونية تطورا في العالم.
فيليشيف الجديدة لها ثلاثة رؤوس «عائمة» مستديرة تحلق الذقن ولكل راس ١٥ شفرة فريدة دقيقة الحجم تقوم بعمليتين لتكفل لك حلاقة متقنة بشكل مثالي
هناك سويتش خاص يمكن ضبطه في ٩ مواضع مختلفة حسب حساسية الجلد لتامين اقصى راحة لبشرتك واضواء تنبهك إلى ضعف التيار واعادة الشحن بسرعة عالية .. خمس دقائق من الشحن بالكهرباء تكفي لحلاقة ذقنك.
فيليپس - أكبر إسم في
عالم الالكترونيات



ارشادات الى الاهل لكي يجنبوا أولادهم ادماناً خطراً

أخرجوا التلفزيون من غرفِ الأطفال!

في السنوات الاخيرة أوجد انتشار التلفزيون، هموماً جديدة للوالدين. وعلى رغم تراكم الدلائل على الاضرار الناجمة عن ادمان الجلوس أمام هذا الجهاز ومعاينة برامجه جُزافاً من غير تمييز، فاننا نراه يزداد شعبية بين الاولاد.

لو كنتُ مسؤولا عن تربية ولد لما توانيتُ، كما يفعل اكثر الوالدين، في مراقبة البرامج التلفزيونية التي يحضرها. ذلك لاني صرفت خمس سنوات في درس عالم الاطفال المتغيّر ولاحظتُ أن الوقت الذي يمضونه امام التلفزيون أمر فاضح ومُشِين، لأنه يعادل عدد الساعات التي يمضونها امام المعلم او

التلفـزيون والأطفـال

تتعاظم اهمية التلفزيون (او التلفاز) في العالم العربي مع تزايد الوعي الثقافي ونمو الحاجة الى وسائل الترفيه لدى البالغين والصغار على السواء.

ويقول الدكتور محمد الرميحي استاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت: "لو سئلنا الآن ما هي اشكال ملابس الاسلاميين الاول وما هي ألوانها؛ فاننا سنجد أكثرية منا تصف تلك الملابس كما شاهدتها في حلقات تلفزيونية تحكي حكاية الدعوة الاولى."

ويُلاحظ ان ثمة ثلاثة عوامل تزيد من أهمية الاعلام الاذاعي والتلفزيوني في العالم العربي هي:

١. سعة أوقات الفراغ لدى المواطنين مما يجعل التعرض للاذاعة والتلفزيون أمراً سهلاً.
٢. قلة مجالات الترويح الاخرى وعدم شيوع ظاهرة ارتيادها.
٣. انتشار الأمية الذي يجعل التعرض للوسائل المطبوعة محدوداً.

ولعل ظروف تعميم الاتصال الالكتروني الذي انطلق في العالم العربي وبصفة موازية لبداية انتشار الثقافة المكتوبة وما واكبها من هياكل لصناعة الصحيفة والكتاب ورواجهما - هذه الظروف تجعل للتلفزيون العربي خصوصية تربوية تميزه عن التلفزيون في البلدان المنتجة لتكنولوجيا الاتصال والتي تسنى لها التعايش مع المكتوب والمسموع والمرئي. وهكذا فان التلفزيون العربي يدخل في صميم العملية التربوية.

وترى الآنسة روز غريّب الاستاذة سابقا في كلية بيروت الجامعية أن "التلفزيون لهوٌ مغرٍ، يسترخي فيه الولد أمام الشاشة. ولكن، هل هو يفهم ما يراه؟ وهل تثير البرامج تفكيره؟ وهل هي المعلمة. لو كنت أباً لأولاد دون الخامسة عشرة لما سمحتُ لهم باقتناء جهاز تلفزيوني في غُرَفهم لأنه يُغريهم بالجلوس أمامه على الدوام.

أنا لا أدعو الى التخلّي تماماً عن التلفزيون. هناك برامج تبهج الاطفال ومن الواجب ارشادهم اليها. لكني أحذّر الأهل من إطلاق حرية أولادهم في مشاهدة أي برنامج كان، وذلك للأسباب الآتية:

١. أخاف أن يجعل منهم التلفزيون اولاداً فاقدي الذوق والرصانة، يحتقرون البالغين ويسيئون فيهم الظن.

لنذكر مثلا الاعلانات الموجهة الى الاطفال، التي يُخشى أن تحوّلهم مصادر إزعاج ومشاكسة للاهل. قرأتُ مرة عن مدير برامج للاولاد قال في موضوع "العمر المناسب للاعلان": "اذا أردتَ ترويج بضاعتك، اتخذ الولد معاوناً لك في البيع." لأنه لا يفتأ يلاحق والديه بالنق والالحاح حتى ينال منهما ما يريد.

الأولاد يصدّقون عادة كل ما يقوله لهم الكبار. ويخضعون خصوصاً لسحر الاكاذيب التي يرويها أرباب الدعايات في التلفزيون. فبين السن السابعة والعاشرة، بناء على تحقيق اجرته مجلة "هارفرد بيزنس ريفيو"، يبدأ شك الاولاد في ما يسمعونه من أخبار وأقاويل خاطئة أو مبالغ فيها. فاذا بلغوا الحادية عشرة أو الثانية عشرة أصبحوا قليلي الثقة بالناس شديدي السخرية والوقاحة.

وتفيد بعض الدراسات أن ما يشهده

مدروسة وصالحة للأطفال؟ وهل تستهدف التعليم أم الترفيه أم الاثنين معا؟"

وتجيب: "برامج الأطفال في التلفزيون عندنا لا تزال تفتقر الى الغذاء الفكري والعنصر الترفيهي."

ولا يقتصر الأثر للتلفزيون العربي على الأطفال، بل يشمل الكبار كذلك. ولعل أخطر آثاره ناتج من كثافة المسلسلات والبرامج الأجنبية. وأظهرت دراسة أولية(★) أجراها المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين عام ١٩٨٣ في اشراف د. نواف عدوان ود. مصباح الخير ود. هادي نعمان الهيتي، انه على رغم كثافة المسلسلات الأجنبية في محطات التلفزة العربية فان أي بحث علمي لم يجر لتقويم هذه المسلسلات وتحديد الآثار المترتبة على عرضها. وأشارت الدراسة الى أن المسلسلات الأجنبية لا تلبي كل الحاجات المتوخاة بسبب اقتصار الكثير منها على عرض مواضيع تتميز بالاثارة او العنف او الاجرام دون كثير من جوانب الامتاع والثقافة الاخرى مما يستلزم الحذر والتدقيق من الهيئات التلفزيونية في دراسة هذه المسلسلات.

وتبدي غريّب ترحيبها بالتلفزيون "لهواً مفيداً اذا نجح في تحريك الفكر وصقل الذوق والأخلاق وراعى مستوى الأطفال وحاجاتهم ببرامج مدروسة مختارة - وهذه في الغالب قليلة - تشجعهم على مشاهدتها (...) وحبذا لو تعرض تلفزيوناتنا على صغارنا تاريخ بلادهم وجغرافيتها وفولكلورها وحياتها الاجتماعية الى جانب الرسوم المتحركة والأشرطة التي تشرح احوال الحيوان والنبات والاختراعات الحديثة."

نهلا رزق

(★) شملت الدراسة تلفزيونات سورية والعراق والسعودية والأردن والكويت ولبنان.

الاطفال في التلفزيون من مؤامرات ومكايد ونماذج من المحتالين المتلاعبين بالعقول، من شأنه ان يُضعف ثقتهم الغالية بوالدين يبذلون لهم العطف والاخلاص.

٢. أخاف ان يجعلهم ادمان حضور البرامج التلفزيونية جامدي الفكر محدودي الخيال.

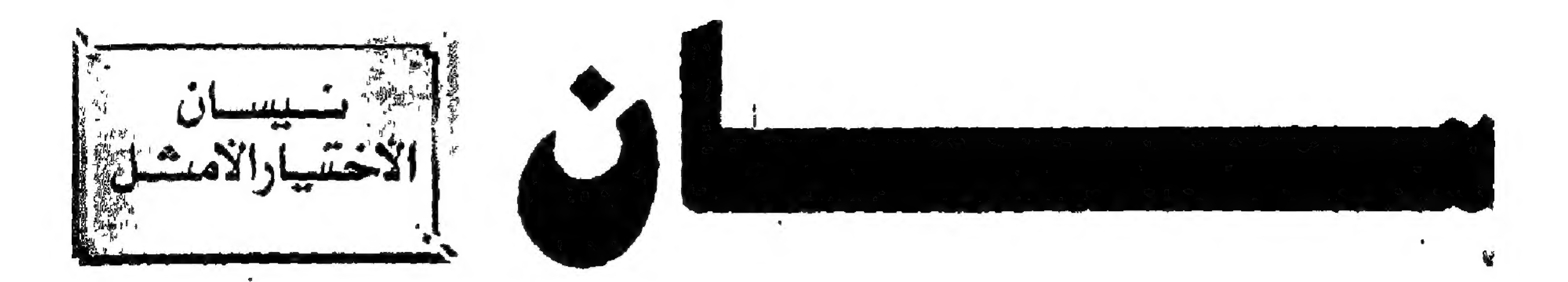
في مقابلة عنوانها "المُعضِلة الالكترونية" نشرت في مجلة "أطفال اليوم" أعلَنَ الكاتب وجود نوعين من الشبه بين إدمان التلفزيون وادمان المخدّرات: كلاهما ينقل صاحبه الى عالم خيالي، وكلاهما يحدث فيه حالة جمود وذهول.

ويلاحَظ عموماً أن مدمني التلفزيون يحصّلون في امتحانات القراءة علامات دون التي ينالها زملاؤهم الأقلّ مواظبة على الجلوس أمام الشاشة. فهل يدفعهم الادمان الى تقليل الاهتمام بوظائف الدرس البيتية؟ هل يحد من قدرتهم على المطالعة الحرة فيضعِف ثقافتهم العامة؟

لا ريب في أن مصاحبة التلفزيون لمدة طويلة لا تثير الفكر كالمطالعة.

ومن مساوىء إدمان هذا اللهو أنه يحد من أوقات اللعب عند الولد، واللعب ضروري لنموّه لأنه يساهم في توسيع خياله وازالة قلقه، ويعطيه فرصة الاحتكاك بغيره من الاولاد فيزيد قدرته على التعبير والمناقشة ضمن حدود الالفة. وهذه مكاسب لا يستغني عنها الاولاد.

(التتمه في الصفحة ٨)


نيسان
الأختيار الأمثل

٣. حين ألاحظ في الاولاد علامات القلق والاضطراب أكاد أجزم بأن التلفزيون هو المسؤول.

الشاشة المتحركة تعطي صورة مضطربة للكون. هناك من يخافون أن يؤدّي الادمان الى إضعاف قوة الانتباه عند الولد. والى ذلك يصاب دماغه بالتعب الناشىء من استغراقه في دوّامة العرْض. وقد لاحظ ت. بيري برازلتن، وهو طبيب أطفال شهير في كلية الطب بجامعة هارفرد، أن الاطفال دون الخامسة من العمر يظهرون علامات تعب اذا شاهدوا البرامج التلفزيونية أكثر من ساعة في اليوم.

أريد من التلفزيون الذي أحسبه عامل تأثير في أولادي، ان يكون قوة دافعة منشطة في حياتهم، كيف يتم ذلك؟ يتم أولا بإبعادهم عن البرامج المُهَيِّجة، المثيرة لسوء الظن في الناس، التي تسخر من موظفي الدولة وحُماة القانون، والمشحونة باعلانات مُغرية للاطفال.

وكل اسبوع أراجع دليل البرامج بصحبة أولادي ونختار معاً تلك التي تبدو اكثر إمتاعاً وفائدة:

- برامج استكشاف وتَجارِب علمية ونحوها.
- برامج تحرّك الخيال.
- برامج ترينا جماعة من الاولاد والبالغين يشتركون في عمل أو وظيفة. إن عزل الصغار عن الكبار ظاهرة عصرية مقلقة.
- برامج تهتمّ بمناقشة مشكلات النمو لدى الاولاد أو نحوها من مشكلات تهمّ الرأي العام. ونلاحظ هنا أن البرامج الاخبارية تتيح لاولاد هذا الجيل أن يفهموا العالم أكثر مما فهمه أولاد الجيل الماضي.

بعد مراجعة البرامج المعروضة نقوم معاً، أنا والاولاد، بوضع لائحة بالبرامج المختارة. فاذا كانوا تلاميذ دون الرابعة عشرة، سمحت لهم باختيار عشر ساعات مبرمجة من اللائحة، ساعة كل يوم، ابتداء بالاثنين وانتهاء بالخميس، وساعتين أيام الجمعة والسبت والاحد. أما اذا كانوا في سن ما قبل المدرسة، فلا أسمح لهم باكثر من ساعة في اليوم. واذا ألحّ أحدهم على مشاهدة برنامج من ساعتين في يوم دراسي، فانه يحرم برنامج الليلة التالية.

في سن مُبكرة، في الرابعة مثلا، يستطيع الاولاد أن يتعلموا التمييز بين الاعلانات التجارية والبرامج العادية. فأشرح لهم الغاية من الاعلانات، وألاحظ واياهم ما فيها من مبالغة وتمويه.

"كما يكون الاهل يكون الاولاد." كلنا نعرف صحة هذا المثل. ولو كنتُ أباً لأطفال اليوم لما استرخيتُ ساعات أمام الجهاز السحري الذي ندعوه التلفزيون، بل لفضلت تمضية وقتي في المطالعة وتحسين البيئة التي أعيش فيها، وخصوصاً في مُلاعَبَة أولادي.

فانس باكار ■

قلة الاحتشام تولد قلة الاحترام، وتولّد... الأولاد أيضاً. مارك توين

أخبار العلم

رصد الطقس

وجد ايلمار رايتر عالم الاحوال الجوية في جامعة كولورادو، أن في الامكان توقع سقوط المطر قبل أشهر بقياس حرارة التراب على عمق مئة سنتيمتر. واكتشف رايتر تلك الطريقة خلال رحلة له الى مرتفعات التيبت الصينية. وهناك وجد أن تراب الشتاء الدافىء يشير الى سقوط المطر في الربيع، وأن التراب البارد يعني مقداراً أقل من الامطار الربيعية.

وفسّر رايتر الأمر بقوله ان التراب الدافىء يعطي الحرارة التي ترتفع الى الجوّ وتقوّي التيارات الهوائية التي تولّد المطر. أما التراب البارد فيولّد أثراً عكسياً.

وفي الولايات المتحدة اليوم نحو ثلاثين محطة تعتمد هذه الطريقة لأهداف زراعية.

مجلة "المختار العلمي"

حياة خارج الأرض؟


"كثير من العلماء اليوم يعتقد أن ثمّة حياةً خارج الأرض. وربّما كانت هناك مئات بل ألوف الحضارات." هذا الكلام لأحد الباحثين في وكالة الطيران والفضاء الأمريكية (ناسا) وهو برنارد أوليفر الذي يعمل في مجال الحياة اللاأرضيّة. ومما يقوله:

□ يضيف هؤلاء العلماء ان الشواهد تتراكم على أنّ العناصر الرئيسية للحياة موجودة في أمكنة أخرى من الكون. وقد اكتشف سيريل بونامبيرونا، مدير مختبر التطور الكيميائي في جامعة ماريلاند الأمريكية، العناصر الخمسة الرئيسية التي تتكون منها الجينات البشرية في أحد النيازك الساقطة من الفضاء.

□ المعلومات التي أرسلتها مركبتا الفضاء "فوياجر - ١" و"فوياجر - ٢" حملت العلماء على الافتراض ان الماء الضروري لاحياء نباتات من خلية واحدة موجود تحت طبقة جليدية على القمر "أوروبا" التابع لكوكب المشتري.

ويستعدّ العلماء لاستمداد معلومات مستمرة من الفضاء الخارجي تشمل آلاف النجوم، وذلك باستخدام آلات تعتمد ذبذبات لاسلكيّة جديدة. ويؤمل أن تكون هذه الذبذبات أقوى مليون مرّة من سابقتها، بحيث تستطيع الأدمغة الالكترونية التقاط أدنى اشارة لعقول مفكرة خارج العالم.

"أخبار الولايات المتحدة والعالم"


٣٩-١٣٦٩-٨٢
٣٩-٧٤٠٧-٨٠
الكلاسيكية المعاصرة
سيتيزن
CITIZEN

المختار
من ريدرز دايجست
اغسطس (آب) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة نوفر لكم متعة دائمة

كارثة "تشالنجر"
الدرس كان قاسيًا

تعددت حوادث انفجار المركبات الفضائية هذه السنة. فمن انفجار المكوك الامريكي "تشالنجر" في ٢٨ يناير (كانون الثاني) بعد دقيقة و١٤ ثانية من إطلاقه، الى انفجار صاروخ "تيتان" الجبار في ابريل (نيسان)، فالى انفجار صاروخ "دلتا" في مايو (أيار)، فالى انفجار الصاروخ الاوروبي "آريان" بعد قليل من اطلاقه من مركز كورو الفضائي في غيانا الفرنسية. هنا صحافي أمريكي شهد إطلاق "تشالنجر" وانفجاره، يتأمل الاخطاء التي سبقت الحادث ويدعو وكالات الفضاء الى التعلم من الكارثة.



Illustrations: John Solie

شاطىء كوكوا، فلوريدا: ست ساعات وثماني دقائق قبل موعد الاطلاق، والعد العكسي مستمر.

خرجت الى شرفة غرفتي في الفندق فلفحني الهواء القارس على نحو لم أعهده سابقاً في تغطياتي الصحافية لاحدى عشرة طلعة للمكوك الفضائي. كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة الخمسين من صباح الثلثاء في ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، وهو اليوم الثالث أجر نفسي ناهضاً من سريري في دغشة ما قبل الفجر استعداداً لاطلاق "تشالنجر" في رحلته الخامسة والعشرين.

وكان ارجاء الاطلاق مرتين أثار في نفسي نفاد صبر أخذ في التنامي. وساورتني خشية من ان يؤدي الطقس البارد الى تأجيل آخر لرحلة "معلمة في الفضاء".

ولنفاد صبري آنذاك سبب خاص. فلو جرت الامور بحسب ما خططت له وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) للعام ١٩٨٦ فان صحافياً أمريكياً سيطير على متن المكوك في شهر سبتمبر (أيلول). وقد تقدمت مع كثيرين من زملائي لاكون ذلك الصحافي، وأي تأجيل آخر لاطلاق "تشالنجر" ربما أدى الى ارجاء "رحلتي" أو الغائها. كنت متلهفاً لاصبح مؤرخ تلك الرحلة.

تلفحت بردائي وأنا أحدق الى الظلمة في اتجاه ذلك المنحنى القاتم الذي يمثل "رأس كانافرال". واذا كان للمكوك ان ينطلق في ذلك الصباح فيجب أن أتمكن من رؤية الانوار الكاشفة الساطعة التي تنير منصة الاطلاق. وفجأة لاح لي ذلك الهرم الساطع من النور على بعد ٣٢ كيلومتراً شمالا. وهتفت في نفسي: والله انهم مصممون على الاطلاق! وهذه كلمات يعبر بها الصحافيون عن التفاؤل بما تستطيع "ناسا" تحقيقه.

بوابة الخطر — مركز كينيدي الفضائي: ساعتان و٢٧ دقيقة قبل موعد الاطلاق، والعد العكسي مستمر.

كنت دائماً أسعد برؤية الساعة الكبرى المخصصة للرحلات في الصباح للاطلاق. فتلك الساعة الرقمية تنتصب على مرتفع الاطلاق منذ طلعات "أبولو" وكأنها جزء من ذلك الاقدام المفعم بالثقة. فبرنامج "ناسا" الفضائي منفتح ومشاهدته متاحة لكل الناس، واذ تعلن الوكالة تاريخ الاطلاق والموعد المحدد بالثانية فكأنها تقول انها تستطيع تحقيق ما تنويه في الموعد المحدد مهما حدث.

قد نكون نحن الامريكيين مغرورين ومتسرعين، لكننا سعينا دائماً الى ارتياد أقصى الحدود الطبيعية والفكرية لهذا الكون. وتلك الساعة النابضة بصمت في العد العكسي كانت تأكيداً لهذه الروح الرائدة. وبرنامجنا الفضائي الذي حفزه هذا المكوك الحديث كان يبشر بقيادة بلادنا الى نهضة علمية وتجارية اخرى.

في السابعة والدقيقة الثامنة والاربعين شاهدت "خروج رواد الفضاء". كان بجانبي صحافي يافع من مسقط رأس المعلمة كريستا ماكوليف، راح يتأمل طاقم "تشالنجر" المؤلف من سبعة رواد وهم يخرجون من مهاجعهم مزهوين ببذلاتهم الفضائية الزرقاء.



وهمس: "بعد كل هذه المضايقات، ترى هل هم خائفون؟"

كنت أعلم أن كل فرد في الطاقم واجه الخطر بطريقته الخاصة: ديك سكوبي ومايك سميث خاضا غمار الحرب في فيتنام وسلمًا. واليسون أونيزوكا خدم في سلاح الجو طياراً يجرب الطائرات الجديدة. ودرجة الدكتوراه في الفيزياء التي نالها رون ماكنير من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا أوحت اليه أفكاراً غير مطمئنة في شؤون مثل "الخلل البنيوي". وجودي رسنيك، على غرار أونيزوكا وماكنير والقائد سكوبي، دارت حول الارض من قبل وتقبلت المخاطر التي تتلازم مع كل رحلة في الفضاء الخارجي. وغريغ جارفيس كان مهندساً فضائياً

أدرك أن جهازاً معقداً مثل "تشالنجر" معرض للاصابة بعطل في احوال كوارثية. أما كريستا ماكوليف فواجهت رحلتها الاولى كما واجهت الحياة، بعينين صافيتين متفتحتين.

عودة طارئة – تسع دقائق قبل موعد الاطلاق، والعد العكسي مستمر.

على رغم الريح القارسة غادرنا ملجأنا في القبة المخصصة للصحافة وتوجهنا الى المنصة الكبرى. كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة والنصف وقد تأخر الاطلاق ساعتين عن موعده. ولكن في الدقيقة التاسعة السابقة للاطلاق عاودت "ناسا" العد العكسي، وبدا أنها واثقة من أن أي مشكلة يسببها الليل المصقع "لا تؤثر في الرحلة."

ففيما كان الصحافيون حولي يرتجفون من لفح الهواء بلغ العد العكسي ٩ ثوانٍ... ٨... ٧... ٦.. ودار المحرك الرئيسي واشتعل صاروخا الدفع وانطلقت المركبة.

ارتفع "تشالنجر" في السماء الزرقاء الصافية. وكما يحدث دائما في عمليات الاطلاق شعرت كأني داخل تلك المركبة الانيقة اللاهبة.

بدا صعود المركبة طبيعياً لنظري المجرد. وأتم المكوك مناورة الدوران واستمر في صعوده. ولكن عندئذ بدا الذيل البخاري المنبعث من الصاروخ يومض ويغشى. وأمسكت منظاري وصوبته الى الجسم المتوهج في البعد. فبان لي كأن صاروخ الدفع الايمن ينفصل وينسلخ مبتعداً في دوامة من الدخان. وألقيت نظرة خاطفة على ساعة الاطلاق: كانت تشير الى دقيقة واحدة و١٧ ثانية من التصعيد، أي نحو دقيقة كاملة قبل موعد الانفصال.

وارتفع صوت مذيع في الراديو: «RTLS! RTLS!» وهو تعبير يعني "عودة طارئة الى منصة الاطلاق." وسألني الصحافي الواقف بجانبي: "ماذا يجري؟" فصحت به: "انهم عائدون!" وتعثرت وأنا أهبط درجات السلم الخشبية المهتزة. لكن ساقيّ جمدتا حين سمعت صوت ستيف نسبيت المتحدث باسم مركز المراقبة في هيوستن: "لدينا خبر من ضابط مسار الرحلة يقول ان المركبة الفضائية انفجرت."

رفعت بصري ثانية الى تلك السحابة فاذا بها منتفخة في شكل قطعة سجق غبراء قذرة. ورأيت قطعتين كبيرتين من صاروخي الدفع تنطلقان في خطين متقوسين متوازيين وكأنهما حصانان مجفلان ينطلقان على غير هدى.

ارتميت في أول مقعد وجدته وأنا لا أقوى على الحراك. وتمتمت: "فقدنا تشالنجر... لترقد أرواح رواده في سلام."

وسأل أحدهم: "أين هم الآن؟"

فصرخت به: "لقد ماتوا!" وتملكني شعور بالخوف والاسى أعقبه احساس بالحيرة وأخيراً استبد بي الغضب... غضب انصب على نفاد صبري وعلينا جميعاً نحن الذين توقعنا أن تكون رحلات المكوك الفضائي – وهو أكثر الاجهزة التقنية التي صنعها الانسان تعقيداً – مجرد رحلات عادية مثل تمثيليات مسرحية في سيرك وليست أحداثاً زاخرة

بالاخطار في اجرأ استكشافاتنا الفضائية.

تسرع وارتياب – منذ ذلك الصباح من شهر يناير (كانون الثاني) استخدمت عبارة "كارثة وطنية" على نطاق واسع. ولكن ما معنى هذه العبارة حقا؟ حين كنت مدرساً اعتدت أن أحاضر حول ما دعاه أرسطوطاليس "العنصر الحاسم في المأساة" وهو ان الاشخاص ذوي الطبيعة الجريئة المجازفة يقعون في "خطأ فاجع". وهذا الخطأ يتناول عادة التصرفات "الصحيحة" التي يبنونها على المعرفة الناقصة.

في أوائل الستينات ألزم قادتنا هذه الامة استكشاف الفضاء. وفي الثمانينات جاء المكوك الفضائي ليكون مركبة هذه الريادة وأصبح بالنسبة الينا طائر الفينيق، فرفع كبرياءنا الوطنية من رماد الهزيمة العسكرية في فيتنام والصراع السياسي في فضيحة ووترغيت. كان المكوك حلم كل فرد، ولكن بعد انفجار "تشالنجر" اتضح لنا ان استكشافنا الجريء خاطىء على نحو فاجع.

وخلال الفترة المضطربة التي أعقبت حرب فيتنام وفضيحة ووترغيت حاولنا أن نصنع أكثر الآلات تعقيداً بأرخص الاثمان. فجاء التصميم منطوياً على خطأ منذ البداية تقريباً. فصمم صاروخ الوقود بحيث يسقط في المحيط ويستخدم ثانية. وحُرمت المركبة المدارية من المحركات التي تسمح لها بالهبوط كطائرة نفاثة عادية، وكانت تلك نية فريق التصميم الاصلي. وعلى نقيض مشروع "أبولو" الجريء مُوِّل تطوير المكوك الفضائي وأدير على نحو شاذ. كما أعلن أن المكوك أصبح "جاهزاً تماماً للعمل" في مرحلة مبكرة جداً من أجل أن يبدأ تسديد نفقاته. ووضعت خطط لطلعات تجارية على أساس جدول زمني منتظم. وبدا أن هذا الجدول غير الواقعي يزداد طموحاً مع كل موازنة تقدمها "ناسا".

وكما جاء في المعلومات الصحافية التي كانت تسربها وكالة الفضاء، أضحى بلوغ حدود الفضاء الخارجي عملية "روتينية". فقد انطلقت تلك المركبات التي يبلغ وزنها ٢٢٥٠ طناً ٢٤ مرة من فوق هذه الكثبان الرملية في رأس كانافرال وعادت بسلام الى الارض. ولم يزعج أحد نفسه فيأخذ في الاعتبار خلال هذه الطلعات "الناجحة" الحوادث التي كادت أن تكون كارثية، كالمحركات التي أوشكت أن تنفجر قبل الانطلاق ووقف العملية في الثانية الاخيرة على منصة الاطلاق وتعطل الادمغة الالكترونية في المدار.

ثقة عمياء – كنا متسرعين ومعتزين بالمنظر المذهل للمركبة الفضائية وهي ترتفع بذيلها الناري، وبرواد الفضاء وهم يرقصون في الفراغ المغمور بأشعة الشمس ويستعيدون الاقمار الاصطناعية المعطلة ويصلحونها.

وكان المسؤولون في "ناسا" يعبرون سراً عن شكوك ساورتهم حول مدى أهلية المكوك ويستنكرون ألاعيب دائرة العلاقات العامة الساعية الى الدعاية

الذاتية، كاعلان تنظيم رحلات "ريادية ممتعة" لرؤساء اللجان في الكونغرس الامريكي وللضيوف الاجانب ذوي النفوذ ومشروعي "معلمة في الفضاء" و"صحافي في الفضاء".

وفي الثامن والعشرين من يناير (كانون الثاني) مضت "ناسا" في عملية اطلاق "تشالنجر" على رغم اشارات الخطر. وحذرتها الهيئة الاستشارية للسلامة في الفضاء تكراراً من أن ارهاق طواقم العمل يمس بكفايتها في قاعات التجميع ومنصات الاطلاق. وشكت الهيئة من أن برنامج "ناسا" أخذ يظهر "انحيازاً قوياً مستمراً" الى تحسين اداء المكوك لمصلحة الزبائن الذين يدفعون بدلا من الاهتمام بتحسين كفاية الجهاز المعقد. وقدم أحد المحللين في "ناسا" مذكرة عام ١٩٨٥ حذر فيها من عطل "كارثي" في احدى وصلات صاروخ الدفع. وكانت برزت مشاكل في الحلقات المطاطية التي تحكم اغلاق هذه الوصلات الحيوية خلال الطلعات السابقة.

لكن قيادة "ناسا" التي طغت عليها عقلية "المقدرة على عمل أي شيء" لم تلتفت الى هذه التحذيرات. وأخيراً تقرر اطلاق المكوك على رغم تحذيرات المهندسين العاملين في شركتي "مورتون تيوكول" و"روكويل انترناشونال" المتعهدتين الرئيسيتين لمشروع المكوك، من أن أحوال البرد والصقيع القياسيين في ليلة ٢٧/٢٨ يناير (كانون الثاني) قد تعرض الطلعة للخطر.

وفي اعادة نظر الآن يبدو شبه واضح أن "ناسا" كانت تمط القواعد المشدودة لسلامة الاطلاق بغية مواصلة تنفيذ برنامجها المثقل هذه السنة.

قليلون منا في وسائل الاعلام كانوا يدركون هذه المشاكل في ذلك الحين. ولكن حتى ان علمنا بها لكنّا انجرفنا مع نفاد صبرنا وتسرعنا للاطلاق على غرار ما فعلت وكالة الفضاء الامريكية؟ أترانا كنا معصومين من الثقة العمياء والغرور؟

الرحلات الريادية – المأساة الحقيقية تعلم الناس دروساً أدبية ومعنوية. ففي الدراما المأسوية تدرُّج من الايمان الاعمى الى المعرفة، والمشاهد يتعلم من الكوارث التي يواجهها الابطال الذين يمثلون على المسرح. هكذا علينا أن نتعلم من كارثة "تشالنجر".

اننا في حاجة الى برنامج فضائي. ولا يسعنا أن ننكفىء عن تلك الحدود أو نتخلى عن مستقبل التكنولوجيا العالية نتيجة اخفاق واحد. ولكن علينا أن نتعلم الصبر. ينبغي الا "نعجِّل" من دون وعي للتقيد بجدول مواعيد غير واقعي وألا نرضخ لضغوط رجال العلاقات العامة الذين يتجاوزون الادراك السليم. فمن أجل استثمار الفضاء ينبغي أن نوازن بين الحذر والجرأة ونحل الحكمة مكان التهور. ولا يجوز في أي حال أن نتنازل عن تراثنا الريادي.

سفن كريستوفر كولومبوس انطلقت نحو الحدود المخيفة للعالم الجديد ثم آبت الى موطنها تحمل شحنات من الاكتشافات. والظفر الريادي لكولومبوس لم يأته من دون ثمن. فهو انطلق بثلاث

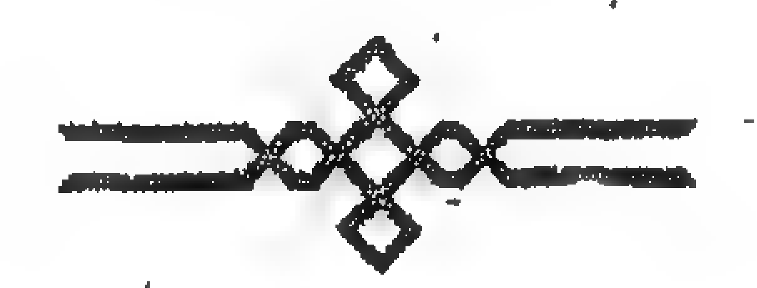
سفن: "نينيا" و"بنتا" و"سانتا ماريا"، عادت اثنتان منها فقط.

النهضة التي قامت قبل ٥٠٠ سنة تطلبت اندفاعا مغامراً. وخلال أسفار الاستكشاف الغربية العظمى كان المستكشفون في الشرق الاقصى منكفئين على أنفسهم. فالصينيون الذين نعموا يوماً بأكثر الحضارات تقدماً في العالم تخلوا عما كان يحتمل أن يغدو نصيبهم الاعظم. انتظروا لكي تأتي السفن الكبرى اليهم وتجمدوا.

نحن في الغرب لم نكن من الذين ينتظرون. وكثير من روّادنا، مثل فاسكو دا غاما وفرديناند ماجلان وفرنسيس دريك وجيمس كوك قضوا في تلك الاسفار. وأفادت حضارتنا كثيراً من مغامراتهم.

بُعيد وقوع الحادث ولجت مبنى تجميع المركبات الفضائية في مركز كينيدي الفضائي. ورأيت عمالا شباناً في سراويل جينز وبعضهم في ملابس بيضاء يعملون في صيانة المكوك الفضائي "ديسكافري". حدّقت الى ساعة الاطلاق وأدركت أن عداً عكسياً آخر سيبدأ ذات يوم وسنرى مركبة فضائية أخرى تصعد في الفضاء. وسنراقبها بشعور أرهف كسبناه من درس قاس.

مالكوم ماكونيل ■



كرسي الكتابة

الكاتب المسرحي ديفيد ماميت، رابح جائزة بوليتزر الادبية، يدأب على الكتابة يومياً. واذا لم يكن موضوعه مسرحية فقد يكون بحثاً أو مقالة أو رسالة.

وهو كتب مرة: "فكرة أن يصبح المرء كاتباً أفضل أو أشهر أو أغنى، كانت السبب في انهيار كتاب كثيرين. أنا لا آمل أن أصبح واحداً من هؤلاء. فوضعي يشبه وضع رجل يصنع الكراسي: الكرسي شيء يمكنني أن أصنعه وأجيد صنعه. واذا واظبت تحسن عملي تدريجاً. غير أن المهم ليس أن أصبح صانع كراس أكثر براعة، بل المهم هو الكرسي نفسه. أنا لا أتحسن، بل الكرسي هو الذي يتحسن.

ص.ف.

متعة لم تُستحق

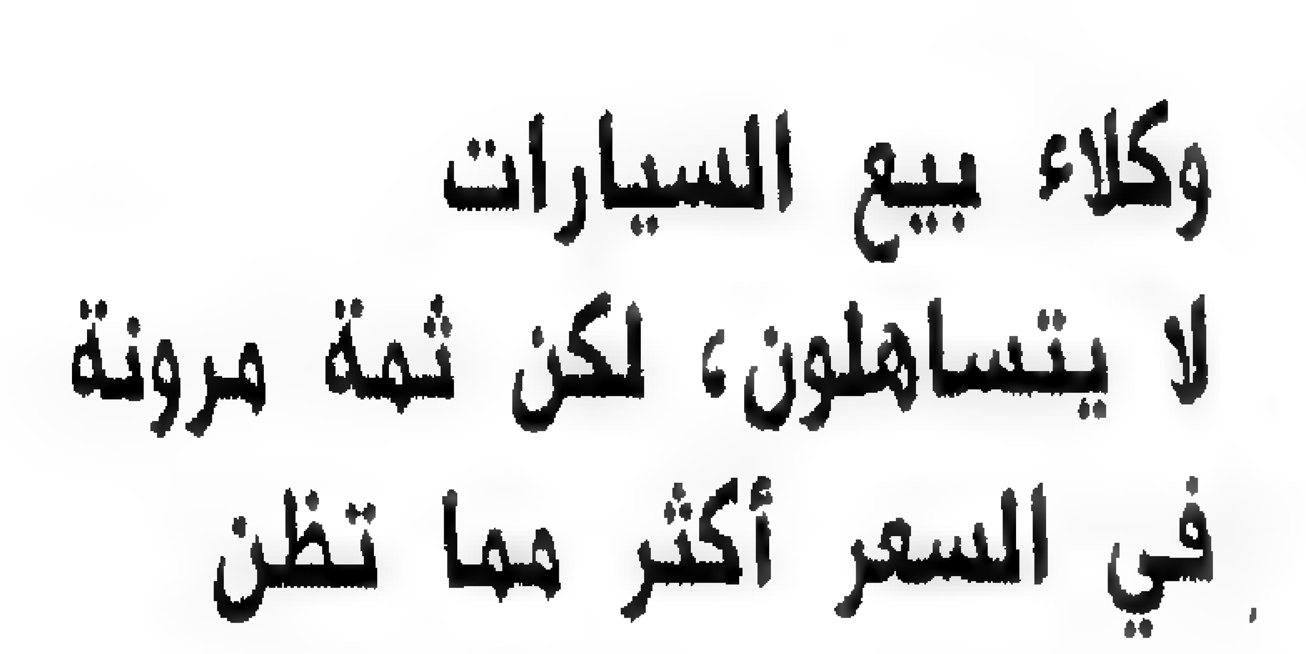
ترك شاب عائلته ليعيش وحده. وبعد ثمانية أشهر جاء أمه يشكو من أن دخله يكاد لا يكفي سد حاجاته فلا يبقى له شيء للمتعة.

فقالت الام بحزم: "ينبغي أن يسدد الرجل ما يتوجب عليه قبل أن يستحق المتعة."

وفكر الشاب هنيهة ثم قال: "جربت ذلك حين قبضت راتبي يا أمي. وما يضايقني هو أني لم أستحق غسل ملابسي هذا الاسبوع."

د.ب.

قبل أن تشتري سَيّارة جَديدة...



وكلاء بيع السيارات لا يتساهلون، لكن ثمة مرونة في السعر أكثر مما تظن

تخيّل هذا الموقف: أنت جالس في مكتب لبيع السيارات. يطرح عليك الوكيل سعراً، فتسأله: "هل هذا أفضل عرض لديك؟" فيسألك بدوره: "ما هو المطلوب لنعقد صفقة؟"

أنت الآن في موقف حرج. واذا كنت في بداية بحثك وتفكر في زيارة معارض أخرى للسيارات، والوكيل يعرف ذلك، فقد يعرض عليك سعراً منخفضاً لكي تعود اليه. لكن هذا السعر "المنخفض" قد يتلاشى في زيارتك الثانية. اما اذا كنت لا تزال تستكشف أسعار السيارات وأجبت بعرض سعر سارع هو الى التقاطه، فستنقم على نفسك لأنك ربما دفعت أكثر مما ينبغي.

أهلا بك في نادي شراء السيارات الجديدة.

ان شراء سيارة جديدة ينبغي أن يكون أحد المباهج الصغيرة في الحياة، لكنه قد يتحول ازعاجاً ممضاً. وخوفك لا يتعلق بالسعر الباهظ الذي دفعته بمقدار ما هو خوف من أن تكون دفعت أكثر من زبون آخر. غير أن الفرق بين صفقة جيدة وصفقة سيئة قد يعني مئات الدولارات أو أكثر اذا كنت تشتري سيارة فخمة أو سيارة يصعب الحصول عليها.

لذلك اليك بعض قواعد هذه اللعبة التي يمكن أن تحفظ لك كبرياءك ومالك.

• قبل أن تبدأ البحث قرّر ماذا تريد: النوع والحجم والضمانات وطريقة الدفع. جرب عدداً من السيارات وتحدث في شأنها مع أصدقائك واستشر المنشورات المتخصصة بهذا المجال.

• كوّن فكرة عمّا ستكلفك هذه السيارة. ثمة كتيبات تحدّد أسعار البيع

بالجملة والضمانات وطرق الدفع. انتق الخيارات التي ترغب فيها وأعد لائحة بها على ورقة. بعد ذلك أحسب كم يجدر بك أن تدفع زيادة على سعر البيع بالجملة.

اذا كانت السيارة من طراز رائج فقد يصر الوكيل على التزام السعر المعلن أو على سعر قريب منه. فاذا لم تشتر تلك السيارة فثمة من يشتريها سواك. واذا كان النوع والطراز نادرين فقد يعمد الوكيل الى رفع السعر. وقد يضيف بطاقة سعر ثانية تبين زوائد وخدمات تدر عليه ربحاً وافراً. فهذه "الزوائد" - مثل طلي السيارة بموانع الصدأ ووضع أغطية اضافية للارضية - قد تكون زوائد لا تحتاج اليها ولا تريدها بذلك السعر المرتفع.

تذكر أن الوكلاء يمكنهم أن يضيفوا أي مبلغ يشاؤون الى ثمن السيارة. ومستوردو السيارات يرغبون في البيع مع الزوائد.

لا تدفع التكاليف الاضافية الا اذا كانت تلك هي السيارة التي تريدها.

● ابحث عن سيارتك المطلوبة لدى ثلاثة وكلاء على الاقل، وافحص الطراز الذي ترغب في شرائه. تذكر ان الوكلاء في المناطق ذات الاسعار المرتفعة يطلبون أسعاراً عالية كذلك، والوكلاء الكبار يعرضون أسعاراً أدنى من الوكلاء الصغار. فاذا كان الثمن لدى الوكيل الذي يبيع بكميات كبيرة أقل من الثمن لدى صديقك الوكيل المحلي، صارح الصديق وبيّن له الفرق بين السعرين. فربما اقترب هو من ذلك الرقم. ولا بد من أن الوكلاء القدامى يحسنون العمل، ولهذا السبب ما زالوا يعملون في تلك التجارة.

والى ذلك فان الازعاج من اجراء اعمال الصيانة لدى وكيل بعيد عن منطقة سكنك قد يرجح على أي توفير يقدمه ذلك الوكيل. كما أن سمعة دائرة الصيانة لدى الوكيل ينبغي أن تؤخذ في الحسبان.

تذكر أيضاً أن الوكلاء لا يقدمون شيئاً من دون مقابل. انهم يجنون بعض الربح من مكان ما، مثل الحسم الذي تمنحه الشركة لوكيل البيع. ثم هناك "الاحتياط" وهو العملة التي يتقاضاها الوكيل في مقابل تمويله الصفقة. وهذه تساوي بضع مئات أخرى من الدولارات. لذلك في وسع الوكيل أن يبيع سيارة بثمن يبدو وكأنه سعر المبيع بالجملة ويحقق مع ذلك بعض الربح.

● ابحث عن العروض الخاصة. من حين الى آخر يقدم صانعو السيارات عروضاً بأسعار خاصة لزيادة مبيعاتهم، أو يقدمون مكيّف هواء مجاناً او علبة تروس اوتوماتيكية.

● ادرس الزوائد. قد يحاول البائع إقناعك بشراء سيارة قد يكون فيها من وسائل الراحة اكثر مما تطلب. وقد تراوح كلفة هذه الوسائل بين ٢٥ و٣٠ في المئة من الاسعار المعلنة في كثير من السيارات. ليس من ضير في كثير منها طبعاً. ولكن هل أنت راغب حقاً في دفع ثمن جهاز راديو من النوع الذي تتحرك ابرته آليا بحثاً عن المحطات، أو ثمن فتحة في السقف أو كراس تتحرك في ستة اتجاهات؟

لا تتسرع في الشراء. يقول أحد حماة المستهلكين: "اخرج من الوكالة اذا شعرت انك تتعرض لضغط قوي يحملك

على اتخاذ قرار سريع، أو اذا تبين لك أن ثمة تحولا في العملية، كأن يعرض عليك البائع سعراً ثم يقول ان المدير رفض الموافقة عليه."

● ابحث في اماكن عدة عن التمويل. ان المصارف تحاول ان تسترد هذه التجارة من الشركات التي تمول صناعة السيارات ولذا تخفض معدلات فوائدها. قد توفر مقداراً أكبر من المال اذا حصلت على قرض جيد مما لو ساومت على سعر السيارة ذاتها.

● احصل على تقدير صحيح لقيمة سيارتك القديمة. راقب الاعلانات المبوبة في الصحف. فمن المحتمل أن يعرض عليك الوكيل سعراً أقل من الذي قد تحصل عليه اذا بعت سيارتك من دون وسيط. ولكن اذا كان ذلك يجشمك مشقة كبيرة، اتفق مع الوكيل على سعر السيارة الجديدة قبل مساومته بابدال سيارتك القديمة.

● بعد أن تشتري السيارة الجديدة لا تسأل أحداً يملك مثلها عن الثمن الذي دفعه في شرائها. فقد يزعم أنه دفع أقل مما تكلف فعلا، وليس من شأن ذلك سوى اشعارك بالغبن.

جيري فلينت ■

زبون أخضر

في زيارته الاولى لمتجر البقالة رأى المتسوق غير المجرب رجلا يقف أمام واجهة الخضر ويرفع كل صندوق فيتفحصه ويقلبه ثم يهزه. وتاق الى تعلم أسلوب جديد في شراء الخضر، فتقدم من الرجل وسأله هل يتكرم بكشف سر هذا التصرف الغريب. فأجاب الرجل: "ليس في الامر سر. اني أبحث عن مفاتيح سيارتي."

ا.ن.

أيام شكسبير

هل تعرف أن شكسبير لو عاش في زماننا لما أتيح له أن يكتب رواية "هاملت"؟ لانه كان سينشغل بالتجوال في محطات الاذاعة والتلفزيون لترويج روايته "روميو وجولييت".

الطفل والجيلاتي

قال الطفل: "أريد قرناً من الجيلاتي."
فسألته أمه: "ماذا ينبغي أن تضيف بعد هذه الجملة؟"
أجاب: "الآن!"

سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا
عزلت السود عن البيض ورسخت الحقد بينهم
وتسببت في حوادث دامية.
لكن أولئك السيدات الشجاعات أقمن جسوراً بين العرقين
وحملن راية الاصلاح واحلال العدل

سَيّداتُ «الوشاح الأسْوَد»

في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٨٥ توافد عشرات آلاف السود من أنحاء جنوب افريقيا الى ملعب ترابي لكرة القدم في بلدة كرادوك شرق منطقة الكيب لدفن أربعة زعماء سود عثر عليهم مقتولين.

وكان الغبار يتصاعد مُدوِّماً فيما المحتشدون يتمايلون على وقع أناشيد الحرية. وراح كثيرون يتهمون الزّمر المؤيدة للحكومة بارتكاب هذه الجرائم. وبدا الهواء مثقلا بالغضب. واعترى الذهول المحتشدين عندما رأوا ١٤ امرأة بيضاء في خريف العمر يمشين في الملعب ببطء ويقفن صامتات مع النائحين. فتوقفت الأناشيد ودوى التصفيق والهتاف: "تعيش منظمة الوشاح الاسود!"(١)

أولئك الاربع عشرة كن أعضاء في مجموعة نسائية ناضلت بعناد طوال ٣١ سنة لتحرير جنوب افريقيا من سياسة التمييز العنصري. فساعدن السود على الاهتداء الى طريق سالكة وسط متاهة القوانين التي تكبلهم، وعملن على تعقب موظفي الحكومة ورجال الشرطة والكشف عن المظالم التي يرتكبونها والعذاب الذي يتسببون فيه والاحتجاج المستمر على ما يفعلونه.

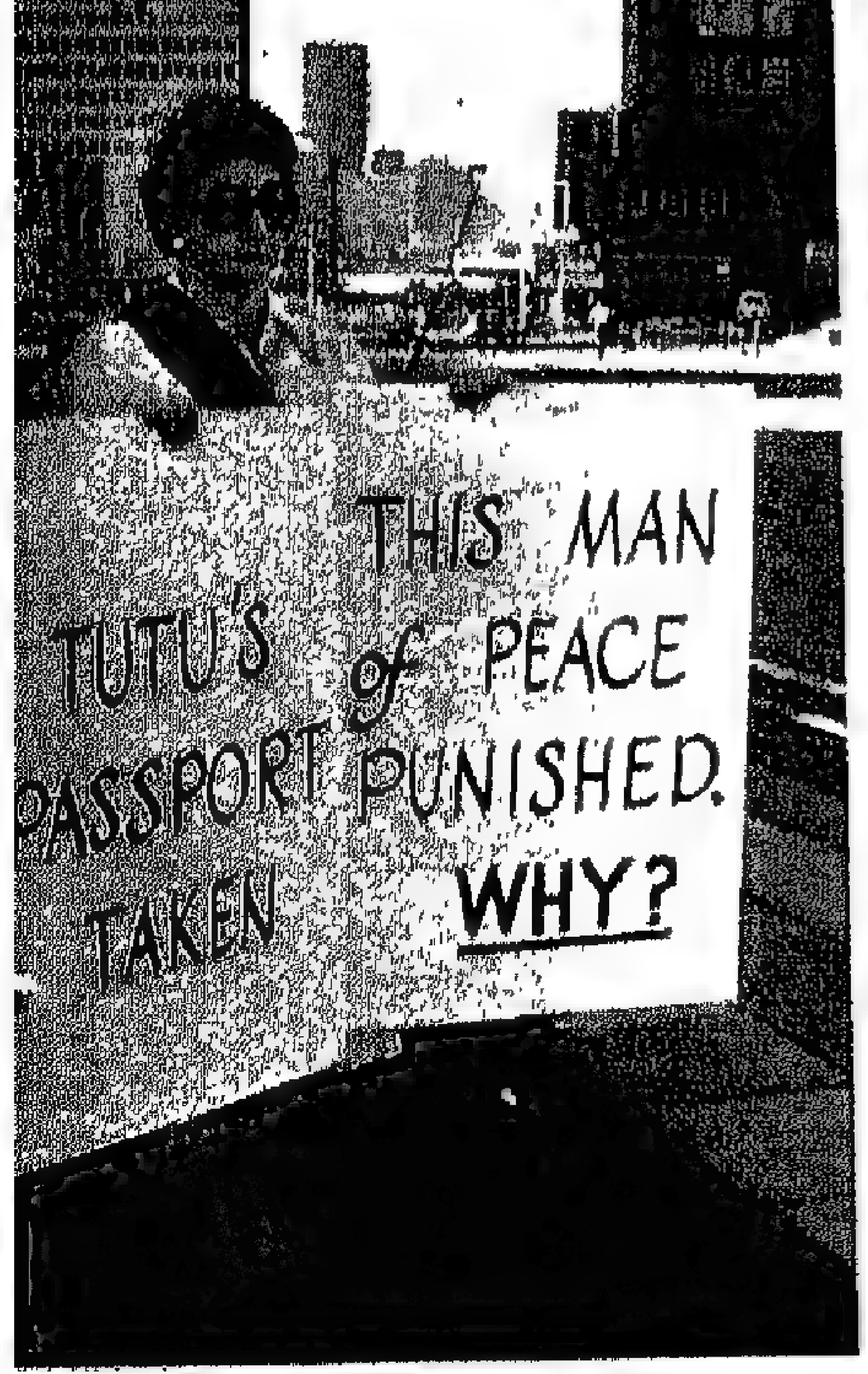
ويقول الاسقف ديسموند توتو الفائز بجائزة نوبل للسلام: "إن هؤلاء النساء اللواتي يتمتعن بشجاعة خارقة عرضن حياتهن للخطر منذ سنوات وأظهرن للسود أن هناك بيضاً يأبهون لهم."

(١) Black Sash

وفي العام ١٩٨٤ طلب ما يزيد على ٣٦ ألف أسود المساعدة من مكاتب الارشاد التابعة لمنظمة "الوشاح الاسود" في المدن الثماني الرئيسية في جنوب أفريقيا. وبين هؤلاء ١٥ ألفاً في جوهانسبورغ وحدها. وبات مألوفاً أن يشاهد المرء في جميع أيام الاسبوع أعداداً كبيرة من الناس جالسين على أرائك وكراس منتظرين بصبر أن يشرحوا مشكلاتهم لمرشدات الوشاح الاسود.

احدى هؤلاء المرشدات بولاه رولنيك (٦٠ عاماً) جلست في مكتب صغير "تخربش" حانقة في دفتر. ثم دخلت جورجينا مهلانغا، وهي امرأة حسناء في الثلاثينات، حاملة ملفاً ضخماً. وسبق لجورجينا ان أتت الى المكان في أثناء كفاحها لتثبت ألها ولدت في جوهانسبورغ وأن لها الحق في العيش هناك. وهي مثل كثيرين من السود لا تملك وثيقة ولادة. وتشرح رولنيك الامر: "إنها مشكلة ضخمة. فمعظم الذين يقاربون جورجينا في العمر ولدوا في المنازل ولم يكن أحد حاضراً عند ولادتهم سوى أفراد الأسرة."

ولادة المنظمة — ليس في وسع جورجينا، من دون وثيقة ولادة، أن تتقدم بطلب للحصول على تذكرة الهوية التي تعطى لمواطني جنوب افريقيا السود الذين يزيد عمرهم على ١٦ عاماً. واذا هي لم تحصل على هذه الوثيقة الرسمية فلا يسعها العيش أو العمل على نحو قانوني في المدينة التي ولدت فيها. وكلما ضُبطت سُجنت فترة تراوح بين سبعة أيام وثلاثين يوماً. وتمكنت جورجينا باشراف منظمة "الوشاح الاسود" من جمع عدد من





فوق: سكان ماغوبا عادوا الى الصلاة في المقبرة القديمة. الى اليسار: متظاهرة وحيدة في جادة جان سموتس.

Photos: The Star, Johannesburg

الرسائل كتبها أشخاص يعرفونها منذ عهد بعيد، ومن بينهم رجل دين ومعلمون وموظفون.

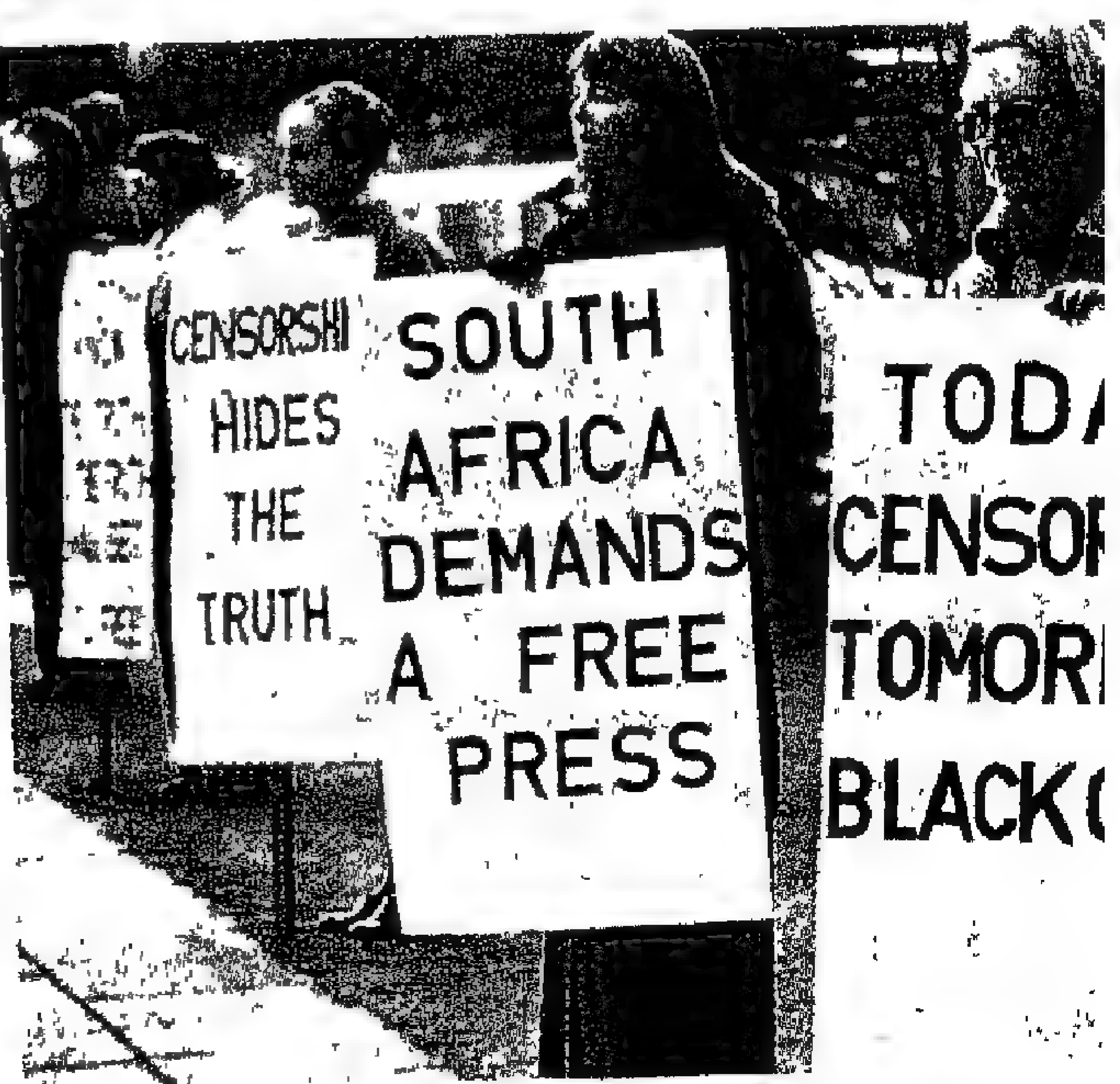
وتقول رولنيك "إن مجرد البرهان على أن للناس حقوقاً يوفر علينا كثيراً من المشقة." ولجورجينا أخ يتمتع بالحقوق المدنية، وهذا عنصر مساعد. وهي ستكتب الى السلطة المعنية طالبة الوثيقة الرسمية استناداً الى المعلومات التي جمعتها. فهل تحصل عليها؟ تقول رولنيك: "إن هذا ممكن اذا حالفها الحظ."

ويقع بيت رولنيك في الضاحية الشمالية الغنية، وهو لا يبعد كثيراً عن البيت الذي ولدت فيه منظمة الوشاح الاسود. فقبل ثلاثين سنة التقت ست سيدات موسرات لتناول الشاي. ودار الحديث عن محاولات الحكومة تجريد "الملوّنين" من حق الانتخاب بعدما تمتعوا به ما يزيد على مئة سنة. واستبدّ بهنّ الغضب كما استبدّ بكثير من مواطني جنوب افريقيا الناطقين الانكليزية، إلا أنهن، بخلاف كثيرين سواهنّ، عزمن على جبه هذا الأمر.

تحت: السيدة جين سنكلير احدى مؤسسات المنظمة. أسفل اليمين: سيدات "الوشاح الاسود" في تظاهرة ضد تعديل قانون الصحافة عام ١٩٧٤. الى اليمين: شينا دونكان رئيسة المنظمة.







وفي غضون ساعة كنّ اتصلن هاتفياً بعشرات من أصدقائهن ومعارفهن ونظّمن اجتماعاً عاماً. وفي ٢٥ مايو (أيار) ١٩٥٥ شوهد أكثر من ألفي امرأة يمشين بصمت خلف فتاة تقرع الطبل عبر شوارع جوهانسبورغ ووجهتهن دار البلدية. ونشأت من هذه المسيرة حملة وطنية. وأطلقت النساء على حركتهن اسم "الرابطة النسائية للدفاع عن الدستور" وكتبن عريضتين وطنيتين. وخلال عشرة أيام حصلن على مئة ألف توقيع هي كلها تواقيع نساء.

على أن الحكومة لم تغيّر موقفها. ولم تعترف أعضاء الرابطة بالهزيمة. فتوشحن بالاسود "حداداً على الدستور" واعتصمن مدة ٤٨ ساعة في مبنى الاتحاد الحكومي في العاصمة بريتوريا ونمن في البرد القارس أمام الصرح الضخم. وترك هذا العمل أثراً كبيراً في الناس وهتف لهنّ ألوف المواطنين عندما اجتمعن اليوم التالي في دار البلدية في جوهانسبورغ. ودعت الصحافة هذه المنظمة "الوشاح الاسود" وهي لا تزال تعرف بهذا الاسم.

مكاتب استشارية - دفعت حماسة الجمهور النساء الى اعتماد سبل في الاحتجاج جديدة. فبتنا نرى نساء صامتات، على أكتافهن اليمنى وشاحات سود، يتبعن الوزراء ويتعقبنهم في محطات القطار والمطارات وقاعات الاجتماعات.

وفي فجر ٩ فبراير (شباط) ١٩٥٦ بدأت ٦٠ سيارة مزخرفة بشعارات الوشاح الاسود "رحلة الاحتجاج الكبرى" الى البرلمان في الكيب، قاطعة مسافة ١٦٠٠ كيلومتر. وغادرت قوافل مماثلة المدن في ترانسفال الشمالية والشرقية. وتلاقت نساء من أنحاء جنوب افريقيا على الطريق الرئيسية عبر كارو المجدبة التي تبدو لامتناهية.

ولدى وصول القافلة الى كيب تاون كانت انضمت اليها ثلاثمئة سيارة. واصطفّ ألوف الناس في الشوارع مهللين وملوحين بالمناديل ورامين قبعاتهم في الفضاء. ولم يكن مواطنو جنوب أفريقيا رأوا احتجاجاً مماثلا. وتقول جين سنكلير (٧٧ عاماً) احدى مؤسسات الجمعية: "لقد كنا على مقدار كبير من السذاجة إذ ظننا أننا سنتسبّب في سقوط الحكومة."

إلّا أن هذه التظاهرات لم تؤد الى أي تغيير. وفي ٢٨ فبراير (شباط) أقرّ مشروع القانون الذي يحرم الملونين حق التصويت. وهكذا ربحت الحكومة المعركة وأُثر عن أحد الوزراء قوله ساخراً: "حسناً، إن هذا يضع حداً لحركات أولئك النائحات."

والحق أن معظم الناس توقعوا عزوف أولئك النساء عن متابعة عملهن والرجوع الى منازلهن المريحة. وفي السنتين التاليتين صحّ هذا التوقع بالنسبة الى كثيرات منهن. غير أن الألف اللواتي بقين كن يتحلين بالصلابة، وكانت كثيرات منهن يدركن خطورة القضايا الأخلاقية والسياسية الكبيرة التي ستترك مجتمعهن في نهاية الأمر ممزقاً بالعنف ومعزولا عن المجتمع العالمي.

واتبعت هؤلاء النساء أسلوباً جديداً، لكنّ عزيمتهنّ لم تَهِنْ. وأتيحت لهنّ

الفرصة عام ١٩٦٠ عندما ضاعفت الحكومة سياسة "ضبط الدفق"(٢) التي تتضمن مجموعة من القوانين لا تزال تمنع حرية الحركة عن ثلاثة أرباع سكان جنوب أفريقيا. وتحت وطأة هذه القوانين بلغ عدد السود الذين قبض عليهم أو غُرّموا أو سجنوا ٣،٥ ملايين. وشرعت سيدات الوشاح الاسود في إقامة مكاتب استشارية دائمة لمساعدة السود وارشادهم، تحفزهن على ذلك تجربة رفيقة لهن في كيب تاون كانت تدبر كفالات مالية للنساء اللواتي يقعن ضحايا سياسة ضبط الدفق.

حق البقاء – نويل روب زوجة خبير مالي شهير في كيب تاون وأم لخمسة أولاد. وهي في أواسط العقد الرابع من عمرها. تولت إدارة مكتب الارشاد في المدينة وسرعان ما أدركت تعقيدات القوانين خيراً من "البرلمانيين" الذين أقرّوها. وهي اليوم في الثانية والسبعين وتؤدي عملها الاستشاري أربعة أيام أسبوعياً في بيت متداع قرب محطة السكة الحديد في موبراي. وتراها تتحرك برشاقة عبر أكوام الملفات والأثاث البالي مصغية الى عدد لا يحصى من القصص الحزينة ومعينة أصحابها على اجتياز متاهة القوانين المناهضة لهم.

وتبدو في عينيها أمارات الغضب عند سماعها قصة رجل طرد من شركة كبري في كيب تاون من دون أن ينال معاش تقاعد على رغم خدمته في الشركة مدة ثلاثين سنة. فتعمد الى الاتصال هاتفياً بمدير الشركة وتسأله بصوت من لا يطيق سماع الهراء: "لماذا؟" فيعرض المدير معاشاً بسيطاً ويتحقق نصر طفيف لا تجد السيدة روب وقتاً لتذوق طعمه لأن هناك أكثر من عشرة أشخاص آخرين ينتظرون مساعدتها.

وترى شينا دونكان، رئيسة منظمة الوشاح الاسود، أن المكاتب الاستشارية أفلحت في حل المشكلات القانونية بالنسبة الى ستة في المئة فقط من الذين طلبوا المساعدة. وواحد في المئة فقط من هؤلاء يحالون على محامي الحقوق المدنية الذين كثيراً ما يربحون قضاياهم في المحكمة. اما الخمسة في المئة الآخرون فيحالون على مراكز أخرى كالنقابات والمحاكم الصناعية والعيادات. وتعمل منظمة الوشاح الاسود على مساعدة كثير من الناس بالاصغاء العطوف الى مشكلاتهم وبإرشادهم الى سبل الكفاح لنيل حقوقهم. ولا ريب في أن القضايا التي ناضلت مكاتب الارشاد التابعة للمنظمة في سبيلها قد حسّنت حياة عشرات الآلاف وليس فقط حياة المئات من الناس.

وفي بداية ١٩٨٠ شرعت منظمة الوشاح الاسود في معالجة قضية مهلولو توم ريكهوتو، وهو عامل تعاقد مع شركة "جرمينستون" الهندسية ما يزيد على عشر سنين. وكانت الشركة تجدد له العقد سنوياً. ولكن عندما تقدم ريكهوتو بطلب للحصول على إقامة دائمة قال له موظفو الحكومة إنه غير مؤهل لذلك إذ يعوزه شرط "العمل المستمر" مدة عشر سنين. على أن المحكمة العليا قررت أن

(٢) Influx control

ريكهوتو يستحق الحصول على إقامة دائمة. وبات هذا القرار أهمّ ما أصدرته المحكمة لمصلحة السود منذ وصول حزب الوطنيين الى السلطة. ويقدّر المحامون أن نحو ستين ألف أسود كسبوا حق البقاء في المدن نتيجة لهذا القرار.

تأجيل التنفيذ – انتقد بعض السود المتطرفين سيدات الوشاح الاسود "لعملهن ضمن النظام" و"تمويه" سياسة التمييز العنصري بالمساهمة في جعلها سائغة للسود. غير أن هناك آخرين يرفضون هذا الكلام. ويقول الدكتور نثاتو موتلانو وهو عضو في لجنة سويتو العشرية ومن قادة المناهضين للتمييز العنصري: "أنا معجب بالعمل الذي تنجزه مكاتب الارشاد. فعلى رغم كونها لا تثير أي ضجة فانها تقدم خدمات جليلة." أما ايلين كوزوايو، وهي كاتبة تنتمي الى سويتو وتعدّ من قادة المجتمع، فتقول ببساطة: "لقد كانت منظمة الوشاح الاسود ملجأ الألوف من أبناء قومي، فلنشكر الله على وجود أولئك النساء."

والحق أن جزءاً كبيراً من امكانات الوشاح الاسود بُذل في الكشف عن الثمن الانساني لسياسة "الاوطان" التي تجتث ٣،٥ ملايين أسود من المجتمعات القائمة وتجردهم من حقهم كمواطنين في جنوب أفريقيا وتحكم عليهم بالبقاء في "ولايات وطنية" كثيراً ما تكون أراضي قاحلة مهملة.

وقبل سنتين واجه سكان قرية ماغوبا الواقعة في منطقة ترانسفال الغربية مصيراً مماثلا. ففي العام ١٩١١ اشترت القبيلة المحلية الأرض وأنمتها من دون مساعدة خارجية في السنوات السبعين اللاحقة. وبنى أهل القرية مدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية وحفروا آباراً وأقاموا طواحين هوائية وأتقنوا زراعة الأرض فبلغت وفرة محصولها حداً مكّنهم على نحو مستمر من بيع فائض كبير إلى تعاونية المزارعين المحليين. إلا أن هذه الجماعة المسالمة المستقرة بدت في نظر الحكومة "بقعة سوداء" أي ارضاً يملكها السود في منطقة احتفظت بها للبيض!

وعام ١٩٨٢ طُلب من سكان القرية الانتقال الى باشسدراي، وهو موقع طُوّر قرب ولاية بوبهوتاتسوانا الوطنية. وفي ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٣ راحت جرافات الحكومة تقعقع داخل ماغوبا وتهدم المدرستين والمنازل ومضخات الماء. غير أن معظم السكان رفضوا الانتقال فأمهلتهم الحكومة أسبوعين لإخلاء الارض. وتمكنت منظمة الوشاح الاسود من الحصول على تأييد ديبلوماسي وصحافي وقانوني لجبه الحكومة وطلبت من المحكمة العليا إصدار حكم عاجل بايقاف الانتقال. وعشية انتهاء المهلة المحددة اعتصم مؤيدو الوشاح الاسود وامضوا الليل كله في ماغوبا. وفي اليوم التالي انتظروا ومعهم مراسلو التلفزيون والصحف، لكن شيئاً لم يحدث إذ أصدرت المحكمة قراراً بتأجيل تنفيذ الحكم.

وظن سكان ماغوبا أن المعركة انتهت فجمعوا مبلغ ٢٠٠٠ رند (نحو ٥٠ دولاراً) وبدأوا اعادة بناء المدرستين. وبعد بضعة أشهر عاد رجال الشرطة الثلاثمئة

بسلاحهم وحمّلوا الناس والمقتنيات الى باشسدراي ولم يعد لقرية ماغوبا وجود.

وأصاب الذهول سيدات الوشاح الاسود. لقد خسرن المعركة، الا انهن لفتن العالم بأسره الى محنة هؤلاء القرويين فاضطررن الحكومة الى اعادة النظر في سياستها الاسكانية. وأثمرت ضغوطهن عام ١٩٨٥ فأعلنت الحكومة قراراً يقضي بتأجيل نقل السكان ريثما تنتهي من الدراسات الخاصة بتغيير سياستها هذه. وسيكون للتأجيل أثر في كثير من "البقع السوداء" التي يتجاوز عددها المئتين وكانت الحكومة قررت نقلها. ومن سوء الحظ أن الحكومة لم تلتزم قرار التأجيل وأكملت بهدوء عمليات نقل السكان في المناطق التي لا تصل اليها ضجة الصحافة.

وقبل مدة قصيرة في إحدى زوايا جادة جان سموتس في جوهانسبورغ وقفت رئيسة منظمة الوشاح الاسود شينا دونكان وحيدة غير هيّابة وهي تحمل لافتة احتجاج على موت القائد العمالي اندريز راديتسيلا في معتقله. وكان قانون الأمن الداخلي حظر عام ١٩٨٣ أي تظاهرة تضمّ أكثر من شخص واحد، لذلك كثيراً ما تقف سيدات الوشاح الاسود وحيدات. غير أن هناك رابطاً قوياً يجمع بينهن هو سخطهن على الظلم. وفي هذا تقول جين سنكلير إن ما أمّن استمرار منظمة الوشاح الاسود ثلاثين سنة هو الحنق، "فأنا أذهب للنوم غضبى واستيقظ غضبى. فالغضب يملأنا جميعاً."

وها هي المنظمة تدخل عقدها الرابع في زمن استبدّ به القلق على نحو لم يسبق له مثيل. ومع ذلك فإن شينا دونكان التي تتحلى بإيمان عميق لا تزال تجد أملا وسط الغضب. فهي تحسّ أن في الجو أخيراً ملامح تغيير حقيقي، "فالأزمة الاقتصادية والاضطراب المدني ولّدا في نفوس البيض خوفاً من المستقبل. لكنّ هناك كثيرين يتطلعون الى بداية جديدة ولا يعلمون من أين يبدأون." وهذا يعني وجود فرص جديدة للتأثير في الأحداث وتوجيهها نحو الأفضل. وتضيف دونكان: "ونحن لدينا النيّة التامة لتحقيق ذلك."

فيكتوريا باتلر ■

مفهوم الاجماع

قالت رئيسة وزراء بريطانيا السيدة مارغريت تاتشر في خطاب لها في ملبورن (أوستراليا):

"الاجماع هو المفهوم الذي نلوذ به حين نعجز عن الاتفاق. وهو عملية تقتضي التخلّي عن جميع العقائد والمبادىء والقيم والمخططات سعياً الى موقف لا يؤمن به أحد، كما لا يعترض أحد عليه. انه عملية اجتناب المسائل التي ينبغي حلّها لعجزنا عن الاتفاق على حل لها."

ا.ش.



«اغفري له»

قضى ابنهما في حادث سيارة



في الساعة ١٠،٤٠ من مساء الخميس الواقع فيه ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢، تلقّت اليزابيث موريس (٣٧ عاماً آنذاك) وزوجها فرانك (٤١ عاماً) اتصالا هاتفياً في بيتهما في بيدي بولاية كنتاكي. وكانا ينتظران ابنهما الوحيد تيد (١٨ عاماً) الذي يعمل في مخزن للآلات الموسيقية خلال عطلة الاعياد.

وسمعت اليزابيث صوت امرأة على الطرف الآخر: "هنا مركز جيني ستيوارت الطبي. نحن في حاجة الى إذن منكم لمعالجة ابنكم الذي أصيب في حادث."

بدت الكيلومترات الخمسة والعشرون الفاصلة بين المنزل والمستشفى كأنها لن تنتهي. وانحنى الوالدان فوق تيد لكنه كان في غيبوبة تامة. وبعدما عمل الأطباء كل ما في وسعهم نُقل في سيارة اسعاف الى مستشفى في ناشفيل القريبة من حدود الولاية. فربما استطاع جرّاحو الأعصاب هناك تقديم المساعدة. ولكن أعلنت وفاة تيد في الثانية والثلث من صباح يوم الميلاد.

Illustration: Nicole Dunay

يـا أمي!»

أرادا أن يلقى قاتله ذلك المصير

وأخبر رجال الشرطة آل موريس أن تيد لم يكن قادراً على تجنّب الحادث. لقد انحرفت سيارة عن خط الوسط وصدمت مقدم سيارته. وأصيب سائق السيارة الصادمة تومي بيكاج (٢٤ عاماً) بجرح بالغ في جبينه وكانت تفوح منه رائحة الكحول. وأظهر تحليل دمه مستوى من الكحول بلغ ٠،٢٨ أي نحو ثلاثة أضعاف المستوى المسموح به. ووجّهت الى بيكاج تهمة القتل وأطلق بكفالة قيمتها ١٠ آلاف دولار.

وفي الجلسة التي عقدتها المحكمة بتاريخ ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ علم آل موريس أن بيكاج تناول الكحول حتى الثمالة ليلة الحادث بعدما انتهى من عمله في مستودع للتبغ.

ولم يكن بيكاج يذكر شيئاً عن الحادث. وعندما أُخبر أنه تسبّب في وفاة رجل أخفى وجهه في حضن أمّه وأجهش بالبكاء وهتف: "ربّاه، لماذا لم أكن أنا بدلا منه؟" ولكن في المحكمة دفعته غريزة البقاء الى التملص من المسؤولية فأعلن براءته من تهمة القتل.

واضطربت اليزابيث كأنها تلقت صفعة وفكرت: "أيزعم أنه بريء؟ أيدّعي أن اللوم يقع على تيد؟ تومي بيكاج هو الذي ينبغي أن يكون تحت التراب."

وعندما خرجت من المحكمة نظرت الى زوجها بغضب وقالت له: "اذا صادفت تومي بيكاج يمشي على رصيف الشارع، فسوف أدهسه بسيارتي."

فأجاب فرانك: "هذا لن يؤدي الى نتيجة." فهو كان يفضّل أن يحاكم بيكاج ويثبت جرمه ويلقى عقابه بواسطة القانون. أمّا اليزابيث فكانت تريحها صورة بيكاج في الكرسي الكهربائي. وقالت بكآبة: "اني مستعدة لادارة المفتاح الكهربائي بكل سرور."

المنبوذ – كانت اليزابيث تزداد كراهية وحزناً على مرّ الأسابيع. وبعدما كانت امرأة مرحة أصبحت منطوية على نفسها تقضي ساعات في غرفة ابنها تذرف الدمع على وسادته.

وفي فترة يأس راودت اليزابيث فكرة الانتحار. فرفعت مسدساً محشواً وصوبته الى رأسها، لكنها اسقطته وبكت بخجل.

أمّا والدا بيكاج فأقنعاه بالانضمام الى برنامج لتأهيل مدمني الكحول مدته ٣٠ يوماً، وبقي أسبوعين من دون كحول، لكنه كان يعيش حال ندم شديد.. وبغية التخفيف من آلامه تجرع كأساً من الجعة واتبعها بأخرى. وسرعان ما عاد الى تناول الكحول كل ليلة أملا بالنوم. وفي طريقه الى العمل كان يمشي مطرقاً تجنباً لنظرات الناس، فالجميع احتقروه كما احتقر هو نفسه.

وفي فبراير (شباط) ابدلت هيئة محلّفين تهمة القتل المتعمد بالقتل غير المتعمد. وبعد ذلك أجّلت المحكمة تكراراً النظر في القضية.

وكلما طال الانتظار زاد عذاب اليزابيث من جرّاء تمنياتها موت بيكاج. ووجدت عزاءها الوحيد في حملة لكتابة رسائل مع أولياء آخرين هدفها معارضة المعاملة المتساهلة التي يلقاها السائقون السكارى في محاكم كنتاكي حيث العقاب متروك لتقدير المحلفين.

وانضم آل موريس الى عضوية "جمعية الامهات المناهضات للقيادة في حالة السكر." وكانت الجمعية تعمل جاهدة من أجل اقرار قوانين مناسبة. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٤ اعتمدت قوانين جديدة في هذا الشأن، منها ما يقضي بسجن السائق الثمل لدى التسبب في جرح إنسان.

كلمات مذهلة – لم يصدر حكم في القضية إلاّ في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤ اي بعد ٢١ شهراً من الحادث. فقد دين بيكاج بالجرم مما خفّف من سورة اليزابيث، ولكن لم يؤخذ بطلب الادعاء القاضي بسجنه لمدة عشر سنين، وحكم القاضي إدوين وايت بدل ذلك بأن يقضي بيكاج يومين في سجن الولاية في نهاية كل أسبوعين لمدة سنتين.

والتقى والدا تيد وغيرهما من أعضاء جمعية الامهات القاضي وايت بعيد اصدار الحكم وطالبوه بتشدّد أكثر في العقوبة. كذلك طالبوا باخضاع بيكاج لفحص خاص كلما حضر الى السجن للتأكد من عدم تناوله الكحول، وطالبوا ايضاً بان يشارك في برامج الجمعية التي تقدم في المدارس.

وعدّل القاضي وايت العقوبة لتصبح عشر سنين مع وقف التنفيذ، على أن يؤخذ بجميع توصيات جمعية الامهات وأعلن أن أي انتهاك للعقوبة سيؤدي الى سجن بيكاج.

وكانت روز جفكوت وبات صديقة اليزابيث ونائبة رئيسة الجمعية أحبّت تيد موريس كابن لها وشاركت والدته في قلقها لعدم ارسال بيكاج الى سجن الولاية. لكنها أعدت له عقاباً تنفذه بنفسها: سيظهر بيكاج للمرة الاولى في ٥ ديسمبر (كانون الاول) في المدرسة التي تخرّج فيها تيد في كاديز بكنتاكي.

ذهبت اليزابيث الى المدرسة متوقعة أن ترى الارتباك بادياً على وجه بيكاج. وظهرت صورة تيد على شاشة العرض في الوقت الذي كانت وبات تعيد الى الاذهان الحدث المروع الذي وقع قبل نحو سنتين. بعدئذٍ وقف بيكاج وخاطب ألف تلميذ بخجل وبصوت خافت ومتردد.

بدأ بيكاج كلامه: "أنا قتلت تيد موريس، وهو حدث لن أستطيع التغلب عليه. لا أذكر شيئاً عن الحادث لأنني كنت ثملا وأنا اقود سيارتي. انها غلطتي. ففي صباح اليوم التالي توفي تيد. لم أعرف ماذا أفعل. تيد ابن وحيد وقد توفي لأنني كنت ثملا خلف عجلة القيادة."

كانت إليزابيث تتوقع سماع أعذار وليس اعترافاً صريحاً. وبعدما قرأ بيكاج عقوبته بصوت عال أضاف: "انه حكم مخفّف جداً. كان ينبغي سجني لكن الحظ أسعفني، وما من شيء يستطيع أن يغير الحياة التي سأعيشها منذ اليوم."

عندما أنهى بيكاج كلامه وانصرف التلاميذ بهدوء من مبنى الألعاب الرياضية، اقتربت اليزابيث من قاتل

وحيدها. وعرفها، وكان القلق بادياً عليه بوضوح. وخاطبته: "لا تخف يا تومي. لن أصفعك لأنني قدرت عن حق ما قلته بعدما اعترفت بذلك. وهذا ما يريحني."

رأت إليزابيث الدموع تنهمر من عيني تومي. واقتربت منه لتهوّن عليه لكنها أجفلت، فقد كانت تفوح منه رائحة الكحول. وعندما واجهته بتلك الحقيقة تذرع بأنه تناول دواء. لكن اليزابيث استدعت شرطياً من البهو وطلبت منه اجراء فحص نَفَس. لكن الشرطي رفض تنفيذ الطلب لأن لا مبرّر له.

عقاب خفيف – واجهت اليزابيث تومي خارج منزله في الليلة التالية وسألته: "لماذا كذبت عليّ؟"

فأجابها بصراحة: "لم أرد الذهاب الى السجن."

وعلى رغم أن رائحة الكحول كانت تفوح منه آنذاك أيضاً، شعرت اليزابيث بوجوب البقاء والتكلم معه. وبعدما طرحت عليه بلطف جملة أسئلة أفضى اليها تومي بهمومه. كان مدمناً الكحول منذ السادسة عشرة من عمره، وزاد من ادمانه الاسى الذي سبّبه لعائلته وأصدقائه، وما استطاع تحمل العار وهو في حالة صحو.

وبينما كان تومي يتكلم ظهرت على وجهه علامات البهجة. فهو شعر بأن اليزابيث مهتمة لما يقول، فوعدها بأن يكلم روز ويات ويعتذر اليها لتناوله الكحول قبل القاء كلمته.

وبعد يومين توجه تومي الى السجن لقضاء نهاية الاسبوع فيه. ونفخ في كيس فحص النَفَس. وجاءت النتيجة ٠،١٢ وهو الحد الفاصل بين السكر والصحو، لذا أمر القاضي وايت باستبقائه في السجن.

ويوم الاثنين اتصل ضابط السجن ستيف تريبل بآل موريس وقال: "ان الشاب شعر بأنه لم يلق العقاب الذي يستحقه فاراد أن يعتقل من جديد.

وسألت اليزابيث الضابط: "هل تومي في السجن منذ نهار السبت؟ وهل زاره أحد؟"

فأجابها: "لا."

وراود اليزابيث أن تومي في عزلته تلك سيستمر في تناول الكحول وربما أدى ذلك الى جريمة أخرى. وهكذا يذهب موت تيد عبثاً. ان تومي في حاجة ماسة الى مساعدة بمقدار ما تحتاج هي الى ابن ترعاه. وأخبرت تريبل أنها تريد زيارة تومي في السجن.

شعرت اليزابيث برهبة وهي تدخل السجن، لكنها رأت تومي يشعر بالرهبة نفسها. وخاطبته بتردد: "تومي، أنت تعلم أنه عندما يطلب امرؤ الغفران فيجب أن يعطى له."

وسألها تومي بارتياب: "هل تغفرين لي؟"

– نعم، ولكن ينبغي أن تغفر لنفسك وان تغفر لي الحقد الذي امتلك قلبي.

"فليكن كذلك."

وأخبرت اليزابيث زوجها فرانك باجتماعها مع تومي وهي تأمل أن يغفر له هو أيضاً. لكنه رفض لأن الغضب المتأجج داخله منعه من الغفران.

"اغفري له يا أمي" – بعد شهر بينما كان والدا تيد يصطحبان تومي الى السجن

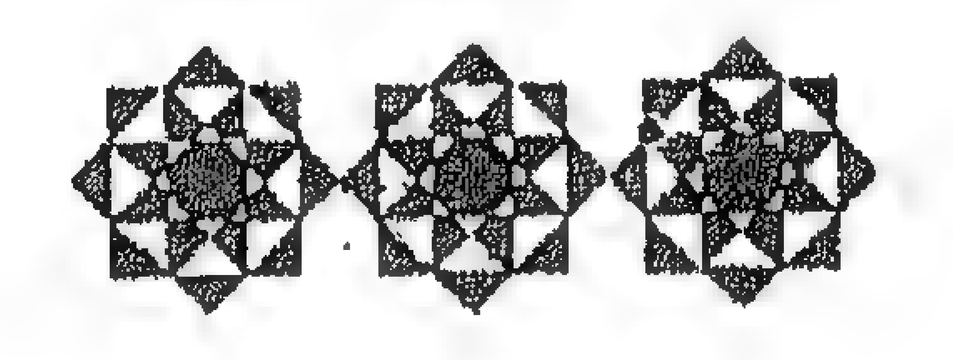
بعد القائه كلمة برنامج جمعية الامهات، أخذ يتكلم على العبر التي استقاها من الحادث وقال انه يكرّس نفسه منذ ذلك الحين لله. ثم طوق عنق فرانك بذراعيه ورجاه أن يغفر له. "نعم أغفر لك،" قالها فرانك والدموع تنسكب من عينيه.

بعدما قضى تومي ثلاثة أشهر في السجن أعيد تطبيق العقوبة الاولى. واليوم تعج حياته التي كانت فاسدة في الماضي بواجبات ترتبط بجمعية الامهات المناهضات للقيادة في حالة السكر. وفي مستودع التبغ يتلقى تدريباً ليصبح مراقباً. وهو يتصل يومياً بالبزابيث ويزورها باستمرار. ويقول: "أنا راض عن نفسي لأنني أقوم بأعمال ترضي الله."

أما بالنسبة الى فرانك موريس فالمحنة لم تنته بعد ولن تنتهي ما دام حياً. وهو يقول: "لقد غفرنا لقاتل ابننا لأن ذلك عين الصواب، لكننا لا نستطيع أن ننسى. وما زلنا نعتقد أنه كلما جاءت العقوبات صارمة قلّ عدد السائقين السكارى."

وما زالت اليزابيث تذكر النصائح التي كان ابنها تيد يقدمها الى أصدقائه حين كانوا في حاجة الى تلك النصائح. وفي غمرة الحقد الذي اعتمر قلبها سمعت صوته يخاطبها: "أمي، يجب أن تغفري له." وعندما غفرت لقاتل ابنها في نهاية المطاف عاشت في سلام.

بيتر مايكلمور ■



شابلن والتلفزيون

يتذكر المضيف التلفزيوني روبرت ماكنيل انه حاول مرة اجراء مقابلة مع تشارلي شابلن:

كان شابلن يمقت التلفزيون ويصفه بانه "شاق وقاس ووحشي وعارٍ، ليس فيه شِعْر، بل انه فضّاح."

وشابلن على حق. فالتلفزيون لا يضيف أي رواء الى اسمه، بل الى اسمي أنا اذا حصلت من ضيفي على ما أريد. وكان هذا درساً آخر تعلمته بعد انقضاء وقت طويل. فالمقابلات التلفزيونية تبرز الشخص الذي يجريها وليس الضيف المعني.

اجتماعات القمة

يقول هيلموت شميت المستشار السابق لالمانيا الغربية: "لا تحقق اجتماعات القمة انجازات كبيرة ولكنها تمنع الامور من أن تزيد سوءاً."

م.ل.





تدريب خشن!

أخذ رجل ابنه في رحلة تخييم ليريه حياة البرية. وحين غرف الأب ماء الجدول بيديه صرخ الولد: "لا تقل لي انك ستشرب ذلك يا أبي!"
"بالطبع،" أكّد الوالد وهو يفرغ الماء في فمه. عندئذ قال له ابنه: "لم أقصد الماء يا أبي، بل بيوض الضفدع!"

ر.د.

مفاجأة زوج!

رافقت جارتنا أمها في جولة في بلاد أوروبا. وبعد مضي بضعة أيام على رحيلها أراد زوجها مفاجأتها باتصال هاتفي. لكنّه اكتشف انه لا يعرف مسار رحلتها. فاتصل بمكتب السفريات الذي زوّده المعلومات الوافية.
وبعدما انتظر حلول الصباح في ايطاليا أجرى الاتصال، لكنّ الشخص الذي رد عليه لم يحسن الانكليزية فاستعان بزميل له فهم مراد الزوج ووصله بزوجته.
"صباح الخير،" قالها الزوج بمرح مصمماً ألا يبدو خائباً بعد التأخير المكلف والمصاعب الجمة، "لقد آن وقت استيقاظك."
"شكراً،" أجابت الزوجة على الطرف الآخر. وأقفلت الخط!

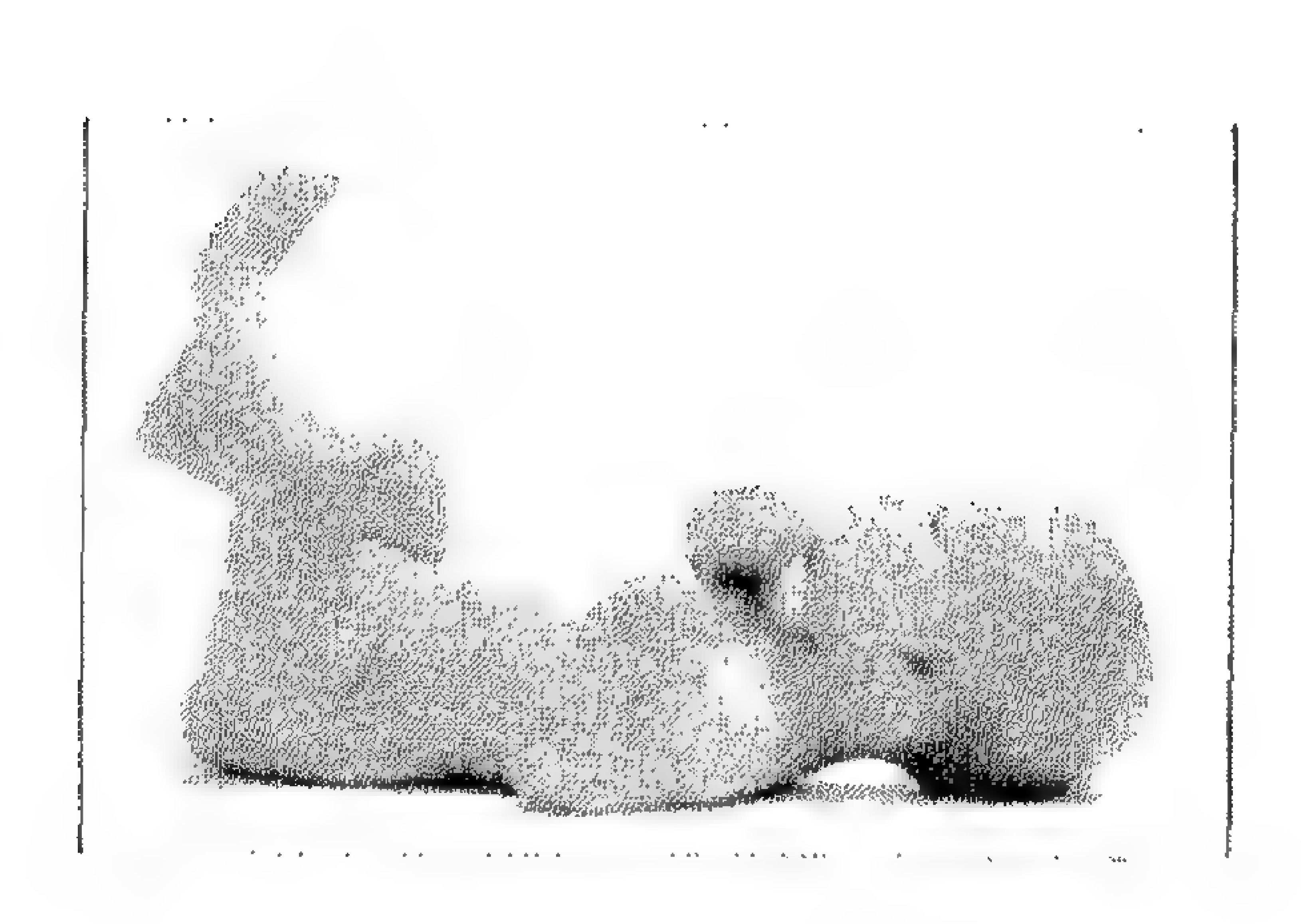
ر.ت.

أجنبيان في باريس

أثناء زيارتنا لفرنسا ذهبنا الى السوق لنتبضّع. وفي متجر قريب من الفندق رأينا أثواباً معلقة وإشعاراً باعطاء حسم ٥٠ في المئة. ولما دخلنا المتجر تقدمت منا امرأة وعرضت مساعدتنا، لكنّنا أبلغناها أننا نفضل مشاهدة الثياب لوحدنا. فرمقتنا المرأة بنظرة استغراب.
ولمّا لم نجد ما يناسبنا شكرنا المرأة وخرجنا. وفجأة انفجر زوجي بالضحك وأشار الى لافتة صغيرة كتب عليها: "مصبغة لتنظيف الملابس."

ب.ف.

ان الاحتفاظ برونق الشباب يعني، بالنسبة الى معظم الناس، المحافظة على نضارة الجلد. وتتوقف سرعة تقدمك في السن ظاهراً على عنايتك باهاب جسمك. لكن كثيرين منا يعتبرون تدهور حال الجلد أمراً لا مفر منه ما دمنا نفركه ونغسله من دون مبرر ونتلفه بممارسة العادات المؤذية ونعرضه لعوادي العناصر الطبيعية. وهنا تعليمات مفيدة مستقاة من أفضل المصادر، تساعدك في وقاية النضارة الطبيعية للجلد.



ان المبدأ الاساسي في العناية بجلدك هو ألا ترهقيه أكثر مما ينبغي. فاغسلي وجهك بالصابون اللطيف غير المعطّر، اذا كان عليك أن تستخدمي الصابون اطلاقاً. استعملي الصابون "الكثير الدهن" أو المصنوع من مادة الـ"غليسرين" اذا كان جلدك جافاً، وصابوناً طبياً اذا كانت بشرتك زيتية. شطفي بشرتك بالماء جيداً ثم رشيها بالماء البارد وربتيها لتجف.

اغسلي وجهك مرتين فقط يومياً ومرة واحدة اذا كان جلدك حساساً. فالاكثار من الغسل يزيل الزيت الذي يجعل بشرتك حافظة للماء (تمنع التبخر المفرط للرطوبة) ومانعة للتسرب (تحول دون امتصاص الشحم والسموم من الخارج.)

photo: Anita Schmidt



وربما كان الصابون غير مناسب اذا كان جلدك جافاً أو حساساً أو كنت تزيلين مساحيق التجميل. واذا كان الصابون والماء يجعلان جلدك جاف الملمس ومشدوداً، فعليك بتنظيفه بمستحضر طبي(١).

المواد المرطبة(٢) تضاعف زيت الجسم وتقويه وتؤدي دوراً مهماً في العناية بالجلد اذا استعملت بانتظام وبطريقة حكيمة. وعلى رغم كل المزاعم الاعلانية فليس ثمة مواد مرطبة "تغذي" جلدك. فالطعام هو الذي يوفر الغذاء الذي يمتصه الدم وينقله الى خلايا الجلد. فمن الافضل لك ان تأكلي البيض والعسل والفيتامينات والمعادن بدلا من أن تطلي بها وجهك.

الخلايا التي تلبث مدة طويلة على سطح الجلد تكون غبراء وباهتة، وقد تتقشر وتسد المسام الجلدية مما يؤدي الى ظهور البقع أو البثور السوداء التي تسبغ عليك مظهراً مرقطاً. والقَشر، أو نزع الطبقة الخارجية الميتة من الخلايا، قد يكشف الانسجة الدقيقة التي تحتها. ويقول بعض الخبراء في هذا الشأن ان جلد الرجل يتجعد حول الفم وفوق الخدين على نحو أبطأ من جلد المرأة لان الحلاقة تنزع القشرة الخارجية على نحو طبيعي.

وقد اعتمد المصريون القدماء وصفة مركبة من المرمر والعسل ودقيق الشوفان كعقار للقشر. وفي وسعك أن تحضري مثل هذا المرهم بنفسك من طريق مزج دقيق الشوفان المحمّص بعصير الليمون الحامض وعجن الخليط. والطرق الاخرى للقشر تشمل استخدام القفازات الخشنة وفرشاة "الحك" الدوارة المخصصة للوجه والقناع السالخ(٣).

يجب أن تستخدمي المواد القاشرة بحذر على وجهك. والنساء اللواتي لهن بشرة حساسة أو ميّالة الى التفسخ ينبغي أن يمتنعن عن استعمالها. لكن الجلد القاسي يمكنه أن يتحمّل جلسات السلخ مرتين أسبوعياً باستعمال اسفنجة كاشطة لجعل الجلد يتقشر تلقائياً ولتنشيط الدورة الدموية في الاوعية الدقيقة في البشرة.

وبما أن الجلد يتبدل باستمرار نتيجة للمؤثرات المختلفة، فان ما يكون صالحاً في أحد الاسابيع قد لا يكون مناسباً في الاسبوع التالي. ينبغي أن تعتني بجلدك. واذا بدا لك جافاً ومشدوداً عند الملامسة، فربما كنت تعاملينه بقسوة.

ديبورا هوتون

في صحيفة "فوغ كومبليت بيوتي" ■

(١) Cleansing lotion
(٢) Moisturizers
(٣) Peel-off mask

Photos: Nancy Brown and William Kennedy



الشمس عدوّة الجلد

اذا كان للعناية بالجلد أن تلخص بجملة واحدة، فالاطباء يقولون: "ابتعدي عن أشعة الشمس." فليس ثمة ما يعجّل في تقدم الجلد نحو الهرم أكثر من الاشعة فوق البنفسجية. والجلد الذي تجففه أشعة الشمس يتخدّد ويتجعد. والاسوأ من ذلك أن الشمس تفقد الياف الـ"كولاجين"(٤) مرونتها.

في النهاية يغدو جلدك خشناً وقاسياً كالجلد المدبوغ وتضعف الاوعية الدموية الدقيقة وتفقدين النعومة والمرونة ويزداد احتمال اصابتك بسرطان الجلد. واذا لم تقتنعي بتأثير أشعة الشمس، قارني بين الاجزاء المغطاة جيداً من جسدك، مثل أسفل البطن وباطن الذراعين، والاجزاء المكشوفة كالوجه والعنق وظاهر اليدين.

أشعة الشمس هي السبب الرئيسي للتجعد الذي يمكن درء تأثيره، وكلما بكرت في تحاشيه كان ذلك أفضل لك. وعلى نقيض الوهم الشائع، فان الاسمرار الشمسي ليس مفيداً. حتى الجلد المدبوغ قليلا يكون أصيب بمقدار كاف من الطاقة يجعله يشيخ قبل الاوان.

اذا سترت وجهك وجسمك بغطاء واق من الشمس منذ نعومة أظفارك ولم تفرطي في التعرض للشمس، فمن المحتمل ألا يختلف جلدك في منتصف عمرك الا قليلا عما كان في السن العشرين.

ولكن يجب ألا يعطيك أي غطاء واق من الشمس شعوراً كاذباً بالأمان، فحتى أقوى المستحضرات تسمح لمقدار مهم من الاشعاعات الشمسية بالوصول الى الجلد.

الدكتور فريدريك هابرمان ودنيز فورتينو في "جلدك: دليل الى حياة جمال وصحة" ■

حَبّ الصبا

العُدّ أو حب الصبا هو أوسع أدواء الجلد انتشاراً. انه عرض طبيعي، لكنه علة يمكن تخفيفها الى مدى بعيد أو حتى ازالتها بالمعالجة المناسبة. وعلى الاهل أن يأخذوا أبناءهم الى خبير لدى ظهور أولى علائم هذا الداء لتجنب التشويه الذي يحدثه. ومعظم الندوب التي تنتج من هذه العلة لا ينشأ من البثور ذاتها بل من المحاولات الخاطئة للقضاء عليها.

القذارة لا تسبب العُد، والفرك من شأنه أن يزيده سوءاً. تجنبي استعمال المنظفات الحبيبية والاسفنج الكاشط ومماسح الغسل التي قد تفقأ احدى البثور فتتفاقم الحال. وبدل ذلك ادهني الجلد بمنظف لطيف محضّر خصوصاً للجلد

(٤) الكولاجين هو المادة البروتيينية التي في النسيج الضام وفي العظام.

Photos: left, Jawitz; right, Janeart Ltd. and Rich…l Steedman

المعرض لبثور العُد، مستخدمة كتلة نظيفة من القطن الطبي. ثم اغسليه بالماء البارد.

الكحول يزيل الزيت عن الجلد ويجففه ويسبب تشققه وتراكم الجلد الميت. استعملي مستحضراً يحتوي على مواد مجففة لطيفة مع عقار مضاد للجراثيم مثل حمض الـ"ساليسليك" والكبريت مع الماء للترطيب.

وعلى رغم ما يقال من أن العد ينشأ من أطعمة كالشوكولاتة والبطاطا المقلية، فلم يثبت أحد صحة هذه المزاعم بالنسبة الى مجموعات كبيرة من المصابين.

وفي ما يختص بالعقاقير التي تباع من دون وصفة طبية، فان الـ"بنزويل بيروكسيد" يساعد في تخفيف قروح العد، لكن كثيرين من الناس لا يحتملون قسوة هذا العقار. جرّبيه على بقعة من جسدك واطلي به منطقة صغيرة من ذراعك وانتظري ٢٤ ساعة لتري هل ستعانين رد فعل عكسياً. ثمة مستحضرات مثالية تحتوي على الـ"ريسورسينول" والكبريت ويبدو أنها تشفي القروح ولا تسبب كثيراً في احداث تهيج بالجلد.

الـ"آكوتان" عقار مشتق من الفيتامين "أ" وقد أقرت ادارة الغذاء والدواء الامريكية عام ١٩٨٣ استخدامه فقط في معالجة العُدّ الحاد. وحقق هذا العقار نجاحاً كبيراً في شفاء القروح، لكنه لا يخلو من أعراض جانبية، منها جفاف الاغشية المخاطية والتهاب الملتحمة (باطن الجفن) وآلام المفاصل والعضلات وتساقط طفيف في الشعر وارتفاع مستوى الاحماض الدهنية ("تريغليسريد") في الدم. ولا يجوز أن تتعاطاه النساء الحوامل أو اللواتي يخططن للحمل خلال فترة المعالجة. وكثيرون من الاطباء يطلبون من النساء المصابات اجراء فحوص مخبرية قبل وصف هذا العقار لهن.

ويأمل الباحثون في تطوير عقار يحرز نجاح الآكوتان من دون أن يسبب أعراضه الجانبية.

ليا شور وشاري ميلر

في "دليل العناية بالجلد للرجال" ■

الشيخوخة الموجودة

مع التقدم في السن تفرز الغدد في جسمك مقداراً أقل من الزيت، ولذا يصبح جلدك أجف ويبدو كصحيفة خشنة. الطبقة السطحية تتجدد مرة كل ٣٠ الى ٣٥ يوما بدلا من ٢١ الى ٢٣ يوماً، والأدمة الجلدية (dermis) تستغرق وقتاً أطول لانتاج مادة الكولاجين فيبدو جلدك مترهلا. ثم ان التعرض لاشعة الشمس على مدى سنوات يمكن أن يطلق تفجرات مركزة من الـ"ميلانين" تعرف ببقع الشيخوخة.

المواد المرطبة التي تحوي الحمض الـ"رتينوي"(٥) وهو نوع اصطناعي من الفيتامين "أ"، هي أقرب المستحضرات الى ازالة التجاعيد. والحمض الرتينوي يزيد من جريان الدم ويحفز خلايا الجلد لانتاج الكولاجين فيكسبه نضارة. وهذا قد يزيل التجاعيد الطفيفة ويجعل التجاعيد العميقة أقل ظهوراً للعيان. وفي الوقت

(٥) Retinoic acid

الحاضر لا يتوافر الحمض الرتينوي الا بوصفات طبية.

قد لا يمكنك اليوم ان تشتري أي عقار يزيل التجاعيد من دون وصفة طبية، لذلك فالسبيل الافضل المتاح لك هو منع حدوثها أو منع ما هو قائم من التفاقم. ويمكنك أن تباشري ذلك باستعمال النظارات الشمسية ذات النوعية الجيدة في مواجهة النور الساطع لكي لا تضطري الى تقليص جفونك. فالعبوس والابتسام والنظر بعينين نصف مغمضتين تؤدي الى تفاقم التجاعيد. ولن يوصيك أحد بالامتناع عن الابتسام، لكنك تستطيعين الاستغناء عن العبوس دونما ازعاج. واذا كنت معتادة زم شفتيك أو التجهم فيما أنت تفكرين، حاولي التخلص من هذه العادة.

والتمرين عموماً مفيد لجلد جسمك لانه يحسن جريان الدم والمغذيات الى أنسجة الجلد. غير أن بعض التمارين المخصصة للوجه يزيد التجاعيد، هكذا يقول الطبيب البرت كليغمان مدير عيادة شيخوخة الجلد في مستشفى جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا. ويضيف: "ان لعضلات وجهك غاية واحدة فقط وهي فتح فمك وجفونك واغلاقها. وهكذا فان وجهك يحصل على مقدار كاف من التمرين.

واليك بعض التدابير التي تستطيعين اتخاذها لحماية جلدك:

١. اذا كنت تدخنين، أقلعي عن التدخين. فالمدخنون تظهر على وجوههم تجاعيد أعمق وأوضح عند الزوايا الخارجية لأعينهم، كما ان الجلد الخلفي لرقابهم يبدو مرقعاً. ويكون جلد المدخن باهتاً شاحباً بدلا من أن يكون مورداً. والتدخين يجعل الجلد أكثر تعرضاً لضرر أشعة الشمس.

٢. اختاري الوزن الذي يناسب جسمك والزميه، فالحمية العنيفة والتقلبات في الوزن تجعل الجلد مترهلا ومتجعداً.

٣. خففي الحرارة وزيدي الرطوبة. البيئة الباردة والرطبة (بدرجة رطوبة بين ٥٠ و٦٠ في المئة هي التي توفر خير راحة لجلدك. والجلد الذي يتعرض في الشتاء للهواء المدفأ الى درجة حرارة عالية داخل البيوت وللهواء القارس في الخارج قد يفقد الماء بمعدل ١٤٠ ضعفاً مما يفقده في الطقس الرطب، الامر الذي يجعله جافاً وخشناً.

٤. ابقي على مسافة مناسبة من مصادر الحرارة كالمواقد المكشوفة، ولا تستعملي العاكسات الشمسية للتعجيل في اسمرار جلدك.

شارون فيلتن

في "حياة من الجمال" ■

كلمة أخيرة

لكي تبقي شابة نضرة، يجب أن يتغذى جلدك من الداخل. ويعتقد بعض العلماء ان من الممكن ابطاء معدل فقدان الجلد مرونته ورطوبته بتناول أطعمة غنية

Photo: Nancy Brown

بالمواد المقاومة للتأكسد(٦) وهذه تشمل الفيتامينات "أ" و"ج" و"هـ" و"ب - ١" و"ب - ٥" و"ب - ٦" (٧) ومعادن التوتياء (الزنك) والـ"سيلينيوم" والحمض الاميني "سيستين" المتوافر في البيض والـ"بيوفلافونويد السيتري" المتوافر في الثمار والاحماض الدهنية غير المشبعة مثل زيت دوار الشمس ونبات العصفر. وهذا يعني تناول غذاء يشدد على الثمار والخضر النيئة (مصادر الفيتامينين "أ" و"ج") والحبوب الكاملة غير المقشورة (للحصول على الفيتامين "ب" المركب والفيتامين "هـ" والسيلينيوم والالياف) ومقدار مخفف من البروتيينات الحيوانية والدهون.

ان الضمان الافضل ضد الجلد المخدّد المدبوغ هو العناية اليومية العاقلة داخل البيت وخارجه، فقصِّري مدة الاستحمام في المغطس وبالمرشة (الدوش) واستعملي المواد المرطبة بعد تعرض جلدك للماء وحافظي على صحتك وراحتك وتناولي غذاء جيداً.

هذه التدابير البسيطة تعود عليك بفائدة مهمة، فيبقى وجهك في أوج نضارته بعد عشر سنين أو عشرين أو خمسين سنة.

هابرمان وفورتينو
في "جلدك" ■

(٦) Anti-oxidants

(٧) Vitamins A, C, E, B-1, B-5, B-6

مكنونات الصدور

- .اني متحرقة الى الافضاء بمكنونات صدري.

"هيا، فأنا صديقتك الحميمة."

- لا، لا، أنا أعرفك جيداً.

د.م.

عصر الالكترون

قال المدير لطالبة العمل: "آسف يا آنسة فخبرتك بهيكلية الدماغ الالكتروني وبرمجته وتحليل عملياته لم تعد كافية. اننا نطلب الآن درجة دكتوراه في الميكانيكا الكمية من السكرتيرات اللواتي يعملن لدينا."

إ.ش.



«ثمـرة الخلود»

كان الفطر في الماضي حكراً للعائلات المالكة. أما اليوم ففي وسع كل من يهواه أن يتلذذ به مثل فرعون

بين ليلة وضحاها يبرز الفطر بغموض من أديم الارض مثل مظلة صغيرة تتفتح من دون أوراق ولا جذور ولا حاجة الى أشعة الشمس. ليس الفطر في حقيقته خُضاراً. والفطر الصالح للأكل يعتبر واحداً من أفخر الاطعمة وأكثرها تغذية وأوسعها شعبية.

يعتبر البحث عن الفطر البرّي هواية خطرة يمارسها متذوقوه. وعائلة الفطر

Illustrations: Howard S. Friedman

ضخمة حقاً(١) ومعقدة وتضم بعض الاصناف السامة وقلة منها قاتلة. ومن سوء الحظ أن التمييز بين هذه الاصناف أمر عسير.

وقد تكون المطاعم الايطالية والفرنسية أفضل الاماكن وآمنها لتناول الفطر الفاخر، مثل السيب والشانتريل والغريسيه والموريل والبورشيني. فطهاة هذه المطاعم، الاوروبيون أو المدربون في أوروبا، ما زالوا يجعلون منها طعاماً شهياً وأمينا منذ قرون. ولما كانت هذه الانواع الفاخرة باهظة الثمن، فمن الأفضل لك أن تشتري من متجر البقالة الفطر المعلّب من نوع "آغاريكوس بيسبوروس"(٢) وهو نوع شعبي يزرع وينتج منه ثلاثة أصناف: الأبيض بقبعته المستديرة الناعمة والبني والقشدي اللون.

واعداد الفطر يتطلب عناية خاصة. وقد سمعت مرة أحد المتسوقين يقول لآخر: "لا تشتر هذه ذوات الرؤوس المغلقة، انها غير ناضجة."

هذا خطأ. فالفطر لا ينضج، بل انه يبلغ وفي النهاية يذوي. والنوع الجامد الرأس هو الذي يجب أن ينتقى. تجنبي الفطر ذا "الخياشيم" المكشوفة تحت جوانبه الا اذا كنت تنوين أن تطهيه على الفور. هذه الخياشيم تدل على فقد الرطوبة وسرعة التلف. تحاشي كذلك الفطر الهش المبقع واللزج لأنه موشك على التلف.

قيمة غذائية – يدوم الفطر موضباً مدة سبعة أيام فقط، غير أن التبريد قد يبطىء الاهتراء. ويمكنك أن تبقي الفطر النيء في علبة بشرط أن تفتحي فيها ثقوباً للتهوئة. ويمكن وضعه كذلك في كيس ورق غير محكم الاغلاق أو على طبق مغطى بمنشفة ورق مبللة. ضعي الفطر على رف يسمح للهواء بالمرور حوله، ولا تضعيه أبداً على الرف الأسفل.

لا تقشري الفطر أو تنقعيه في الماء، فانك بذلك تزيلين ما فيه من مغذيات وتفسدين نكهته. واذا دعت الضرورة فيمكنك أن تغسليه بالماء بسرعة ثم تجففينه أو أن تمسحيه بقطعة قماش مبللة. ولا تفرطي في طهوه. وحينما تشرع قطع الفطر في نضح رطوبتها في المقلاة تصبح جاهزة للاكل. ويخطىء كثيرون اذ يطهون قطع الفطر حتى تسبح في مائها وبعد ذلك يرفعون درجة الحرارة ليتبخر الماء، فتكون النتيجة أقراصاً مطاطة تؤكل مع اللحم.

يستحق الفطر ما يتطلبه من عناية اذ انه طعام لذيذ. وهو يكاد يخلو من الدهن والسكر والصوديوم، ومع ذلك فهو يوفر الكربوهيدرات الصحية والألياف. ويحتوي الفطر على الكلسيوم والحديد والبوتاسيوم والفوسفور والمغنيزيوم، وهي كلها مواد مغذية أساسية، اضافة الى الثيامين والريبوفلافين والنياسين والحمض الفولي. وفي الكيلوغرام الواحد من الفطر ٢٢٠ وحدة حرارية فقط، وفي ملء كوب منه ٢٠ وحدة حرارية.

وقد عُرف الفطر البري في الحضارات القديمة في مصر وروما والصين. وكان الفراعنة يحتكرونه لأنفسهم مقررين انه رهيف جداً بحيث لا يلائم العامة الذين

(١) هناك نحو ٣٨ ألف نوع من الفطر.
(٢) Agaricus bisporus

يمكنهم أن يأكلوا الثوم. والرومان على غرارهم حصروا استهلاك الفطر بالنبلاء. وبعد اقتناعهم لاحقاً بأن الفطر يوفر القوة لجنودهم سمحوا لهم بأكله. أما الصينيون القدماء فدعوا الفطر "ثمرة الخلود".

الشيتاكي الثمين - يعتقد أن القدماء كانوا يأكلون ما يسمى اليوم "فطر الحقول" لأن زراعة الفطر لم تعرف الا في القرن السابع عشر في فرنسا. ففي العام ١٦٧٨ أوضح العالم النباتي الفرنسي مارشان أمام هيئة أكاديمية العلوم كيف أن الشعيرات البيضاء التي تنمو في التربة تحت الفطر تنتج مقادير وافرة منه اذا نقلت الى تربة ملائمة. وباريس هي من الناحية الجغرافية المكان الافضل لزراعة الفطر. وتحوط المدينة مغاور للمقالع، وحين استهلك ما فيها من حجار جاءها الحدائقيون الفرنسيون وبدأوا يزرعون الفطر في التربة المماثلة للتي كانوا يزرعون فيها الشمام، بعدما عززت طبقتها العليا وسُمدت بروث الخيول. وأول أنواع الفطر المزروع دعي "فطر باريس" ولا يزال يزرع حتى اليوم.

المعالج النباتي غاري شرودر صاحب مزرعة للفطر في ولاية بنسلفانيا الامريكية، حقق اكتشافاً مهماً في زراعة أحد أكثر أنواع الفطر رواجاً في العالم، وهو البني الباهت الآسيوي الذي يدعى شيتاكي. وكان هذا النوع يستورد مجففاً من الخارج، ومن اليابان على نحو رئيسي. والشيتاكي الذي يدعى أيضاً "فطر الغابة السوداء" ينمو عادة على جذوع الاشجار. وقد ابتدع اليابانيون طريقة لزرعه على جذوع طبيعية مقطوعة، لكن قطاف المحصول كان يتطلب سنتين من الانتظار مما يجعله باهظ الثمن.

يمزج شرودر نشارة الخشب المشبعة بالمواد المغذية مع كمية مكملة من الحبوب مخصبة ببذار الفطر، ويصنع من المزيج أشباه جذوع. وفي أقل من مدة شهرين يبدأ قطاف الشيتاكي الامريكي.

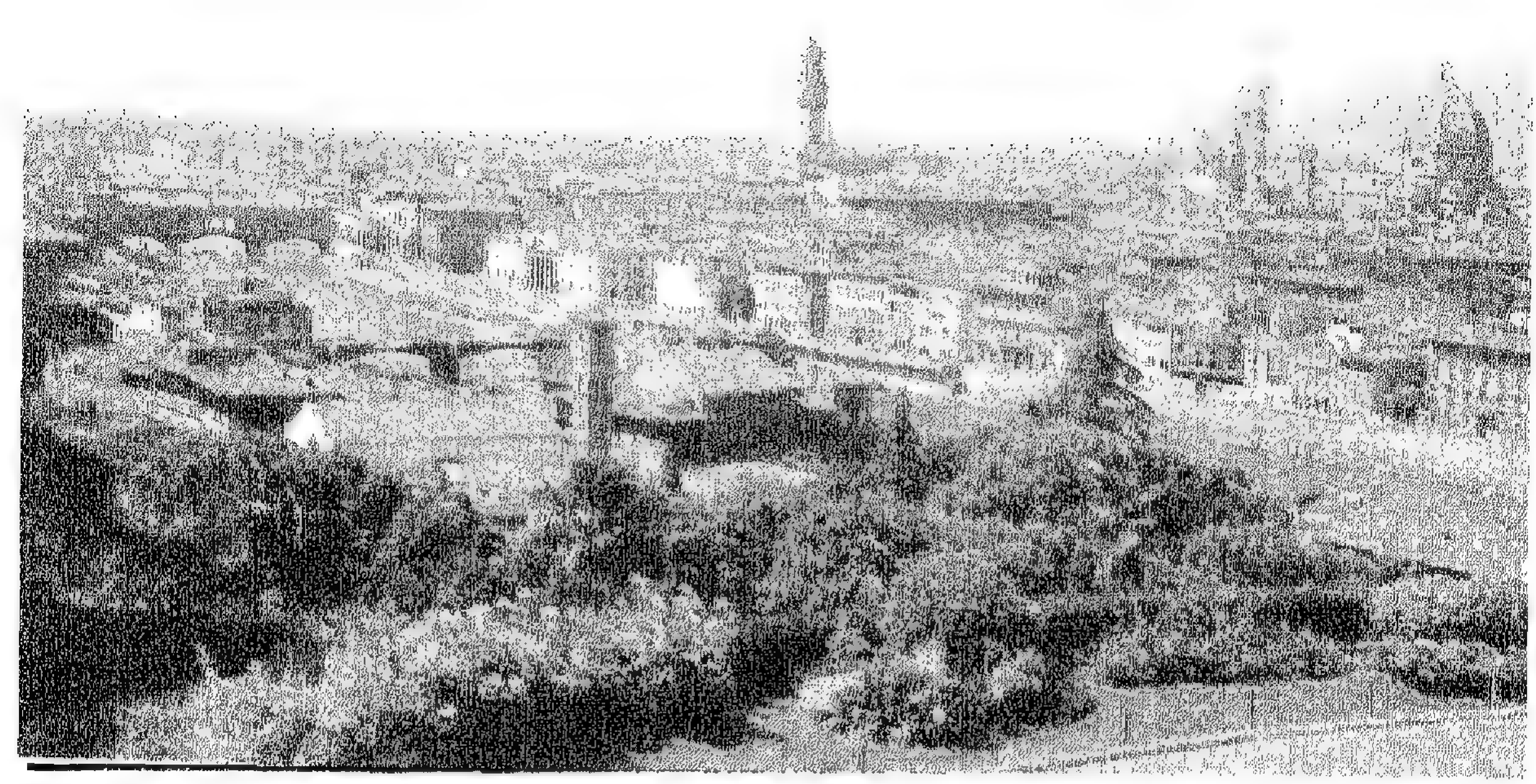
وقد أدهش شرودر مزارعي الفطر الآخرين، خصوصا اليابانيين، بتوضيب نحو ٣٠٠٠ كيلوغرام من الشيتاكي وشحنها كل أسبوع.

قال لي شرودر: "من دواعي سروري أن يأتيني اليابانيون ليروا كيف استطاع مزارع من بنسلفانيا أن يبزهم في زراعة الفطر."

الفطر طعام يليق بالملوك... وبنا جميعاً. وقد قال طاه بريطاني شهير في مقابلة تلفزيونية: "ان للفطر قدرة سحرية، فهو يصنع من المبتذل شيئاً رائعاً."

جاك دنتون سكوت ■

ايجابيات الحمية انها تحسن قابليتك للاكل. أ.و.



nley / Shostal Associates

آرنو يقسم المدينة قسمين، وتبدو وراءه التلال الزرقاء.

فلورنسا زهرة إيطاليا

الزهرة شعارها والجاذبية من سمات أهلها وأوروبا اختارتها لتكون عاصمتها الثقافية

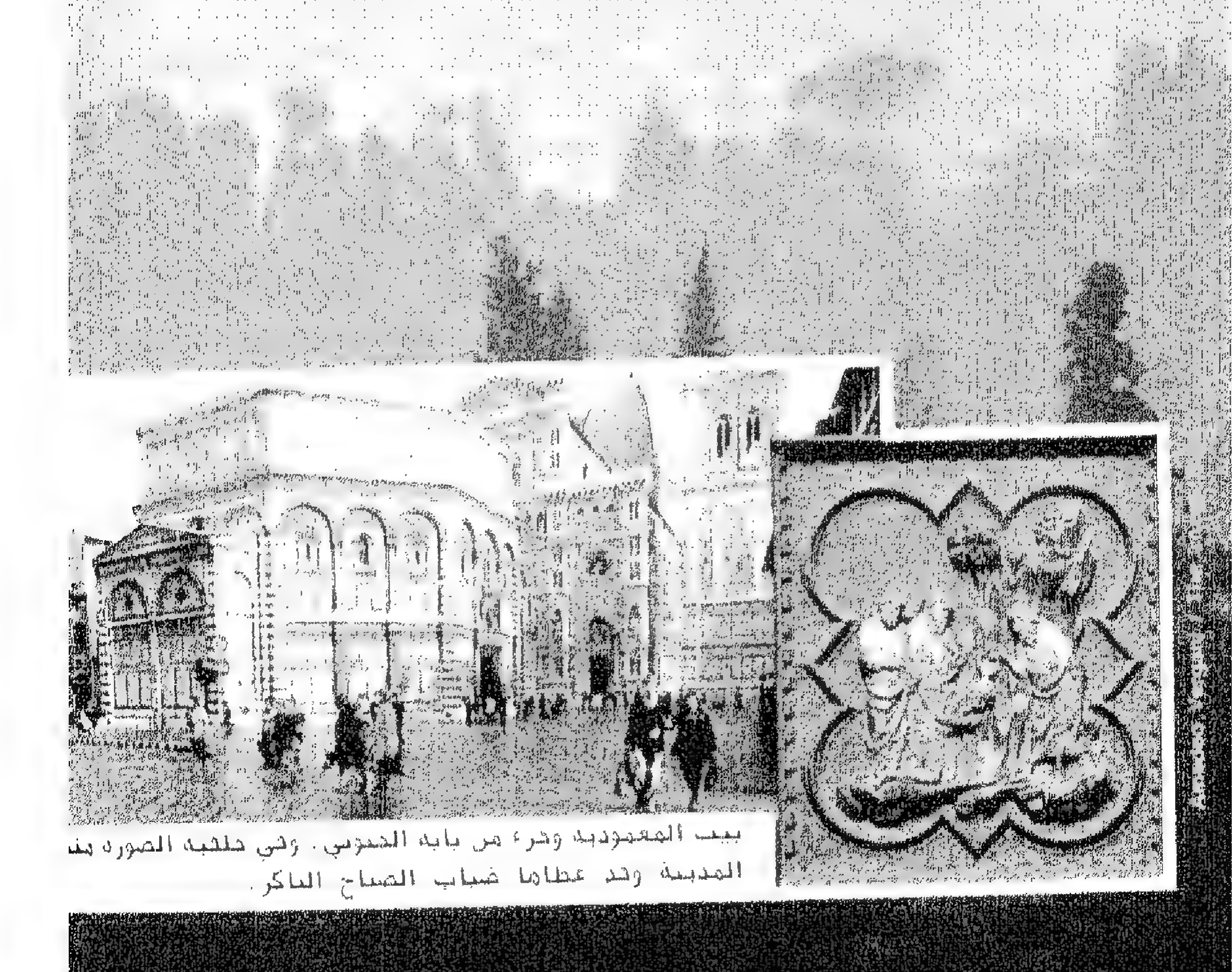
صباح أحد أيام الربيع المشرقة وقفت في ساحة "سان ميناتو آل مونتي" فوق تلة مشرفة على مدينة فلورنسا الايطالية، فبدا منظر المدينة أمامي مجللا بالمجد. شاهدت القبة السامقة وبرج الناقوس والى يسارهما حافة جدار "بالاتسو فيكيو " وهي دار البلدية التي بنيت في القرون الوسطى. وشاهدت أيضاً نهر آرنو الذي يقسم فلورنسا قسمين غير متساويين، وبدت خلفه أشجار الزيتون وكروم العنب على التلال. وظهرت فلورنسا في أبهى صورها تنتظر قدوم ملايين السياح.

ويبلغ عدد سكان هذه المدينة النبيلة ٤٤١ ألفاً. وهي تبعد عن روما نحو ٢٧٠ كيلومتراً. والمعلوم أن عدد العظماء

الذين ارتبطت بها أسماؤهم كان كبيراً جداً وقلّ أن نجد له مثيلا في أماكن أخرى. ففي فلورنسا نظم دانتي قصائده الأولى. وفيها رسم رافاييل أروع لوحاته ونحت ميكلانجلو عدداً من تماثيله الرائعة واكتشف برونلسكي قوانين الرسم المنظوري.

واستلهم الرومان القدماء وادي آرنو الذي يكثر فيه الزهر فأطلقوا على مستعمرتهم هناك اسم فلورنسا أي "المزدهرة" ولا تزال الزهرة هي الشعار الرسمي لفلورنسا والملحوظ أن المقاعد الحجرية البارزة من أساسات القصور القديمة حُوّلت منصات للزهر بحيث يبدو الزنبق طالعاً من الحجر البارد. ولا ريب في أن فصل الربيع هو أهم فصول السنة في المدينة حيث يقدّم المهرجان السنوي للموسيقى باقة من الاوبرات والحفلات الموسيقية وعروض الباليه فيما تصدح العنادل وطيور الصِّفْنَج في حدائق الفيلات الفخمة القديمة.

قوم تجّار – من السمات التي تميز أهل فلورنسا حب الخصام وسرعة البديهة

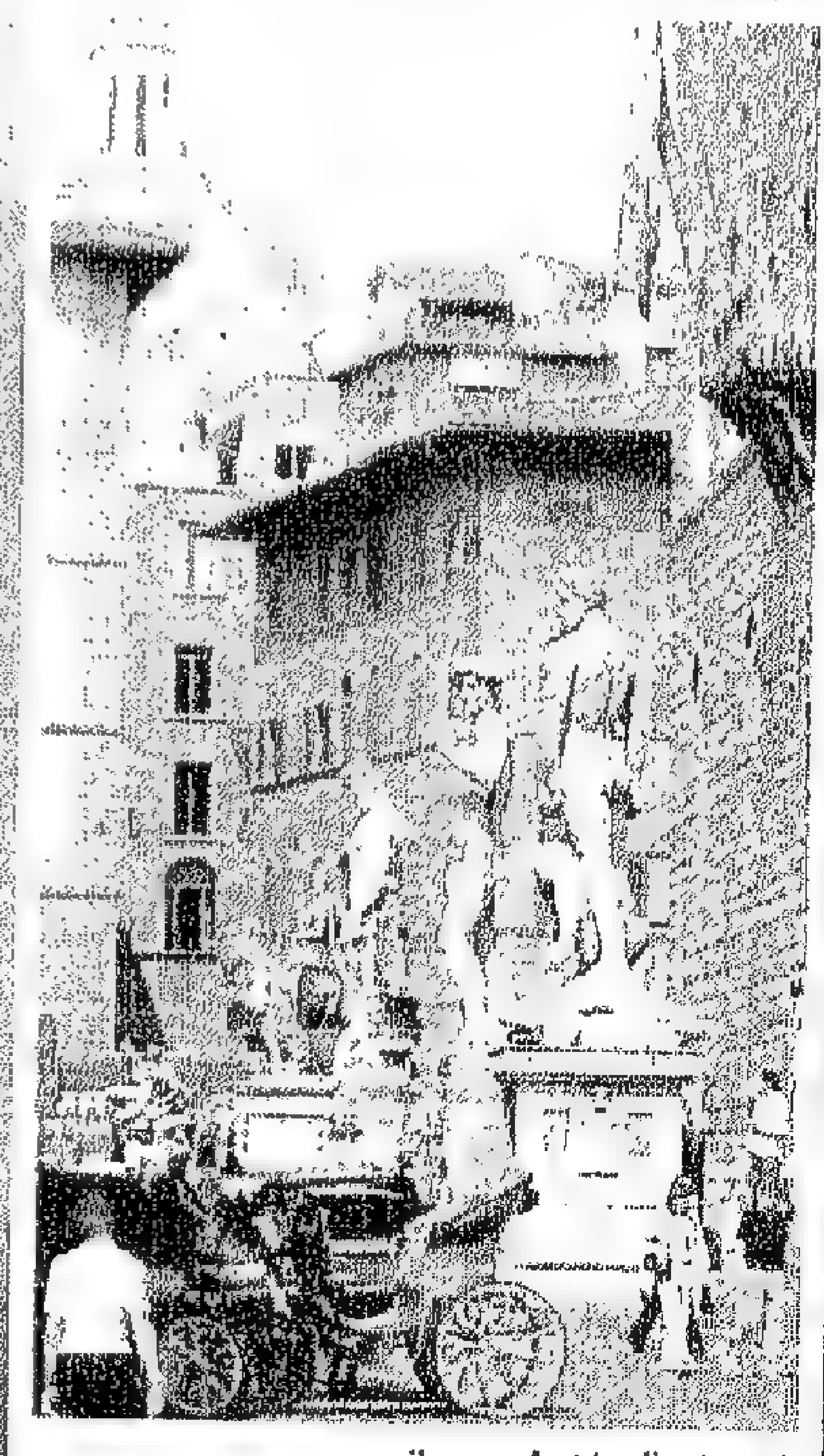


بيت المعمودية وجزء من بابه الجنوبي. وفي خلفية الصورة مشهد المدينة وقد غطاها ضباب الصباح الباكر.

والمظهر الحسن والعمل الدائب والجاذبية. والى ذلك فهم متفوقون في التجارة وناجحون في مهنهم ويحافظون على مستويات ثقافية عالية. فالمكتبات والمسارح مزدحمة دائماً والناس يحفظون أشعار دانتي غيباً. ومن الواضح أن الوعي الطبقي في فلورنسا لا يزال عاملا مؤثراً. فعلى رغم أن منح الألقاب النبيلة توقف فالمواطنون ما زالوا ينادون الكونت والبارون بلقبيهما وجرت العادة أن تخالط النخبة من أهل المدينة السكان الأجانب ومن المألوف أن نجد هؤلاء وأولئك عند الظهر في مقهى بروكاتشي يرثون الحال التي آل اليها العالم.

ويرى محبو الفن والهندسة المعمارية أن فلورنسا هي رحلة إلى الماضي. فقد خلّفت فيها القرون الوسطى متاهة من الازقة تقوم فيها بيوت ذوات واجهات ضيقة وافريزات متدلية تكاد تتلاقى في الوسط لتوفر ظلالا في الأيام الحارة.

ويرجع قسم وافر من تراث فلورنسا إلى عصر النهضة ويتجلى في كثير من أبنيتها العامة وفي نحو مئة قصر خاص لها واجهات فخمة وفناءات تقوم فيها



الساحة الرئيسية "بياتسا دلا سنيوريا".



عربات تنتظر الركاب في "بياتسا دلا سنيوريا".



"البونتي فيكيو" ممتداً على طول نهر آرنو. والى اليمين، أحد المحلات القائمة على الجسر.

أعمدة. والواقع أن الأراضي الواسعة التي تكثر فيها زراعة القمح والفاكهة جعلت فلورنسا مدينة غنية. وساهم في هذا الغنى أيضاً نزوع الاهالي الى التجارة على نحو غريب. وقد بقي النزوع سمة مميزة للمدينة. واللافت أن فلورنسا التي كانت تستورد الصوف من اسبانيا وبريطانيا سرعان ما أخذت تزوّد العالم المتمدن القماش. والسفن الفلورنسية كانت تحمّل من شرق المتوسط كنوزاً مثل صدف المرِّيق (الموركس) الذي يستخرج منه الصباغ الأرجواني الثمين. أما أصحاب المصارف الفلورنسيون فكانوا يسلِّفون الحكام الأجانب مبالغ من المال كبيرة كي يظل هؤلاء محتفظين بعروشهم. وأما القطع النقدية الذهبية الخاصة بمدينة فلورنسا فقد سُكّت للمرة الأولى عام ١٢٥٢ ونقشت عليها صورة زهرة. ومن ثمّ دعيت "فلورين"، وهي باتت الوسيلة المفضلة للتبادل النقدي في التجارة.

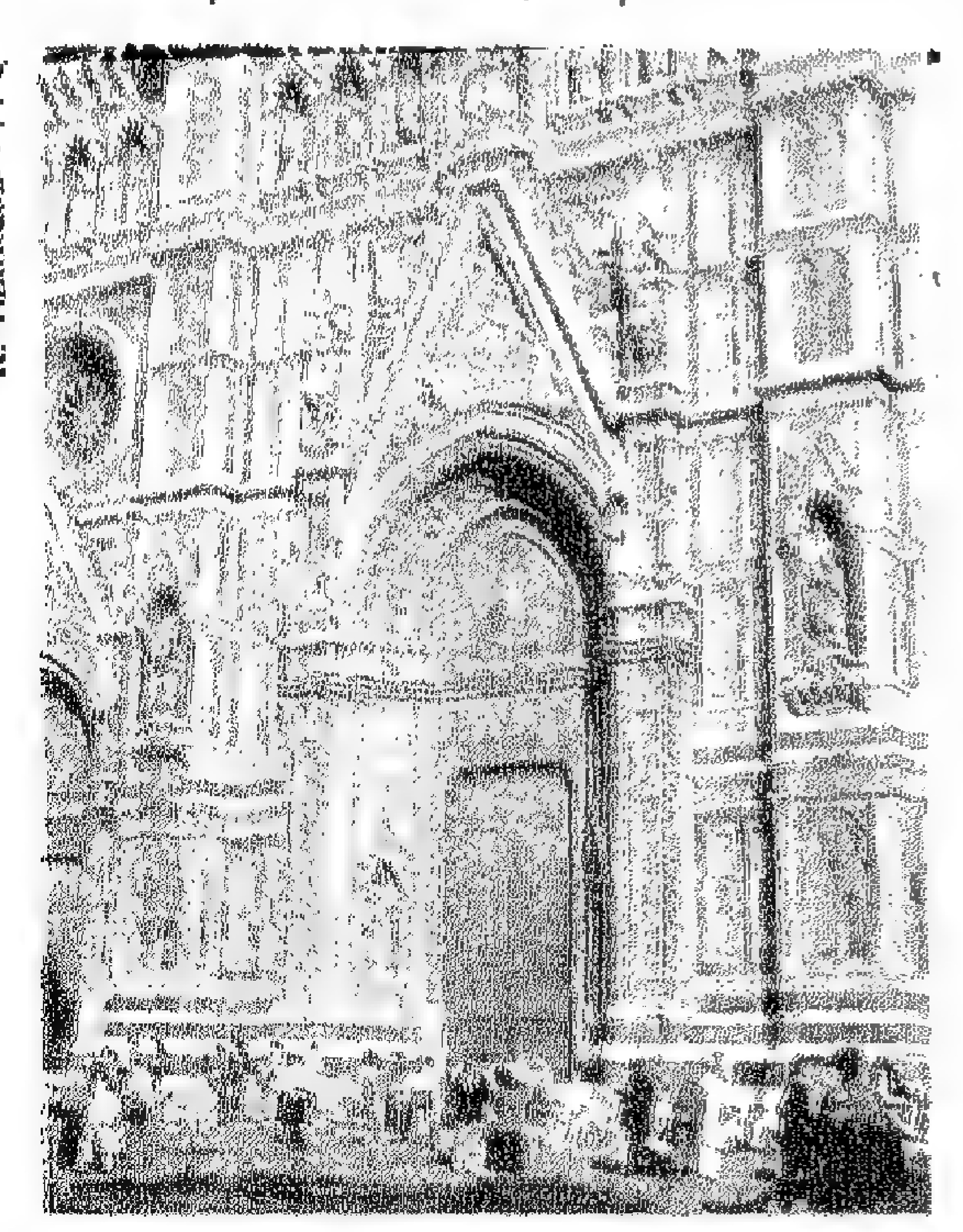
من عجائب العالم - علينا التروّي في تذوق طيبات فلورنسا. وأنا أودّ أن أبدأ جولاتي فيها بالساحة الرئيسية "بياتسا دلا سنيوريا" حيث نرى الفلورنسيين جالسين في المقاهي في الهواء الطلق وهم يشربون قهوة الاسبريسو ويقرأون الصحف. وفي الساحة نفسها نشاهد العربات واقفة في الظل وهي تنتظر من يستأجرها وقد غلب سائقيها النعاس. وتحت قناطر "لوجيا دي لانتسي" ينتصب تمثال فرساوس البرونزي الذي صنعه بنفينوتو تشليني عام ١٥٥٤ حاملا رأس المدوزة ذات الشعر الأفعواني. وفي مكان قريب يلوح بناء بالاتسو فيكيو الذي يشبه منحدراً صخرياً والذي شيد للمرة الأولى بين ١٢٩٩ و١٣١٤. ويشتمل هذا البناء على كتل من الحجار الرملية انعكس عليها ضوء أصفر باهت، وفيه برج دقيق يرتفع ٩٤ متراً ويعلوه أسد واقف على قائمتيه الخلفيتين. وفي هذا القصر كان نيكولو ماكيافيلي يجلس في مكتبه في الطبقة الثانية ويساعد في رسم السياسة الخارجية لتوسكانا.

وإذا مشينا نزولا مدة عشر دقائق انتهينا الى "فيا دي كلتسيولي" أي شارع بائعي الجوارب، وهو عريض وفيه ثلاثة أبنية ضخمة هي بيت المعمودية وبرج الناقوس والكاتدرائية. ولا أحد يعلم متى شيّد بيت المعمودية، لكننا نعلم أن دانتي عُمِّد فيه وأنه بلا ريب أقدم الصروح التي لا تزال قائمة في فلورنسا. وهذا الصرح الرائع في تناسبه والمغطى بالرخام هو مثمّن كامل وله سطح واطىء مظلي الشكل. وفي الداخل يبدو السقف مزيناً بفسيفساء ذهبية وامضة. على أن أعظم ما في هذا البناء ناحيته الشرقية حيث مجموعة الأبواب البرونزية التي صنعها الحداد الفلورنسي لورنتسو غيبرتي.

أما برج الناقوس (كامبانيلي) الذي يبلغ علوه ٨٥ متراً وصممه جيوتو فهو أيضاً مغلف بالرخام. ويشتمل على نوافذ ذوات قناطر عالية على الطراز القوطي مزينة بزخارف رخامية بيضاء وزهرية وخضراء وتبدو من صنع رجل مارس استعمال الفرشاة أكثر مما مارس استعمال الخط العمودي.

وأما الكاتدرائية التي يبلغ طولها الداخلي ١٣٥ متراً فهي واحدة من أكبر كنائس أوروبا. ولا شك في أن أروع ما فيها القبة الضخمة القفيرية الشكل التي شيدها بين ١٤٢٠ و١٤٣٦ فيليبو برونلكسي، العالم الرياضي والشاعر والحداد والمهندس المعماري والنحات الذي حوت عبقريته براعات عصر النهضة جميعاً. ويبلغ قطر فتحة هذه القبة ٤٢ متراً وترتفع ١٠٧ أمتار. والمذهل أنها شيدت من دون سقالات وصُنّفت في وقت مضى في عداد عجائب العالم. وهي تشتمل على هيكل داخلي وآخر خارجي تفصل بينهما سلّم لولبية. والزائر الذي يغامر بالوصول إلى أعلاها يكافأ بمشاهدة منظر شامل أخّاذ للسطوح المسفوعة والآفاق الخضراء.

عاصمة الفن - كانت مدينة فلورنسا في القرون الوسطى دولة حرّة وأحرزت نجاحاً باهراً في تجربتها الديموقراطية. ثم أصابها الاختناق بعد العام ١٤٠٠ إذ تسلّطت عليها أسرة ميديتشي الغنية وحكمتها ثلاثة قرون ونصف قرن. وتمكن المواطنون من طرد أعضاء هذه الأسرة ثلاث مرات، إلا أنهم كانوا يعودون كلّ مرة الى حكم المدينة وينتقمون من خصومهم أشد الانتقام. وهؤلاء الحكام جعلوا



K. Reinhard / FPG

واجهة "سانتا ماريا دل فيوري".

فلورنسا المحور الفني والثقافي لاوروبا. وفي عهد لورنتسو الكبير (١٤٤٩ - ١٤٩٢) عرفت فلورنسا عصرها الذهبي وبدت قريبة الى ما هي عليه اليوم.

والواقع أن الوقت الذي يمضيه السائح العادي في فلورنسا يكاد لا يسمح له بالتمتع على نحو تام بالكنوز الكثيرة التي في متاحفها. ومن معالم المدينة "الاكاديمية" التي تضم تمثال ديفيد الرخامي الضخم للنحات ميكلانجلو، و"بالاتسو بيتي" حيث لوحات رفاييل وتيتيان، والاوفيتسي حيث تعرض لوحتان من روائع ساندرو بوتيتشلي هما "الربيع" و"ولادة فينوس" اللتان كلفته أسرة ميديتشي رسمهما، كما تعرض روائع فنية كثيرة أخرى.

وعلى رغم شهرة فلورنسا كعاصمة للفن في أوروبا فهي في المقام الأول مدينة عمل. انها موطن اميليو بوتشي مصمم الازياء العالمي والمركيز الذي يرجع نسبه إلى سبعمئة سنة خلت (يُظنّ أن أجداده كانوا في عداد أوائل التوسكانيين الذي استعملوا السكين والشوكة في طعامهم.) وهي أيضاً موطن السيدة فاندا فيراغامو التي أظهرت حزماً وقوة حين أدارت بمساعدة أولادها الستة مشروع زوجها الراحل لصناعة الأحذية والملبوسات الجاهزة، ذلك المشروع الذي تقدّر قيمته بملايين الدولارات. وفلورنسا هي أيضاً مركز امبراطورية "غوتشي" الشهيرة ببضاعتها الجلدية. فهذه الشركة العائلية تضم الآن تسعمئة موظف وتسوّق منتجاتها في ١٥٠ مكاناً في العالم وتقدر مبيعاتها سنوياً بنحو مئتي مليار لير إيطالي (١٢٥ مليون دولار).

لا يزال حائكو فلورنسا ينتجون الحرير المطرّز الذي يباع بالمتر ويرسمون عليه أنماطاً من الزهر الرقيق كتلك التي نشاهدها على ثياب عذارى بوتيتشلي. وفي مشاغل المنمنمات(★) ينشط العمال في نشر الخشب والتغرية واستخدام المطارق وسبائك اللحام فيحوّلون الأُطر الخشبية المنقوشة باليد فسيفساء ملونة. ونجد في محلات الطرائف أثاثاً من خشب الجوز صنع في القرن السادس عشر ولوحات وتماثيل وشمعدانات كانت تزين بعض القصور. وفي شارع "بونتي فيكيو" الزاخر بالمحلات التجارية يعرض اثنان وثلاثون من باعة الجواهر بضائعهم التي تشتمل على سلع مبهرجة زائفة كما على أساور من الياقوت والألماس. وفي "السوق الجديدة"، وهي عبارة عن قاعة سامقة أكمل بناؤها عام ١٥٥١، نجد كتاناً مُطرزاً وأدوات مصنوعة من القش ومظلات خضراء كبيرة يستعملها سائقو العربات.

والمأثور عن أهل فلورنسا أنهم يحبون تناول العشاء خارج بيوتهم. ولئن تكن المدينة تعجّ بالأماكن التي تقدّم الطعام السريع فانها مفعمة أيضاً بالمطاعم المريحة التي تقدّم ألواناً من ألذّ أطعمة منطقة البحر الابيض المتوسط. وكثيراً ما تجتمع عائلات برمتها في هذه المطاعم في جوّ يسوده الفرح لتناول وجبة توسكانية مكونة من حساء الفاصوليا

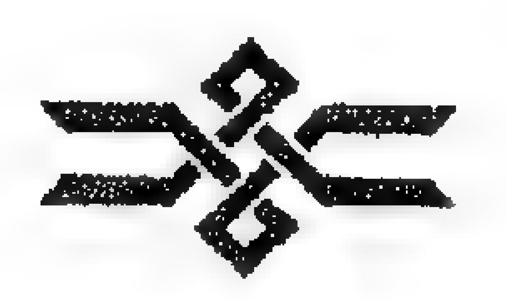
(★) رسوم ونقوش صغيرة على عاج او معدن او غير ذلك.

البيضاء و"لحم فلورنسا" الشهي والسلطة المشوية بنكهة الزيت الصافي المستخرج من زيتون توسكانا وجبنة الغنم والاجاص اللذيذ.

وفي المساء الأخير الذي سبق مغادرتي فلورنسا شاركت في وليمة مماثلة فتذوّقت حلاوة الحياة بالطريقة التوسكانية.

وفي صباح اليوم التالي، قبل أن أركب القطار السريع الى روما، انطلقت إلى مقهى "جياكوزا" حيث يتلاقى المثقفون والفنانون لتناول الفطور. وألفيت المكان مكتظاً كعادته. وكان بجانبي مواطنون يتحدثون بحماسة عن اختيار المجموعة الاوروبية فلورنسا عاصمة أوروبا الثقافية للعام ١٩٨٦. فصفقت بصمت. فأنا مثلهم ومثل ملايين آخرين حول العالم متيّم بهذه المدينة الريفية التي تؤوي هذا المقدار من الإرث الثقافي. وهي دائماً مكان تصعب مغادرته. فإلى اللقاء يا فلورنسا الحبيبة في ربيع آخر.

ارنست هاوزر ■



هل تحبني؟

الجواب عن هذا السؤال لا يكون: "أنا تزوجتك، أليسْ كذلك؟"
ولا يكون: "هل يمكن ان نبحث في هذا الامر بعد انتهاء مباراة كرة القدم؟"
ولا يكون: "يتوقف الامر على ما تعنين بالحب."
ولا يكون: "تعالي الي وسأبرهن لك أني أحبك فعلا."
ولا يكون: "كيف لي أن أتحدث عن الحب وقد احترق طعام الفطور والبيت في فوضى مطلقة والاولاد يزعقون والحافلة تكاد تفوتني؟"
الجواب ينبغي أن يكون: "نعم."
الجواب ينبغي أن يكون: "نعم."
الجواب ينبغي أن يكون: "نعم."

ج.ف.

ضحكة الاميرة ديانا

قبل مدة استحقت الاميرة ديانا، زوجة ولي العهد البريطاني، نظرة صارمة من الملكة اليزابيث لأنها ضحكت علانية في اثناء عزف النشيد الوطني "اللهم احفظ الملكة." والواقع ان زوجها الامير تشارلز كان المسؤول عن ذلك، اذ حين بدأت الموسيقى تصدح بالنشيد مال نحو أميرته وهمس في أذنها: " يا عزيزتي، انهم يعزفون أغنيتنا."

"نيوزويك"

بيلاجيا نوكتيلوكا.

السمك الهلامي اللاسع غزا البحر الابيض المتوسط بالمليارات فهدد السابحين وأخلى الشواطىء ودفع علماء الحياة البحرية الى العمل لايجاد السلاح الكفيل بالقضاء عليه

قنديل البَحْر يَكوي السَابحين!

راحت الفاتنة البنفسجية الرشيقة كراقصة باليه تنفض تنانيرها الرقيقة وترقص باغراء حتى وصلت أمام قناع السباحة الذي ألبسه. وسرت قشعريرة في جسمي عند رؤيتها لأنني عرفت أن مجسّاتها الشبيهة بالشعر والمزودة سماً لاذعاً يمكنها ملامستي مثل أسلاك شائكة. لقد سبحت وجهاً لوجه مع البلاء الذي يسكن شواطىء البحر الأبيض المتوسط، أي مع السمكة الهلامية (١) الجميلة الملعونة في آن. وسبحت بعيداً عنها على مهل كي لا أحدث اضطراباً في الماء قد يجذب الكائنة الكسولة نحوي.

تلك الكائنة الغادرة ذات الجسم الهلامي المخطط بشعيرات ذات لون ارجواني وليلكي لها اسم علمي هو "بيلاجيا نوكتيلوكا" لكنها تدعى أيضاً "الخطر الارجواني". فمن كوستا برافا الى الريفييرا مروراً ببحر الادرياتيك والجزر

(١) Jellyfish أو قنديل البحر.

Photo: Tom McHugh / Photo Researchers

اليونانية وأجزاء من افريقيا الشمالية، ينتشر السمك الهلامي الذي يشبه في حجمه وشكله مصباحاً كهربائياً منزلياً ويحوّل شواطىء عدة على البحر الابيض المتوسط رقع ارض شائكة شبيهة بغابات الثعابين.

تجربة باباندريو - معلوم أن لسعة السمكة الهلامية تولّد لهيباً كما اتضح لألوف السابحين. ويصف الدكتور زفونيمير ماريتيك (٦٥ عاماً) الخبير اليوغوسلافي في الكائنات السامة، رد فعل جسم الانسان على تلك اللسعة بالآتي: "تشعر أولا بألم شديد ومن ثم باحساس ملهب. بعد ذلك ينتفخ الجلد ويضرب لونه الى الحمرة ويتقرح أحياناً. أما الألم والحكاك فيدومان لأيام عدة."

ويقول البروفسور كارميلو سكاربا رئيس أطباء الجلد في جامعة تريستة بايطاليا أن حدة رد فعل الجسم تتوقف على كمية سمّ البيلاجيا التي تدخله، فضلا عن تركيبة الجسم ذاته. أما المفعول الطويل الامد فقد لا يكون أسوأ من لسعة النحلة، ولكن بالنسبة الى الذين لديهم حساسية إزاء السمكة الهلامية، فانها قد تشكل خطراً حقيقياً.

ثمة ضحية أشرفت على الموت هي مارغاريتا باباندريو زوجة رئيس وزراء اليونان. فبينما كانت تسبح بعيداً عن الشاطىء الصخري قرب أثينا في يوليو (تموز) ١٩٨٣ شعرت فجأة بألم شديد في مؤخر ركبتها. وتقول: "كان ألماً شبيهاً بالالم الذي تحدثه لسعة مكواة حامية. وسبحت الى الشاطىء من فوري. وبعد ربع ساعة شعرت بما يشبه وخز الدبابيس في رأسي كله ثم أغمي علي."

ووصل طبيب بعد خمس دقائق ووجد أن ضغط دم السيدة باباندريو يقارب الصفر، فحقنها مادة مضادة لـ"الهيستامين" (٢) قبل نقلها بسرعة الى المستشفى. وهي بقيت متوعكة لمدة عشرة أيام. وتقول: "من حسن حظي أن الطبيب حضر بسرعة وأنقذ حياتي."

مليارات في كيلومترين - ما من أحد يعرف كم عطلة أفسدت نتيجة لسع السمك الهلامي أو كم حجزاً ألغي خوفاً منها، ولكن قد يكون لهذا النوع من السمك تأثير اقتصادي في المنتجعات الواقعة على شاطىء البحر. لقد رفعت رايات حمراء للانذار في صيفين متتاليين على مسابح نيس وموناكو وسواهما من منتجعات الريفييرا الفرنسية حين غزت أسراب البيلاجيا مياه الشاطىء الضحلة. ونتيجة ذلك يفضل كثير من السابحين الآن منتجعات أخرى.

تنساق الاسماك الهلامية بطريقة لا يمكن توقعها بحسب اتجاه الرياح والتيارات، وهي تظهر على الشاطىء غالباً في أعداد كبيرة بحيث يصعب على المرء المشي بينها. وفي شمال الادرياتيك يرتدي صيادو السمك الايطاليون بذلات مطاطية متينة تستعمل عادة لمواجهة العواصف وقفازات وأقنعة غوص للاحتماء من

(٢) "هيستامين" مادة في الانسجة النباتية والحيوانية تتسبب في انخفاض ضغط الدم وتقلص الرحم كما تثير تفاعلات حساسية.

السمك الهلامي الذي تلتقطه شبكاتهم بالأطنان. وقدّر العلماء امكان وجود ٣٥ بيلاجيا في كل متر مكعب من الماء، وأن سرباً يبلغ قطره كيلومترين يمكنه احتواء مليارات من حاملات الخطر الارجواني.

وتتجمع هذه الكائنات الحيوانية على مقربة من الشاطىء لفترة تراوح بين ساعات قليلة وأيام عدة حتى يجرفها التيار او الأمواج أو الرياح بعيداً من جديد.

ويتفق علماء الحياة البحرية على ان ليس ثمة منطق واضح لتحركات السمك الهلامي، اذ ليست له مسالك ثابتة كالتي تسلكها الطيور المهاجرة. وفي امكانه الانتشار أينما كان وفي أي وقت.

تحرك عمودي – الاسماك الهلامية بأجناسها الألف حيوانات بطيئة الحركة تطفو على سطح الماء. وهي تنتسب الى شقيق البحر والبولب الذي يبني المرجان. وتتفاوت بين أجناس بالغة الصغر وأخرى كبيرة الحجم كتلك التي يبلغ قطرها مترين وتتنقل في المحيطين الهندي والهادىء. وعلى رغم أن البيلاجيا وديعة مقارنة ببعض أجناس أخرى، اذ ان لسعة السمك الهلامي الاوسترالي مثلا تؤدي الى الهلاك فّي غضون دقائق، فانه أخطر أنواع السمك الهلامي الموجود في حوض البحر الابيض المتوسط.

تتوالد البيلاجيا على الشواطىء وفي الداخل، وتنضج يرقاناتها في غضون شهرين أو ثلاثة أشهر. وهي جميلة المنظر لكنها مغفّلة. وليست للبيلاجيا أعين أو آذان أو أدمغة، وأجسامها شبه شفافة يراوح عرضها بين ثمانية سنتيمترات وعشرة ويشكّل الماء ٩٨ في المئة من تركيبتها. والصيادون الذي يجرفون أعداداً من البيلاجيا في شبكاتهم ويكومونها على الشاطىء يجدون ان المادة الهلامية تتبخر في غضون ساعات تاركة وراءها كتلا صغيرة لزجة على الرمال.

إن الخفق المتواتر لجسم البيلاجيا يشبه عملية فتح مظلّة واغلاقها. وهو يوفر حركة بطيئة ويشبه أيضاً دفعاً من نافورة ماء، لكنه ليس قوياً بحيث يستطيع مقاومة التيارات. والبيلاجيا تتحرك عمودياً في الاساس، ويمكنها الغوص عميقاً خلال النهار والطفو على سطح الماء ليلا، ويصدر عنها نور اذا ما تعرّضت لمضايقات.

خلايا لاسعة – تتدلى من جسم السمكة الهلامية مجسّات سامة دقيقة مثل الخيوط تصعب رؤيتها، و"المجسّات قابلة للتمدد على نحو مذهل، لذا يتوجب الابتعاد عنها،" هكذا يحذر عالم الحياة البحرية ماسيمو أفيان الذي استولد البيلاجيا في أحواض مخبرية في تريستنه منذ العام ١٩٨١. ويضيف: "وأثناء البحث عن الطعام قد تتمدد المجسّات حوالى ٨٠ سنتيمتراً. وفي اللحظة التي تلمس كائناً طافياً دقيقاً تشل الفريسة بسبب السم وتتقلص المجسّات الى حوالى سنتيمترين حاملة الطعام الى الفم."

ولدى السمك الهلامي سلاح فعّال هو خلايا لاسعة في جسمه ومجسّاته. وكل خلية هيَ غاية في الصغر بحيث تعادل

الوف منها حجم رأس دبوس، وفي داخلها خيط دقيق مجوّف ملفوف في شكل نابض (رفاص) له زند شعيري لاطلاقه. ولدى أدنى ملامسة تطلق ملايين الخيوط دفعة واحدة. وهكذا تتفجر كل خلية وينغرز كل نابض في جلد الفريسة ويضخ سماً ذا تركيبة بروتيينية. فسواء لمست مجسّات البيلاجيا أو جسمها، فأنت واقع في مأزق.

ما سبب الغزو الكبير للبيلاجيا؟

استجابة لمبادرة من الحكومة اليونانية، عمد علماء في برنامج الامم المتحدة للبيئة الى العمل على تحديد السبب. وفي اجتماعات العمل التي عقدت في أثينا في يونيو (حزيران) وأكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٨٣ جاء التخمين الارجح لعلماء الحياة البحرية أن تكاثر البيلاجيا يعود الى الدورة الطبيعية التي تؤثر في الكائنات الحيوانية وترتبط بتغيرات حادة في درجة ملوحة مياه البحار او حرارتها أو وفرة الغذاء فيها. والى ذلك اكتشف ماسيمو أفيان أنه في حين تتوالد البيلاجيا لفترة شهرين أو ثلاثة أشهر فقط سنوياً في المحيط الاطلسي، فانها تتوالد على مدار السنة في مياه البحر الابيض المتوسط الدافئة "فالمتوسط يوفّر إقامة دافئة للسمك الهلامي."

خطة عمل – أما في شمال الادرياتيك حيث لم تعرف البيلاجيا فعلا قبل العام ١٩٧٧، فان توالدها في الفترة الأخيرة، في رأي البروفسور فرنكو سترافيسي من معهد ثالاسوغرافيك في تريسته، يعود الى هبوب الريح الجنوبية باستمرار. وهذه الريح تُحدث تيارات سطحية تجرف البيلاجيا الى جيوب الادرياتيك حيث تتمتع بفصول شتاء دافئة لم تألفها من قبل، اذ لا تنخفض حرارة المياه هناك تحت سبع درجات مئوية. وهكذا تعيش اعداد كبيرة من البيلاجيا وتتوالد في فصول الصيف اللاحقة. ولاحظ البروفسور سترافيسي انخفاضاً مفاجئاً في اعدادها بعد شتاء بارد في العام ١٩٨١. لكن اعتدال الحرارة في فصول الشتاء اللاحقة قد يزيد أعداد البيلاجيا من جديد.

وفي الاجتماعات التي عقدت في أثينا عام ١٩٨٣ وضع برنامج أبحاث للسمك الهلامي مدته سنتان، وفي طليعة البلدان التي شاركت فيه إيطاليا واليونان ويوغوسلافيا ومالطا. ويأتي البرنامج ضمن خطة عمل (٣) ترعاها الامم المتحدة ويقوم بموجبها ١٧ بلداً (٤) الى جانب المجموعة الاوروبية، بالتصدي لمشاكل التلوّث في البحر الابيض المتوسط. ومنذ ذلك التاريخ عكف كل بلد معني على متابعة العمل ووضع مشاريعه الخاصة التي تلقى دعماً من خطة العمل. فاستخدمت يوغوسلافيا واليونان غواصين لجمع معلومات موثوق بها عن الخطر الارجواني. ويقول طرزان ليغوفيك العامل في مركز الابحاث البحرية في زغرب بيوغوسلافيا: "لقد حان الوقت ليرتدي الناس بذلات الغوص ويراقبوا سلوك البيلاجيا في البحار."

---

(٣) Mediterranean Action Plan

(٤) اسبانيا وفرنسا وموناكو وايطاليا ويوغوسلافيا واليونان وتركيا ومالطا وقبرص وسوريا ولبنان ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

قواعد للسلامة - السؤال المطروح الآن هو: ماذا يمكن عمله للتغلب على الخطر الارجواني؟

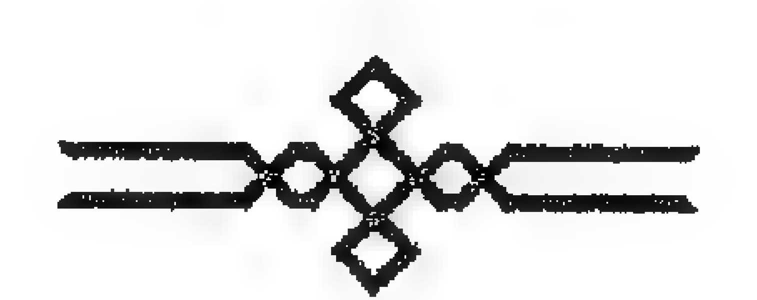
في مالطا، الجنود الذين يعملون في قوارب الاستكشاف لتنظيف مياه البحر من بقع النفط مستعدون لمحاولة جمع السمك الهلامي في براميل. أمّا الفنادق القريبة من أثينا فقد حاولت تسييج مسابحها الخاصة بواسطة شباك، غير أن مجسّات البيلاجيا قادرة على تقطيع خيوط الشباك والنفاذ منها. ومعلوم أن السمك الهلامي لا تقتله، انتقائياً، أي مادة كيميائية معروفة.

ويظن الأطباء أن التلقيح قد يحمي الأجسام البالغة الحساسية من تأثير لسعة السمك الهلامي. والى أن يكتشف اللقاح الفاعل يطلب من السابحين اتخاذ اجراءات وقائية. كذلك يستحسن وضع أنبوب من المادة المضادة للهيستامين أو من مادة الـ"كورتيزون" (متوافرة في معظم الصيدليات) في حقيبة النزهة للمعالجة الآنية. كذلك ينبغي للسابح ان يبحث عن السمك الهلامي، واذا ما وجد بعضاً منه فمن الافضل أن يلبس بذلة غوص أو ثياباً خفيفة، أو على الاقل أن يضع قناعاً على عينيه لحمايتهما ولرؤية السمك الهلامي الذي يقترب منه. وقد وجدت مارغاريتا باباندريو أن ثياب الباليه المحكمة على الجسم توفر لرجليها وذراعيها حماية تامة. وهي تكسو يديها بقفازين وتضع على وجهها قناع غوص.

اذا واجهت سمكة هلامية في الماء ابتعد عنها بهدوء. وفي حال تعرّضك للسعة منها اتبع هذه القواعد البسيطة:

- نظّف موضع اللسعة جيداً لازالة آثار المجسّات الملتصقة بالجلد. أغسل الموضع بماء البحر من دون فرك وامتنع كلياً عن استعمال مياه الشرب لأن ذلك ينشط ما تبقى من خلايا سامة.
- أبطل مفعول السم بصب ماء النشادر (الامونيا) المخفف او الخل بوفرة على الجلد.
- ضع على مكان اللسعة مرهماً يحتوي على مادة مضادة للهيستامين أو مادة الكورتيزون.
- احذر الحك أو الفرك على موضع اللسعة. وراجع طبيباً اذا ظهرت تقرحات أو اذا شعرت بالوهن أو اذا واجهتك صعوبة في التنفس.

جون دايسون ■



طويل العمر

سأل أحدهم الفنان المزلي جورج بورنز عن شعوره بعدما بلغ الخامسة والثمانين من العمر.

فأجاب بهدوء: "عندما أشعر اني بلغت الخامسة والثمانين، سوف أخبرك."

س.ب.



صور من الحياة

فسحة الحب

انني أرملة أعيش مع ابن مراهق وأعاني مصاعب مالية كثيرة، لذلك أقطن واياه بيتاً نقالا على سيارة قديمة ونقاسي كثيراً من العناء. وحين هرب أحد رفاقه من بيت أهله، وهو بيت جميل، استغربت ذلك العمل وتساءلت: "لماذا فعل ذلك؟ ان لديه كل ما يمكن أن يتمناه."

فأجابني ابني بلهجة واقعية: "لكن يا أماه، الحال هي كالآتي: لدى رفيقي فسحة وافرة وقليل من الحب، أما أنا فلدي فسحة ضيقة وحب وافر."

ك.ل.

جاذبية رجل "عادي"

الممثل جاك نيكولسون (٤٨ عاماً) شارك في ٤٠ فيلماً سينمائياً وربح جائزتي أوسكار. وهو لا يخجل من الظهور أمام الجمهور في دور رجل متقدم في العمر. انه يقول: "ليس للممثل ما يقدمه الى الناس سوى حياته. وأنا لا يمكنني أن أمثل اليوم دور ابن ١٨ ربيعاً، اذ انني أختلف كثيراً عما كنت في السن الثامنة عشرة. وكل ما لدي لاقدمه هو ما أراه الآن وما أحسه الآن."

وأحد الاسباب التي لا تدع الرجال يغتاظون من جاذبية نيكولسون أنه يجعل النجاح مع الجنس اللطيف متاحاً للجميع. لقد دب الصلع في رأسه قبل زمن طويل. وفي أحد أفلامه الاخيرة كشف عن بطن مكوّر مثل قبة قصر الكرملين. وهو ينتعل الاحذية العادية ويعقد ربطة العنق الشائعة.

انه رجل عادي الى حد غير عادي.

ب.أ.، في الـ"واشنطن بوست"

ما حك جلدك...

بعد شتاء قاس وجد رجل أن الطريق الى بيته أصبحت مليئة بالحفر. وكانت أمام بيته حفرة واسعة. وحين لم تجدِ التماساته المتكررة الى البلدية لردمها قرر أن يعالج الامر بنفسه.

أحضر شجيرة وغرسها في الحفرة وأحاطها بالعشب والازهار.

وعلى الفور سارعت البلدية الى ردم الحفرة.

س.ك.

جَان هنري فابر
شاعِر العِلم

رحلة في فكر جميل لمستكشف جريء ارتاد أسرار الحياة العميقة

التقيت جان هنري فابر للمرة الاولى في صف أدب. وتسعدني هذه الحقيقة لأن أسلوبه الانيق في الكتابة يتفق مع الادب كاتفاقه مع علم النبات أو علم الحيوان او أي فرع آخر من العلوم التي كانت في زمانه تعرف بالفلسفة الطبيعية. كان في الواقع شاعر علم شاهد جمال الطبيعة ووحشيتها بنسبة متساوية من البهجة والرهبة وكتب عنها بأسلوب لا ينسى.

اسم فابر أضحى مرادفاً لعلم الحشرات. وبعض من كتبه مثل "حياة ذبابة" و"الزنبور البنّاء" و"الحياة الاجتماعية في دنيا الحشرات" (١) اصبح من التراث العالمي. وهو عمل منفرداً ولقي التجاهل والحسد من العلماء الآخرين، فساعد في تحويل الاستقصاء العلمي عن النماذج النافقة المسمرة في المختبرات الى مراقبة سلوك الكائنات الحية في الحقول عن كثب. وموسوعته الشهيرة "ذكريات من عالم الحشرات"(٢) التي تتألف من عشرة مجلدات تحظى باعجاب القراء في ١٣ لغة. ولا تزال كتاباته جديدة وموضوعية ومثيرة ومفعمة بمواقف الترقب المثير. تأمل هذا الفصل حول سفاد (تزاوج) العقارب الذي كتبه عام ١٩٠٤:

"عقربان من الجنسين يواجه كل منهما الآخر ومخالبهما مشرعة وبراثنهما منقبضة. تمشي العقربان بخطوات موزونة

(١) The Life of the Fly, The Mason-Wasps, Social Life in the Insect World

(٢) Souvenirs Entomologiques



وزنابتاهما ملتفتان في عقدة بديعة. الذكر في المقدم يسير القهقرى والأنثى تتبعه مطيعة وعالقة من أناملها وهي تواجه قائدها. ومن حين الى آخر يتحول الذكر برشاقة يمنة ويسرة ويأخذ مكانه بجانب رفيقته. بعد ذلك يلامس ظهرها هنيهة وذنبه منبسط. انها تقف هادئة بلا حراك. أراقبهما لأكثر من ساعة ثم يحدث أمر ما. لقد عثر الذكر على ملاذ يروقه. يفلت رفيقته من يد ويظل ممسكاً بها باليد الاخرى، ثم يبدأ حفر فتحة غير عميقة بقوائمه وذنبه في الرمل تحت احدى قدوري الزراعية. يلج الفتحة على مهل ومن دون عنف ويجر وراءه رفيقته الصابرة. ثم تقفل كرة من الرمل مدخل هذا الملاذ. هكذا أصبح الزوجان داخل بيتهما."

تتسم كتابات فابر بموهبة تصويرية ساحرة. فيصف العنكبوت العملاقة التي يدعوها "القاتلة" و"قاطعة رقاب النحل"، في مقامها المفضل وردة الصخور ذات الاوراق البيضاء والزهور الكبيرة المتجعدة التي لا تدوم سوى صباح واحد ثم تبدل في اليوم التالي. ويمتدح العنكبوت لأنها "مخلوقة جميلة على رغم كرشها البشع." ويضيف ان بعضاً من بنات جلدتها "سيدات جميلات يزينّ سيقانهن بخلاخيل وردية وظهورهن بزخارف قرمزية."

سنوات الفقر – ظل فابر طوال حياته يتحاشى المجتمع الفرنسي الرسمي بتركيبته وقيوده. واللقب الوحيد الذي رضي به كان "مراقب بيوت العنكبوت."

ولد فابر عام ١٨٢٣ وتوفي عام ١٩١٥ بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى. وشهدت فترة حياته ظهور الشريط الشائك والسيارة والطائرة والهاتف والحليب المعقم. وكانت عائلة جان هنري كازيمير فابر قاسية وصارمة كالصوان الرمادي البارد في منطقة أفيرون. كانت عائلة فقيرة ومعظم أفرادها أميون. أما جان فأوكل اليه في سن مبكرة أمر العناية بالبط مما أتاح له أن يقضي وقتاً طويلا متجولا في الحقول ومتمدداً على ظهره يراقب الغيوم ومتدحرجاً ومنبطحاً يدرس سعي النمل وهندسة كثبانه. وهكذا بدأ نمط حياة كاملة.

المدرسة كانت شيئاً ساحراً بالنسبة اليه، اذ انها زودته صيغة للأشكال والاصوات والوشائج التي اكتشفها وحده في الحقول. والى روعة خفق جناحي طائر العقعق وصرير الجدجد أغرم الصبي بجمال شعر فرجيل وبعلم الهندسة.

وأضحت حياته سعياً دائباً الى الموازنة بين تحصيل الثقافة والعمل الوضيع الذي أبقاه طوال سنوات أعلى قليلا من مستوى الفقر. فعمل في خدمة أبيه وجدّه ثم مع فريق عمال لشق الطرق. وباع الليمون في معرض بوكير. وكان يؤدي خدمات مختلفة بأجر في كل مدرسة انتسب اليها. وأخيراً عمل في التعليم، في مدرسة ابتدائية اولا في كاربنتراس ثم في مدرسة ثانوية في آفينيون. غير أنه لم يعلم في الجامعة قط، مع أنه ظل سنوات يتوق الى بلوغ ذلك المستوى.

كان أجر فابر من التدريس ضئيلا. فاذا اشترى كتاباً كلفه ذلك أجر شهر



"لارما" بيت فابر في سيرينيان دو كوانتا.

والاستغناء عن الطعام. وحتى بعد نيله شهادة الدكتوراه (٣) ظل دائماً يقوم بعمل اضافي كمدرّس وأستاذ رسم ودليل متحف لكي يعيل زوجته ماري التي اقترن بها عام ١٨٤٤ وأولادهما السبعة. وخلال العقدين الاخيرين من عهده في التعليم بين ١٨٥٣ و١٨٧١ لم يتقدم في الرتبة ولا في الراتب.

مختبر الحقول - أحد المربين القليلين الذين قدّروا مواهب فابر العظمى كان فيكتور دوروي الذي عين وزيراً للتعليم في عهد الامبراطور نابوليون الثالث. وكان دوروي أول من حض فابر على تأليف كتبه العلمية الرائجة للاطفال، ومنحه وسام جوقة الشرف. والأهم من ذلك أن دوروي هو الذي دعا فابر في ربيع ١٨٧٠ الى تقديم سلسلة من المحاضرات العامة في آفينيون أمام جمهور ضم عدداً كبيراً من طالبات المدارس الثانوية. وجاء هذا الحدث نقطة تحول في حياة فابر. كان حينئذ في السابعة والاربعين من العمر وقد نشر عدداً من المقالات الاكاديمية الرائعة في مجلات علمية، لكن محاضراته الاثنتي عشرة في آفينيون كانت المناسبة الاولى التي أبرزت فابر المغمور

(٣) وضع أطروحته حول النبتات السحلبية والدويبات المئينية أو أم أربع وأربعين.

أمام جمهور من غير الاختصاصيين أمكنه ان يشاركه أخيراً في شعره العلمي.

لا نعرف سوى القليل عن موضوع محاضراته ما خلا أنها أبهجت بعض الناس وصدمت آخرين. واحتج عدد من زملائه المعلمين الحسودين على مناقشته مواضيع مثل عملية التلقيح في عالم النبات ودعوته العلنية الى تدريس العلوم للبنات. وللحال أثيرت فضيحة عامة. وكان فابر قارب الخمسين من عمره حين غدا بلا عمل ولا مأوى فاضطر الى تحصيل ما يقيته بالوسيلة الوحيدة التي بقيت له: تأليف الكتب التي لا تزال تقرأ حتى اليوم.

ومن بين الذين حضروا محاضرات فابر الفيلسوف البريطاني جون ستيوارت ميل الذي رافقه في نزهات لدرس الطبيعة وأعطاه قرضاً غير مشروط بقيمة ١٣٠ جنيهاً استرلينياً. هذا المال مكّن فابر من الانصراف الى الكتابة طوال الوقت وبالتالي، في العام ١٨٧٩، من تحقيق حلم حياته بامتلاك بيت مع قطعة صغيرة من الارض في سيرينيان على بعد ٢٥ كيلومتراً من آفينيون. وأطلق فابر على ذلك المكان اسم "لارما"(٤) وأضحى البيت الصغير والارض التي لا تتعدى مساحتها هكتاراً واحداً "مختبر الحقول" الشهير وعالمْ حبة الرمل الذي قرأ عنه ألوف الاطفال في كتبهم المدرسية. كان هذا المكان بالنسبة اليه "جنة من السعادة عزمت أن أعيش فيها وحيداً مع الحشرات."

وخريطة عالمه الشخصي صغيرة جداً. انها ضمن قطعة صغيرة من ريف فوكلوز الغربي ذات شعاع طوله ٣٢ كيلومتراً حول مدن كاربنتراس وآفينيون وأورانج. وتشمل جبل فنتو المعروف باسم "جبار بروفانس" وهو أقصى الجبال غرباً في الارض الفرنسية قبل جبال الالب وقد تسلقه فابر مراراً.

كلمة البعوضة – ذهبت في رحلات عدة الى "لارما" محاولا أن أكتشف ليس عالم فابر الطبيعي فحسب، بل مدى اتساع فكره كذلك. في أوج فصل الصيف حين تثمل الاحاسيس بأريج الازهار وألوانها تدب الحياة في حديقة فابر بأزيز الحشرات. ويبدو انه الفصل الافضل للعثور على الشاعر.

غير أني بدأت أعثر على فابر أخيراً في يوم شتائي تحت شمس يناير (كانون الثاني) الضعيفة، وكنت وحيداً في جزء قصي من الحديقة. ففي فصل يمثل الموت كانت حديقة فابر تزخر بالحياة. وأدركت أن هذا هو الوقت الذي يمكن المرء فيه أن يرى ما في لب الاشياء ويلاحظ أنماطها وينظر حقاً الى الاشكال التي تحجبها أوراق الشجر في الصيف.

وذهبت الى آفينيون أيضاً. ووقفت في باب حانوت في جادة فابر لانظر عبر الشارع الى بناء سان مارسيال. هنا ألقى فابر محاضراته العامة. وفي الداخل، في الضوء الخافت، خيل الي أني أرى وجوهاً عاشت قبل مئة سنة وقد ارتسمت على بعضها أمارات الصدمة وعلى البعض الآخر علامات الاهتمام.

(٤) l'Harmas أي الارض الصخرية الجرداء.

وكل من يود أن يسير على خطى فابر عليه أن يتسلق جبل فنتو. الرحلة تستغرق أقل من نصف ساعة في السيارة، لكنها بالنسبة الى فابر على متن عربة يجرها حصان كانت رحلة استكشافية كاملة. وبعد تسلقه الثالث والعشرين عام ١٨٦٥ كتب: "ان رحلة نصف نهار صعوداً تعرض أمام عيوننا تعاقباً من أنواع النباتات بمقدار ما قد نجده في رحلة طويلة شمالا عبر أوروبا الى دائرة القطب الشمالي."

كان فابر يهوى بنوع خاص مشاهدة شروق الشمس والاحساس بلمع العواصف الماطرة هناك. ففوق القمة في مهب الريح الازلية التي أعطت جبل فنتو اسمه، تمكن مشاهدة جبال الالب السويسرية والهضبة الوسطى وفوكلوز وعالم فابر كله.

"لارما" ليس سوى نقطة في حجم ذبابة، وبعوضة وصراصيره وعقاربه لا يمكن أن ترى. انه الموقع المناسب تماماً لرجل يريد أن يكتب: "ان للحياة أسراراً لا تسبر أغوارها. ومعرفة الانسان ستمحي من محفوظات العالم قبل أن نعرف الكلمة الاخيرة التي تريد البعوضة أن تقولها لنا."

آن هاسكل ■

هواية امرأة

استخدمت فتاة لتعمل "متسوقة سرّية" في متجر للثياب وأدوات التجميل. وكان عملها يقتضي الاحتكاك بالبائعين كشارية وتقديم تقرير الى المراقبين عن اداء كل منهم. ومن يومها الاول سألتها أمها هل تحب عملها الجديد.

فردت:"اني أعشقه. تصوري انهم يدفعون لي أجراً في مقابل ممارستي أحب هوايتين الي: شراء الثياب وانتقاد الناس."

ل.ر.

سر النجاح

كان أحد كبار الاثرياء يتبجح متحدثاً عن سر نجاحه في الحياة، فقال: "كنت دائماً أؤمن بأن الاجر هو أقل أهمية من أي اعتبار آخر في العمل. فانجازك العمل بجد وبأقصى طاقتك يعود عليك بالرضا أكثر مما يفعل المال."

وسأله أحد الصحافيين: "وهل اصبحت ثرياً بعدما اقنعت نفسك بأن هذا صحيح؟"

فأجاب: "لا، بل بعد اقناع العاملين لدي بذلك."

ج.أ

الاداب كالصفر في الحساب، يمكن ألا تكون شيئاً في ذاتها، لكنها قادرة على زيادة قيم عظيمة الى أي شيء آخر.

فريا ستارك

نشودة الحياة

الشجاعة التي استقتها الممرضة الشابة من المقعدين والمحتضرين علمتها كيف تجتاز وادي الظلام

تمسكت يان توبين بمعطفها الواقي من المطر وهي تمشي الى المستشفى ذات مساء ماطر من يناير (كانون الثاني). قوامها الممشوق وعيناها الكبيرتان القاتمتان، ووجنتاها المرتفعتان جعلتها فتاة جذابة.

واذ وصلت الى وحدة العناية القلبية باشرت مراجعة جدول كل مريض. إنها في السادسة والعشرين وفي السنة الرابعة من عملها رئيسة لفريق وحدة العناية القلبية في مستشفى مارين العمومي في ولاية كاليفورنيا. والاسم على الجدول ١٦ يأسر انتباهها. لقد اعتنت بغاري قبل شهرين لدى ادخاله الوحدة وهو يشكو ألماً في الصدر. وكان التشخيص اصابة بسرطان الرئة. وها هو عاد الآن.

دخلت يان غرفة غاري وصدمت لتغير



Illustration: Deborah Chabrian

حاله. فالشعر الكثيف الأشقر زال، وبدا كأن العضلات تحت اللحم ذابت مخلفة هيكلا عظمياً.

"مرحباً غاري. جئتك بالأدوية." وأشاح غاري بوجهه: "حسناً، أحضري مزيداً من العقاقير لتبقي الرجل المحتضر هادئاً."

– لا، بل كي تجتنب الألم فتحيا بأفضل ما تستطيع.

قال غاري ووجهه يتلوى مغضباً: "أنت لا تدركين كيف يكون الامر. أنا في الخامسة والأربعين ولا وقت متبقياً لدي. لا تحدثيني عن الحياة يا سيدتي." وتلت هياجه لحظة صمت.

قالت يان وهي تجلس في مواجهته: "سأخبرك أمراً ما. أنا مصابة بالسرطان أيضاً. كنت في نقاهة، لكني انتكست. لذا فاني أدرك مشاعرك. لا تدع الغضب يسلبك الحياة التي تعيشها الآن."

وتكلم غاري بصوت منكسر: "ليس ذلك سهلا علي. كيف تفعلين أنت؟

– إني اجتاز المراحل العصيبة وأنا متشبثة مقدار استطاعتي بالمراحل الجيدة. وأحاول أن أستغل وقتي على أفضل نحو.

كآبة داخلية – في الاسابيع التالية ازدادت أوجاع غاري وازدادت كذلك جرعاته من المورفين. وراقبت يان بحزن حياته وهي تنساق الى سديم شفيف.

وبعد ظهر ذات يوم فيما الرجل المحتضر يجاهد ليتنفس جلست قريباً منه تتحدث برقة عن أمور تحدث كل يوم. وخلال ساعة أنهى الموت آلام غاري. كان ذلك في فبراير (شباط) ١٩٧٩.

مشت يان الى الحاجز الأمامي لوحدة العناية القلبية حيث كنت أنا الممرضة الجالسة الى المرقاب التلفزيوني. قالت: "ها أنا كنت أعظه لمواجهة الموت بسهولة، في حين لم أواجه أنا نفسي تلك الخاتمة. لقد أجلت الأمر في ذهني تكراراً. أين أصبحت؟ وكم علي أن أمضي؟" وأخذت تستعيد المشهد الأليم في أغسطس (آب) ١٩٧٥ وهي تنظر من النافذة:

أخبرها الطبيب بهدوء: "أنت مصابة بداء هوجنكنز (★) ". وفجرت فيها تلك العبارة صدمة وخوفاً. وكانت يان علمت بالورم في عنقها قبل أشهر، لكنها اذ خالته غير مؤذ فقد تجاهلته.

وأعدت نفسها للمعركة. فاستكشفت وسعها عن داء هوجنكنز. ومع انه في العادة نوع من السرطان قابل للشفاء، الا ان حالتها تم تشخيصها في طور متأخر. والتمست العون من عيادة ستانفورد لعلم الأورام حيث باشرت علاجاً كيميائياً وآخر اشعاعياً.

أدركت يان منذ البداية أنها لن تترك وظيفتها، "فثمة أمور علي أن أتعلمها وأمنحها الآخرين." غير انها حين عادت الى العمل كانت تقطع فترات هدوئها نوبات ثوران ونفاد صبر. فكأن كآبة داخلية أرخت سدولها ولونت أحاسيسها، وحاقها الغضب كجدار من ثلج.

وبحثت عن إرشاد فاضطلعت بمهمات في قسم الحالات الخطرة في الوحدة القلبية كي تعمل مع المرضى الأكثر

(★) داء هوجكنز (Hodgkins disease) مرض خبيث يؤدي الى تضخم العقد والانسجة اللمفاوية والطحال وقد سمي نسبة الى مكتشفه البريطاني الدكتور توماس هوجكنز.

إعضالا. وأمضت اسابيع تطرح أسئلة وتصغي الى الاجوبة.

هذا هو اليوم الثالث تعتني فيه بإرني، وهو مريض بالقلب في التاسعة والاربعين. أخذ يراقبها وهي تعمل. وبعد دقائق نظرت اليه لتلمح على وجهه عبوساً مصطنعاً ولم تتمالك نفسها عن الضحك وسألته: "ماذا تفعل؟"

فابتسم قائلا: "إنني أقلدك. فأنت تبدين وكأن حياتك، لا حياتي، تعتمد على ما تفعلين. أنا مستمع جيد، وقد اتفق ان لدي متسعاً من الوقت الآن، فافضي إلي بمكنون صدرك."

قالت يان: "لدي مشكلة مستعصية وأنا لا أحسن معالجتها."

انحنى إرني الى الأمام هامساً: "أعرف ذلك، فحين يصبح المرء حبيس الفراش ولا عمل يؤديه فان غرائزه تعمل وقتاً اضافياً. ومهما تكن فداحة المشكلة فلن تبدل من كونك حساسة وتهتمين للآخرين. أنت كرست وقتك وطاقتك للمرضى، وهذا وحده ينبغي أن ينبئك بأمر ما."

الامل أو اليأس – استجابت يان فأخبرت إرني كل شيء. انهمرت الكلمات منها وكأنها كانت محشورة في حيز ضيق والضغط يزداد حولها ويستفحل. ثم قص عليها إرني حكاية مرضه: "أخبروني أني سأمضي بقية عمري في كرسي المقعدين. وأعلمتهم بأني لن أذعن لذلك. وبدأت البحث لاجراء زراعة للقلب. سيقولون لي ذات يوم: يا إرني، أدخل وتسلم قلبك الجديد. سيحدث ذلك، أنا أحسه في قلبي.

"وسأخبرك يا يان، حينما وعيت ما جرى لي فزعت. لكن أموراً قليلة حالت بيني وبين القيام بما آمنت به. اني أنقب في نفسي وأختار الأسباب الأكثر اقناعاً للقيام بأمر ما أو الايمان به. ثم أهبها كل طاقتي وأخرج مكافحاً."

بدا كأن قوة إرني تنساب الى يان. كان عليها هي أيضاً أن تختار: أن تحيا بالامل والشجاعة او ان تموت يأساً وحنقاً من دون أن تخلف وراءها شيئاً ذا قيمة.

واختارت يان. وأعطت المعالجة الكيميائية والاشعاعية ثمارها. ولمدة سنتين أمضت فترة نقاهة، فتلاشت كآبتها الداخلية وتفتحت لها الحياة وباتت دنياها ملأى باثارة المسارح والرحلات وبدفء الاصدقاء والعائلة.

جلسات الاشعة وفحوص الدم وحدها سلبتها الطمأنينة. ومع كل تقرير طبي ايجابي شعرت يان بأنها تفلت من شيء ما.

اشترت منزلا مجاوراً للمستشفى، وهو مكان صغير كثير النوافذ كي تغمر الشمس جميع حجراته.

"كل الأمور جرت على ما يرام في حياتي. وتلك السنوات كانت أول فترة ألعب فيها حقاً وأكتشف من أنا. ثم حلت الكارثة." في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨ ظهر ورم تحت ذراعها اليمنى.

أخذت اجازة لبضعة أيام وانسحبت الى ملجأها المشمس لتفكر. "لمت نفسي وبكيت حتى طلع علي النهار. فقبلت بنصيبي ثانية ولكن على نحو آخر. سأستمر في شن الحرب على الموت، لكني الآن أشنها من دون آمال او أحلام. علي أن أحيا كل ثانية بأحداثها."

طعم الهزيمة - ارتعشت يان وكأن قشعريرة مباغتة انتزعتها من ذكرياتها في ذلك اليوم من فبراير (شباط). قالت لي: "اذ رأيت غاري يموت بدأت أرتاب في قناعاتي. أنا أخاف أن اواجه ميتة مماثلة. لكن لا تجزعي. سأجتاز هذه المشاعر وأصبح أكثر استعداداً للتجربة. سأتفاهم مع نفسي مرة أخرى."

بعد وفاة غاري ركزت يان على وهب الناس ذخرها الكبير من المعارف. وكنت ألقاها في وحدة العناية القلبية تلقي دروساً في أحد الصفوف أو تنشىء عيادة جديدة. وبدلا من ارتياد المسرح أخذت تمضي أمسياتها في اعداد الدروس. لقد تعلمت يان كيف تنفذ الى قلوب الناس وتستخرج منها أفضل ما فيها.

وعند وفاة والدها عام ١٩٨٠ أصبحت يان سلوى أمها وشقيقتها. وبدا أن لديها مخزوناً من القوة لا ينضب. وكان جسدها، على اعتلاله، عوناً لها. كانت استجابتها للعلاج الكيميائي غير مريحة لكنها مقبولة.

وفي نهاية ١٩٨٢ بدأت يان تتعب بسرعة اكثر. وأصيبت بسعال متواصل وبات نفسها قصيراً. ولم يكن جسمها ليواكب روحها.

وفيما هي جالسة في مكتب الممرضات عشية يوم من مارس (آذار) ١٩٨٣ اخبرتني انها، حسبما تتذكر، لم تشعر بالانهاك أكثر من أي وقت مضى. ومع ذلك بقيت لتعتني بعجوز محتضرة. دخلتْ غرفة تلك المريضة وتفرست في وجهها الشاحب، فأخذت العجوز يدها قائلة: "لن أنجو هذه المرة."

وسألتها يان وهي ترفع شعرة رمادية عن وجنتها: "ما الذي يجعلك متيقنة من أنك ستموتين الآن؟"

فأجابتها العجوز: "انها الغريزة. المرء يدرك متى يحين وقت اطلاقه. جسمه يخبره."

أحسّت يان خوفاً ممعناً لدى سماع كلمات المرأة، لكنها نفضته وانصرفت إلى اداء مهماتها. ثم دهمتها نوبة غثيان اذ تحرك ألم من أسفل عنقها فأصبح موضع انتباهها.

قصدت ردهة الممرضات. وفي مواجهة المرآة رأت كم ان عينيها غائرتان. وتفحصت مؤخر حنجرتها: الالتهاب هناك قد نما ونصف حنجرتها متقرح على نحو خطير. وللمرة الاولى ذاقت يان طعم الهزيمة.

كان اليوم التالي الجمعة، يوم عطلتها. قادت السيارة مع امها الى مركز "بالو آلتو" الطبي. وجلست قبالتها طبيبتها وصديقتها الدكتورة باولا كوشلان وهي تحمل ملفاً: "أنا آسفة يا يان، لكن مخ العظم يظهر اصابة مستشرية والداء ينتشر بسرعة."

جلست يان مذهولة وعبارة "ميؤوس منه" تلتمع في ذهنها. ثم احاطت الطبيبة بذراعها قائلة: "شكراً لك على كل ما فعلته."

ومن داخل سيارتها التي قادتها عائدة الى المنزل نظرت بصمت عبر النافذة الى الهضاب الربيعية الخضر. وبعد فترة متطاولة التفتت إلى والدتها قائلة: "أنا سعيدة يا أماه. لقد فرّج عني. الأمر سينتهي أخيراً. لشد ما كنت مرهقة."

شجرة الخوخ – كانت صبيحة اليوم التالي، السبت، جميلة. سجلت يان قائمة بالاشخاص الذين ستتصل بهم هاتفياً ووضعتها على طاولة قرب السرير. الحب يغدق عليها. لم تكن تتصل لتقول وداعاً، إنها تتصل لتشارك في الحب.

قالت لي: "أفضل ما يسعك أن تفعليه لأجلي أن تجعليني أضحك. فأنا ما زلت قادرة على الضحك كما تعلمين. كنت أفكر في أن ليس علي أن أزور طبيب الأسنان ثانية أو أن أقف في صف الانتظار في المصرف. ياه، أيمكنك أن تتخيلي شعوري اذا ما اتصلت بي باولا وأعلمتني أن لدي متسعاً آخر من الوقت؟ سأرتبك جداً. أظن علي أن أموت الآن بعدما أخبرت الجميع.

"لست خائفة الآن وقد أصبحت قريبة جداً من الموت. استرجع الماضي وأفكر: اسمعي يا يان، لقد كافحت لثماني سنوات وقمت بعمل حسن. لا أحد يستطيع القول اني لم أهب كل ما عندي."

وكان يوم ثلثاء. النهار حافل بأحاديث مع العائلة وبالضحك مع الأصحاب. وراجعت يان الورقة التي كتبت عليها آخر الامنيات بخطها المنمق. وكان المساء في أوله حين طلبت من أمها أن تساعدها للذهاب إلى الفراش.

تناولت يان قرصين لتسكين الألم. وتكلمت مع أمها لوقت قصير قبل ان تغمض عينيها. وفي السادسة فجراً استيقظت وطلبت قرصين آخرين. ولاحظت أمها أن يديها ترتعشان، واذ همت بمغادرة الغرفة ابتسمت يان ونادتها: "شكراً يا أماه... تصبحين على خير."

بعد ساعتين سمعتها أمها تئن، واذ هرعت اليها ألفتها لا تجيب.

واستدعيت شقيقتها. وفي العاشرة الا خمس دقائق صباحاً، والكل متحلقون وقوفاً حول السرير، توقفت يان عن التنفس. وحدقت أمها الى وجهها وعجبت للطمأنينة المرتسمة عليه.

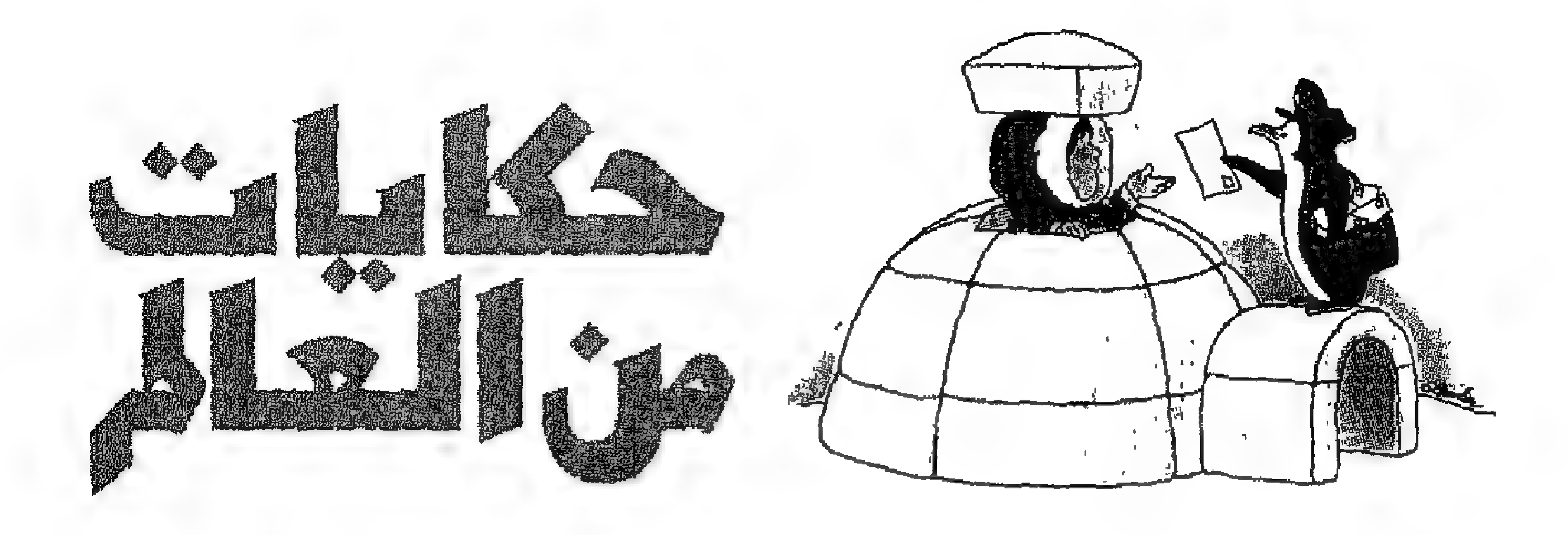
في ٣ ابريل (نيسان) ١٩٨٣ وقفت جماعة من الناس أمام شجرة الخوخ (البرقوق) المغروسة حديثاً في حديقة المستشفى. وتقدمت ممرضة خطوة إلى الامام لتلقي هذه الكلمات:

أين السيدة الرقيقة السوداء الشعر،
المكافحة من دون تذمر،
العازمة على التحسن؟
لقد بذلت طاقتها للمحتاجين،
متناسية الزمن المسرع.
قالت انها هي المحظوظة
اذ تخلصت من الآلام،
لكنها تأسى لأحزاننا
بعد رحيلها.
أيتها السيدة الجميلة السوداء الشعر،
ستحيين فينا أبداً.

ايكو هيرون ■

كان الناس يصفرون أثناء العمل. أما اليوم فانهم يضعون سماعات الراديو على آذانهم.

م.ب.



رحلة ضريبية

لجأت السلطات في مقاطعة ستيرلينغ، غرب أوستراليا، الى طريقة فذّة لحث المواطنين على دفع ضرائبهم في الوقت المحدّد. فقد عمدت الى إشراك كل من يدفع الضريبة قبل موعدها الأخير في مباراة، وجعلت جائزتها رحلة الى الخارج لشخصين، مع دفع جميع التكاليف. وسجّلت الطريقة نجاحاً عظيماً حدا عدداً من المحافظات الاخرى على تبنّيها.

أ.أ

الرفق بالطيور

اعتادت الطيور في مقاطعة بورغنلاند في النمسا، طوال قرون، أن تبني أعشاشها في مداخن البيوت وسط المزارع. وحين عمد أهالي المنطقة في السنوات الأخيرة الى تجديد مداخنهم لتعمل على نحو أفضل، أدّى ذلك الى اختناق أعداد كبيرة من الطيور المعشّشة بسبب احتراق أعشاشها.
ولم تجد الطيور بدّاً من اللجوء الى الأعمدة الكهربائية التي مُدَّت فوقها أسلاك ذات تيار منخفض. غير أن ذلك أدّى الى هلاك المزيد منها. فما كان من شركة الكهرباء إلّا أن استشارت خبيراً في الطيور حول ما ينبغي فعله، فأعطاها الحلّ الآتي: نقل الأعشاش الى أعمدة تُبنى للطيور وتشبه الأعمدة الكهربائية.

مجلة "تايم"

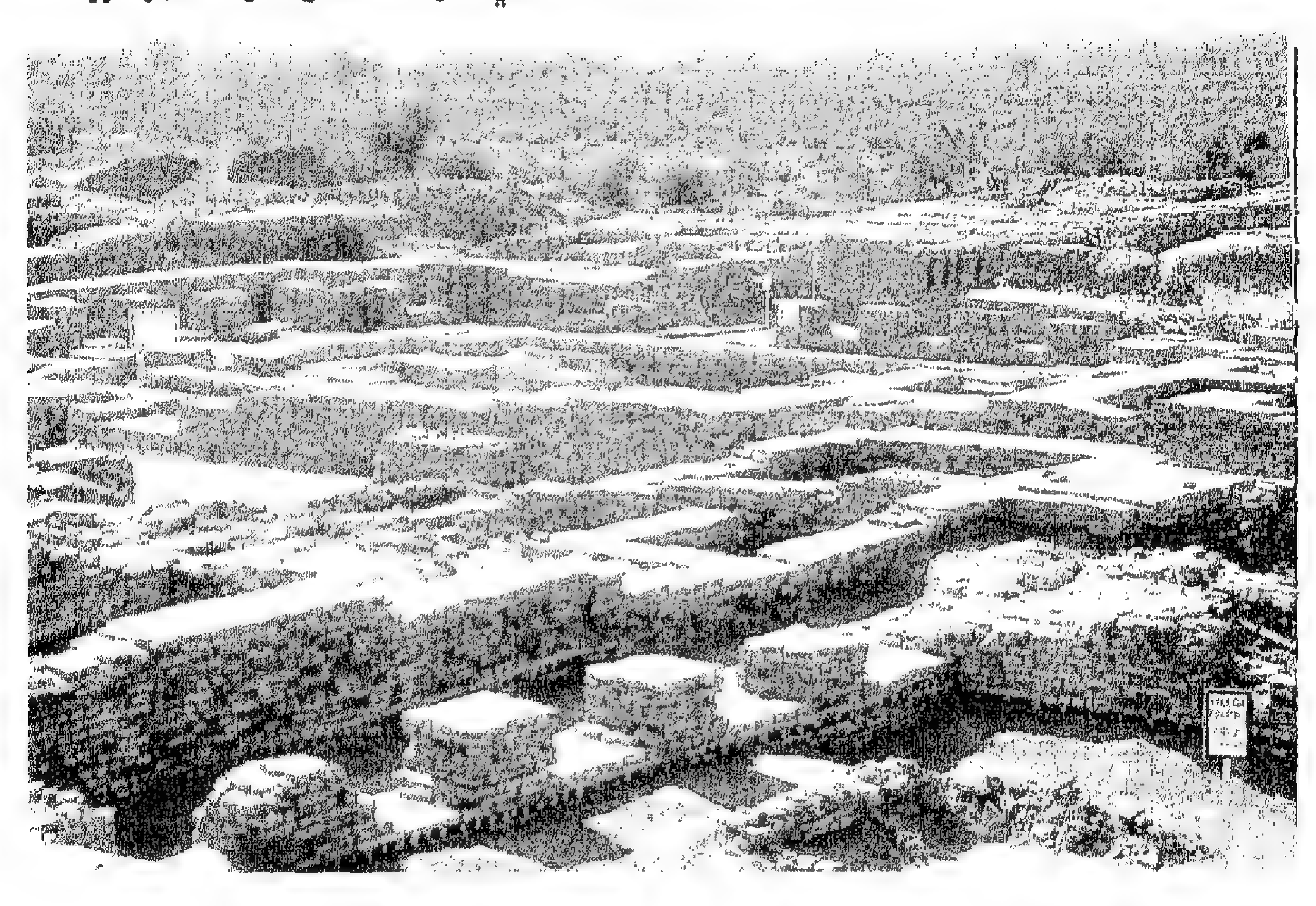
قاموس اكسفورد

داخل المبنى الذي يؤوي مؤسسة قاموس أكسفورد للغة الانكليزية في مدينة اكسفورد البريطانية، يتلقى الموظفون مكالمات هاتفية طوال أوقات الدوام من أمكنة مختلفة في العالم، يسأل أصحابها عن تهجئة كلمة أو إمكان استعمال كلمة أخرى وما الى ذلك من الأسئلة اللغوية. وبدلا من الاشمئزاز يرحب رئيس التحرير الحالي للقاموس روبرت بورتشفيلد بهذه المكالمات التي خص بها شبكة هاتف. وفي إمكان الراغب أينما وُجد هاتف فعال أن يطلب الرقم الآتي: (٠٨٦٥) ٥٦٧٦٧ ويطرح سؤاله اللغوي على بورتشفيلد أو أحد معاونيه.

صحيفة "كريستشن ساينس مونيتور"

لا معابد منحوتة بفخامة هاهنا ولا أجداث ملوك، غير أن هذه السلسلة من الجدران المتداعية والسلالم والأعمدة القائمة على ضفاف الهندوس والتي تبعد ٤٠٠ كيلومتر عن كراتشي في باكستان هي محور عملية انقاذ دولية.

الخرائب المكونة من ألواح قرميد أحمر متماثلة هي كل ما تبقى من مانجودارو،



منظر جزئي يظهر التصميم المنتظم للطرق والابنية في المدينة القديمة.

احدى كبرى حواضر العالم القديم. وكان اكتشاف هذه المدينة التي ترقى إلى ٤٥٠٠ سنة خلت في بواكير هذا القرن انجازاً رئيسياً في علم الآثار، مما ثبّت وادي الهندوس كواحد من مهود الحضارة. وهي حضارة رائدة سابقة لحضارتي مصر وبلاد ما بين النهرين بزمن قصير، وقد انتشرت في مساحة اكبر منهما

مجتمعتين. وكانت من أوائل الحضارات التي أحدثت تخطيط المدن وانشاء شبكة جوفية لتصريف المياه. ويقدّر أن أول ثوب قطني نسج في ذلك المكان.

كانت مانجودارو كبرى حواضر شبه القارة الهندية، وهي مصممة في صفوف أبنية مستطيلة وجادات حسنة الرصف تمتد من الشمال إلى الجنوب وأزقة

مانجودارو

سبقت مصر وبابل الى حضارة المدن

أطلال هي كل ما تبقى من نظام حكم ديموقراطي بدائي في شبه القارة الهندية

تتقاطع في زوايا قائمة. وكل بيت فيها موصول بشبكة تصريف ومجارٍ تحت الشوارع. أما حواضر مصر وبلاد ما بين النهرين في الحقبة نفسها فلم تكن تضاهيها تخطيطاً وكانت فيها شبكات صحية بدائية.

وبما أن النصوص المكتوبة في مانجودارو لم تفك مغاليقها بعد، فليس لدى علماء الآثار تصور واضح لتركيبتها الاجتماعية. لكن الخرائب تلمّح إلى مجتمع مساواة قطن فيه ٤٠ ألفاً في منازل تفاوتت بين أبنية بطبقتين ومساكن بسيطة بغرفة واحدة. والمباني الكبيرة القليلة، وهي حمام عمومي وهري للحبوب وقاعدة ذات أعمدة، كانت مشاعة للاستعمال العام. ويستند بعض الخبراء إلى هذه الدلائل فيستنتجون أن نظام الحكم في مانجودارو كان ديموقراطية بدائية.

كان لمانجودارو تأثير واسع بعيد المدى في وادي الهندوس. فكانت الأوزان والمقاييس موحدة في المنطقة، كما أن المستعمرات التي تبعد مئات الكيلومترات عن مانجودارو تبنت التخطيط المديني الأساسي نفسه مستخدمة حجار البناء القرميدية من الحجم ذاته. وهذا تماثل غيرَ عادي نظراً إلى بطء وسائل النقل والاتصال آنذاك.

وكان لسكان مانجودارو حس بالجمال وروح دعابة. ويقول السير جون مارشال عالم الآثار البريطاني الذي أشرف على الحفريات الأولى: "كانت النسوة يتزينّ بالجواهر وحليهنّ المذهبة مصقولة جيداً ومجلوة باتقان وكأنها من صنع أحد الصاغة القديرين في لندن."

وثمة احتمال أن يكون تم تصدير الاثواب الزاهية الالوان من المدينة إلى بلاد ما بين النهرين. وكان سكان مانجودارو يلعبون نوعاً بدائياً من الشطرنج ويبتكرون لأطفالهم ألعاباً جميلة من الصلصال على هيئة حيوانات.

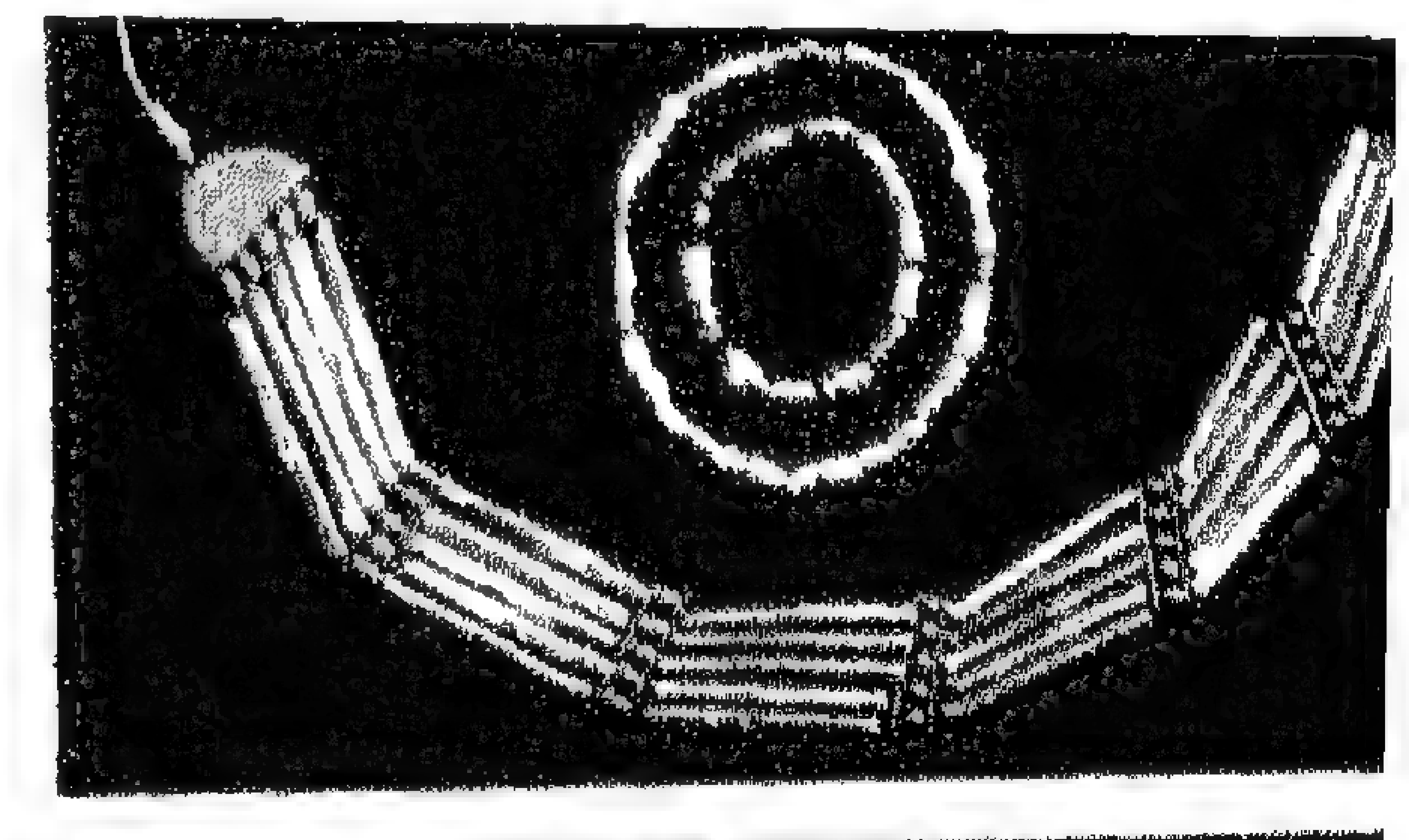
والباعث على السخرية أن علماء الآثار

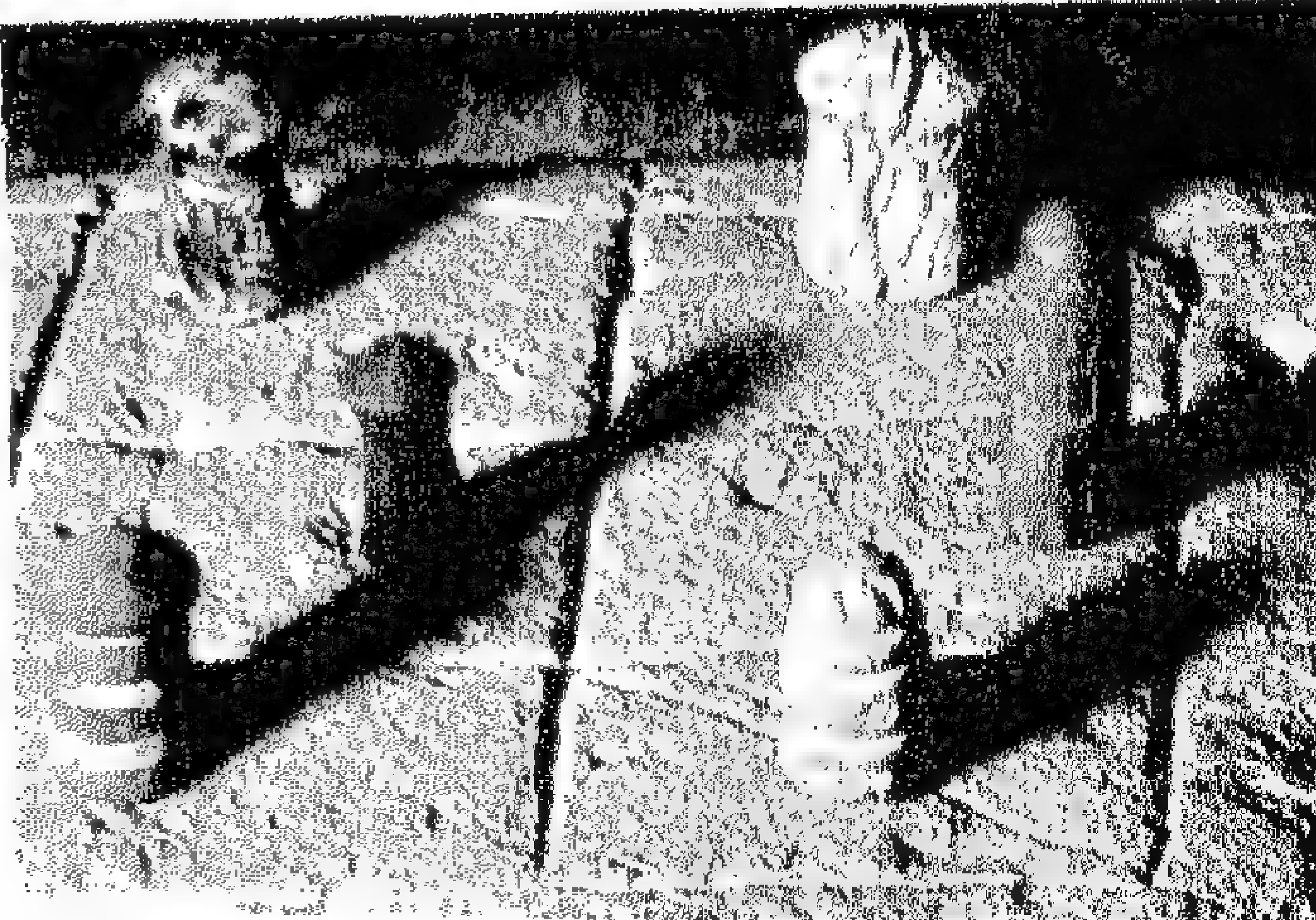
اذ استخرجوا روائع مانجودارو من تحت الأرض في عشرينات هذا القرن، دمروها - أو كادوا - إلى الأبد. فتربة المنطقة تتخللها الأملاح. وكلما هطلت الأمطار تسربت المياه التي تمتصها التربة إلى مباني القرميد سائقة الأملاح معها. واذا ما عريت الخرائب وعرضت للهواء، فإن الأملاح المتأكسدة في المباني تتبلر متسببة في انحلال المنشآت عند هطول المطر. ويقول السير جون مارشال ان التبلر كان سريعاً جداً بحيث انه "خلال ساعات قليلة بعد انهمار وابل من المطر تكتسي الأبنية المنبوشة حديثاً غلافاً أبيض يشبه الثلج الجديد."

وتسارع الانحلال بعد العام ١٩٣٢ حين بني سد للري عبر نهر الهندوس على مبعدة ١٣٥ كيلومتراً شمال مانجودارو، مما أدى إلى اشباع المنطقة بالمياه واستحالة متابعة الحفريات.

أما البقايا المنبوشة فترقى إلى القرون الاخيرة من تاريخ المدينة قبل هجرها قرابة العام ١٥٠٠ قبل الميلاد. وستتبدى صورة اكثر وضوحاً عن نمو المدينة إذا ما أمكنت دراسة الطبقات السفلى على عمق حوالى ١٨ متراً تحت سطح الأرض.

لقد بليت الاطلال على مر العقود الماضية مع ان علماء الآثار الباكستانيين جربوا تقنيات عدة لصيانتها. وكانت احداها، وهي الابسط، كنس بلورات الملح بانتظام عن ألواح القرميد. وثمة طريقة أخرى تقضي بالتطيين للحفاظ على الخرائب. وعلى امتداد المساحات المتضررة جداً يتم ابدال القرميد الأصلي.

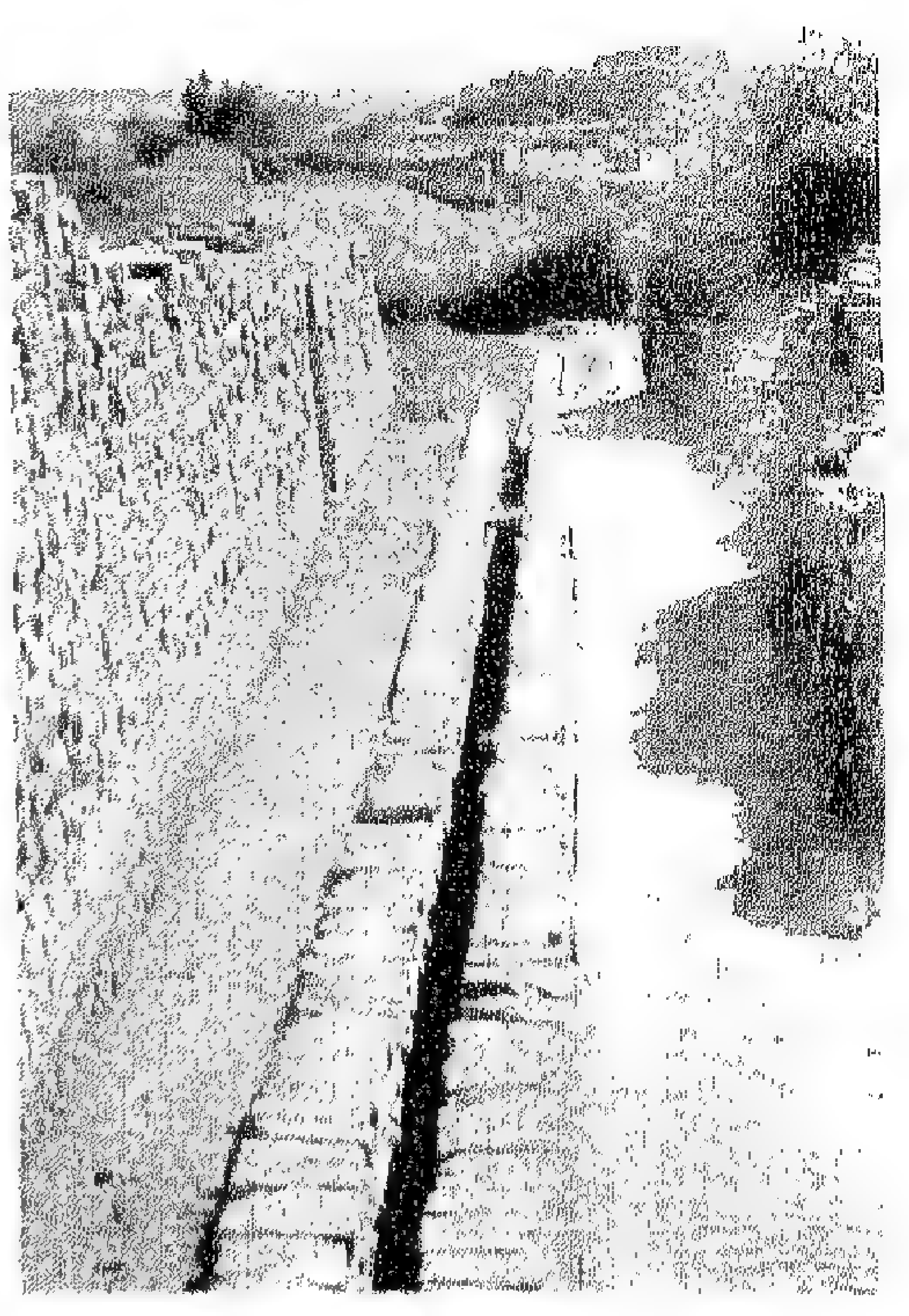




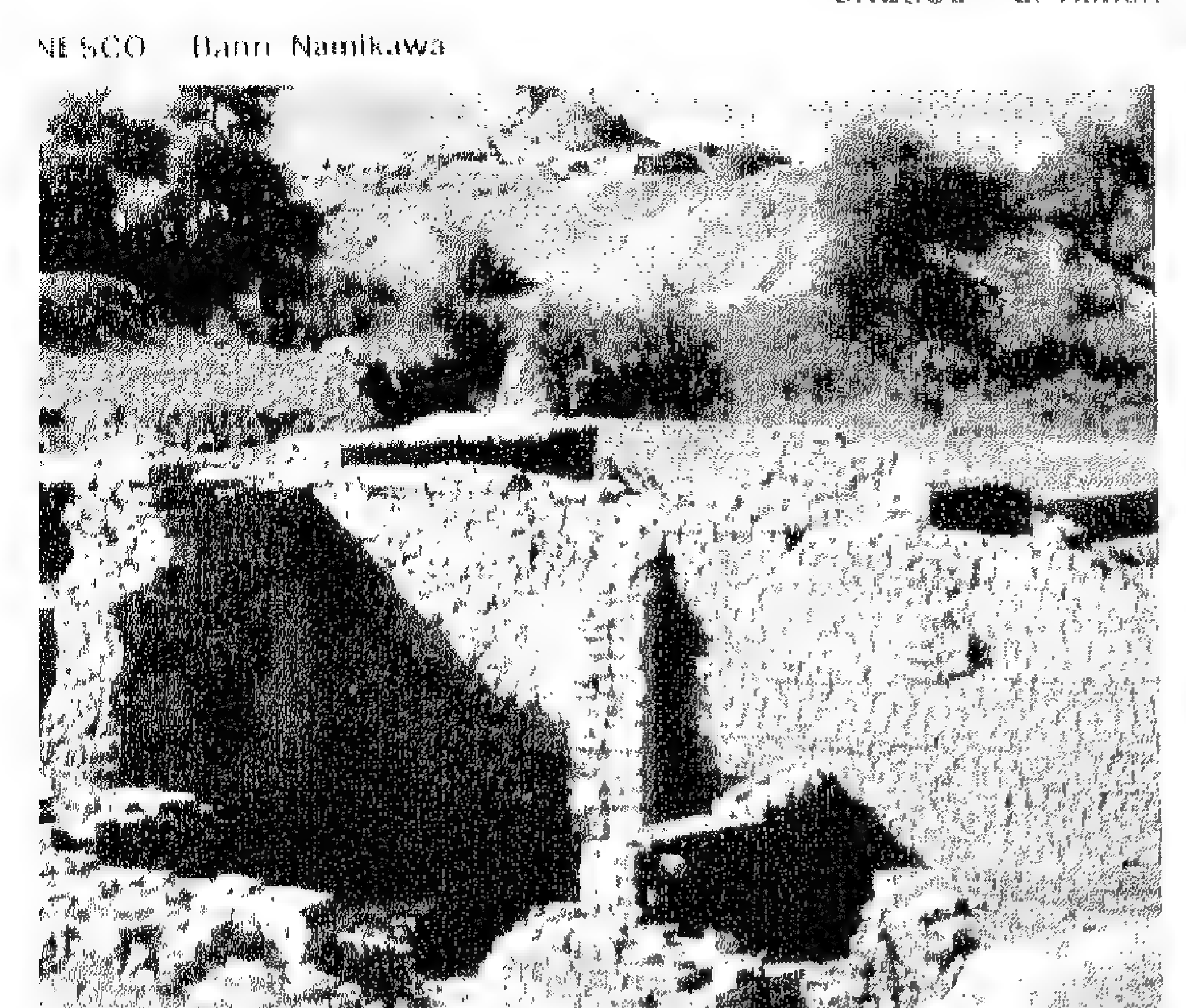
بقايا عثر عليها في البقعة تشير إلى تذوق للجمال وروح دعابة لدى سكان المدينة، وهنا حيوان من الطين وقلائد من خرز. وإلى اليمين مجموعة شطرنج بدائية.

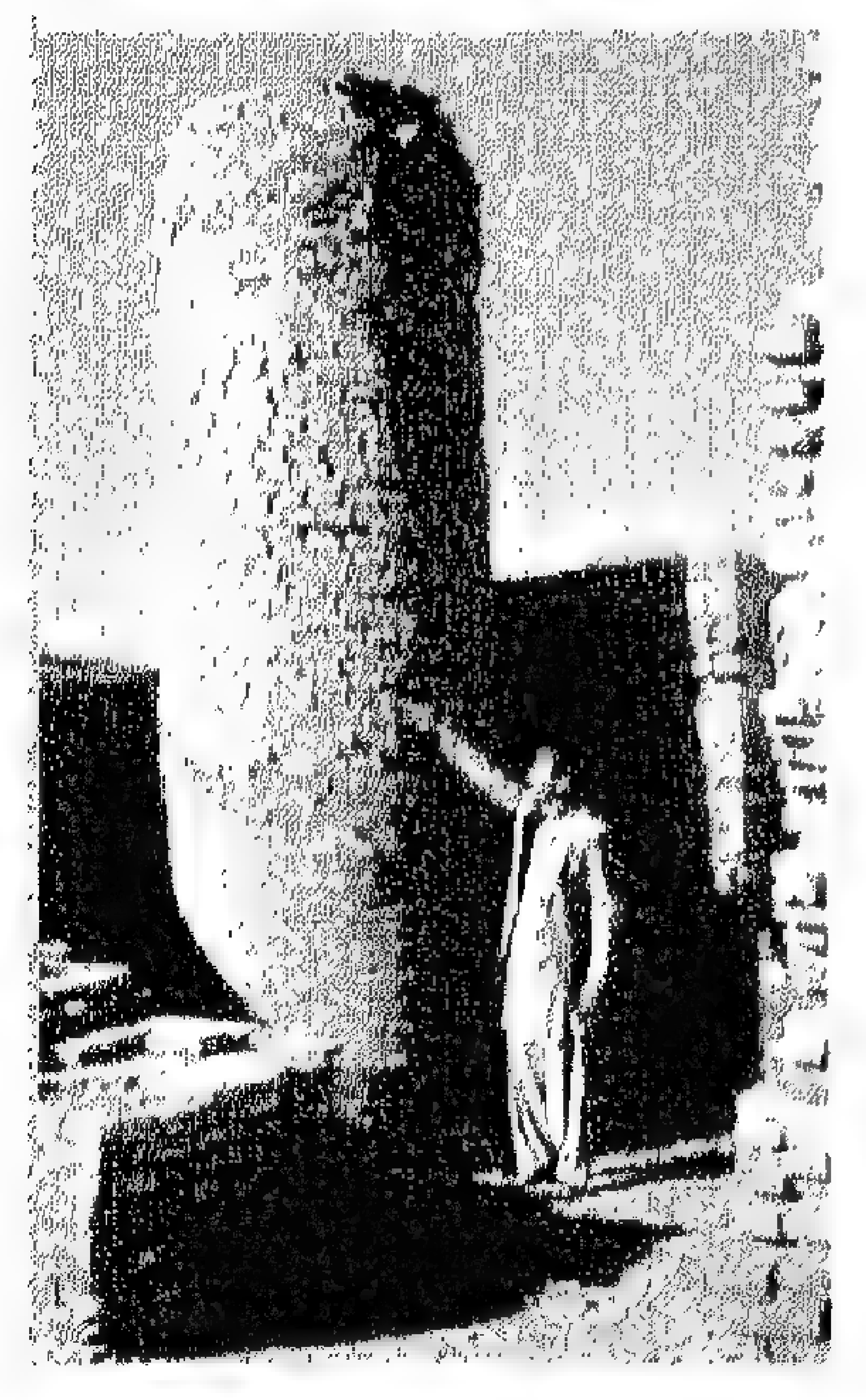
Photos: Department of Antiquities, Pakistan / UNESCO

UNESCO / E. Hatton



UNESCO / Banri Namikawa





Raoul Zamora

قناة لتصريف المياه وجدران متداعية في بقعة الحفريات. والقناة برهان على المهارة الفنية لاهالي مانجودارو. والى اليسار مَهْوى بئر يدل على العمق الذي طمرت تحته المدينة بعدما رفعت الفيضانات المتتابعة مستوى الأرض.

وأثبتت هذه التدابير جدواها، لكن نقص التمويل أدى إلى صيانة جزء من المباني فقط. وكان تجفيف المكان اقتراحاً مرتفع الكلفة لا تقدر باكستان عليه.

وثمة مشكلة أخرى تعين على الباكستانيين معالجتها، هي الهندوس. فالنهر يجري على بعد كيلومتر فقط من الطرف الشرقي للمكان. وقربه مزعج. وقد تكون الفيضانات المتكررة سبب هجر مانجودارو. وبحلول العام ١٩٦٠ أضحت الحال بالغة السوء، فالتمست باكستان العون من منظمة الأونيسكو. وحذّر هارولد بلندرليث مدير المركز الدولي لصيانة الآثار الحضارية واحيائها، ومقره روما، من أنه ما لم تتخذ اجراءات جذرية فإن "كل الآثار المنبوشة ستنهار خلال السنوات العشرين او الثلاثين المقبلة، وبذا يضيع الى الابد واحد من أروع معالم فجر الحضارة البشرية."

يدا التحدي مريعاً حتى ان بعض الخبراء الاجانب أيدوا تغطية جزء كبير من الآثار وترك قسم صغير جداً مكشوفاً وعرضة للفساد. ويتذكر محمد اشتياق خان وهو اليوم رئيس دائرة الآثار

والمتاحف في باكستان: "لم نستطع القبول بذلك، إن تخطيط المدينة هو سر فرادتها، ولن يتوضح ذلك برؤية بعض المباني فقط."

وختاماً أعد فريق من علماء الآثار والمهندسين والجيولوجيين خطة جريئة عام ١٩٧٣. فأوصوا بحفر حلقة من الآبار حول البقعة والضخ لخفض النطاق المائي(★) وتشييد خنادق لمنع نهر الهندوس من تغيير اتجاهه والدنو من الآثار. كما أوصوا بزرع أشجار وأعشاب خاصة لحماية الآثار من الأملاح التي تذروها الريح.

وقدرت كلفة هذه العمليات جميعاً بسبعة ملايين ونصف مليون دولار، تتولى باكستان دفع ثلثها. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ عمد رينيه ماهو المدير العام للاونيسكو آنذاك الى مناشدة "ضمير العالم للتبرع بخمسة ملايين دولار بغية انقاذ البقعة التاريخية." ولكن بحلول يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ لم يجمع الا ٣،١ مليون دولار من المساهمات الحكومية والخاصة.

وجدد خليفة ماهو، أحمد مختار مبو، الالتماس في ١٩٨٣، لكن كلفة المشروع ارتفعت إلى ١٩ مليوناً. واليوم تبلغ قيمة المال المجموع ستة ملايين دولار فقط. وقد انشئت لجنة خاصة لجمع التبرعات برئاسة الأمير تاكاهيتو ميكاسا شقيق الامبراطور الياباني والخبير في حضارة وادي الهندوس. وحسبما رأيت في زيارة أخيرة لي إلى مانجودارو، فان اعمال الصيانة بدأت. وفي رأي عبد القادر الشيخ صاحب المحكمة العليا في باكستان ورئيس هيئة الحفاظ على مانجودارو، "نحن لا نقوى على الانتظار وقتاً أطول."

الآن ثمة أربع عشرة بئراً تفرّغ المكان من الماء على نحو متواصل، مما خفض النطاق المائي إلى عمق أربعة أمتار تحت سطح الأرض. ومع توافر ١٢ بئراً أخرى سيباشر العمل فيها، ينخفض النطاق المائي إلى عشرة أمتار. ويتم ضخ المياه المفرغة إلى قناة للري تبعد أربعة كيلومترات. ولضمان عدم عودة الماء إلى المكان حظرت زراعة الرز ضمن دائرة قطرها أربعة كيلومترات، على أن يتحوّل المزارعون إلى محاصيل أخرى أقل حاجة الى الماء كالقمح.

غير أن أعمال الحماية من النهر تخلفت عن الموعد المضروب لنقص الاموال المرصدة. ويقول القاضي الشيخ: "هذه الخطة وحدها تكلف عشرة ملايين دولار. ولو كان المال بين أيدينا لأنجزنا العمل في سنتين."

في آخر عصر أمضيته في مانجودارو جلت بين خرائبها المهجورة متخيلا شكلها قبل ٤٠٠٠ سنة. فجأة انحدر بصيص من شعاع الشمس على جدار متداع فجعله يتوهج خفيفاً.

وفيما أنا واقف هناك مسحوراً خطر لي أننا سنكون شعباً نكرة ان لم نحافظ على هذه الآثار المتبقية من روائع تلاشت قبل أمد بعيد.

آشوك مهاديفان ■

(★) النطاق المائي هو المستوى الذي تكون الارض تحته مشبعة بالماء.

مأساة واقعية

نهايـة محْنة

كانت الساعة الثالثة صباحاً عندما وصل فلوريان ويلز الى منزل آل بارسلي في سياتل بولاية واشنطن. وهو مهندس فضائي في الثالثة والثلاثين، وقد انطلق في سيارته من المدينة تاركاً زوجته وابنته نائمتين بهدوء. أما كريغ بارسلي (٣٥ عاماً) وهو اختصاصي بالبيئة، فحرص على عدم ازعاج زوجته عند استيقاظه.

وأثناء الفطور ناقش الرجلان خطّتهما لليوم الواقع فيه ١٤ مايو (أيار) ١٩٨٣. كانا متوجهين لتسلّق احدى القمم الغربية في جبل غارفيلد، وهي قمّة صخرية غير مرتفعة جداً. انما محفوفة بالمخاطر.

انزلقَ المتسلّقان على الجدار الصخري بسرعةٍ جنونيّةٍ فحاولا التشبّث بأيِ غصنٍ أو نتوء لتجنّب السقوط في الهاوية



Illustrations: Christopher Magadini

وهذا التسلق عادي بالنسبة اليهما حتى ان أياً منهما لم يخبر زوجته بمكان وجوده تحديداً.

انطلق الرجلان في شاحنة كريغ نحو الجبال. وفي الطريق راحا يتحدّثان عن أهميّة التكيّف الجسدي والمعنوي وكل منهما يتمتّع بخبرة سنين في رياضة التسلّق. فقبل سفر فلوريان الى الولايات المتحدة مع عائلته عام ١٩٧٩ كان عضواً في الفريق الروماني للانقاذ في حوادث الجبال. أما كريغ وهو من مواليد كاليفورنيا فشرع في هذه الرياضة منذ كان في المدرسة الثانويّة.

عندما وصل الرجلان الى الجبل كانت السماء مليئة بالغيوم والحرارة درجة مئوية واحدة فوق الصفر. وهكذا لم تكن الاحوال الجوية مثالية، لكن الزميلين قرّرا الاستمرار آملين الا يزداد الطقس سوءاً. فقطعا مسافة ثلاثة كيلومترات عبر الصخور والاخاديد حتى بلغا منطقة التسلّق. وكانت الساعة الثامنة صباحاً حين ثبّتا الحبال وشرعا يتسلّقان الجدار الصواني الذي يرتفع ٧٥٠ متراً ويؤدي الى القمة التي تعلو ١٤٩٣ متراً.

استهلّ كريغ عملية التسلّق وأخذ يبحث عن الشقوق والصدوع الصغيرة ليقحم فيها أصابعه ومقدّم حذائه. وهكذا تسلق بجهد خمسين متراً من حبله. ثم غرز رزات كبيرة تحمل حلقات معدنيّة في أحد الشقوق وأولج حبله فيها وأشار الى فلوريان ببدء التسلّق. وبعدما وصل هذا الى مستوى كريغ تولّى المركز القيادي بدوره.

وطوال فترة قبل الظهر تناوب الصديقان المركز القيادي. وبلغ انحدار السطح نحو ٧٠ درجة أي ما يعادل انحدار سلّم ركّزت على حائط منزل.

وكان فلوريان ينصِت الى أنفاسه للتأكد من عدم وجود اشارات اجهاد مفرط.

بداية المصاعب – بدأ المطر ينهمر قطرات مبعثرة في البداية ثم غزيراً. فاضطرب فلوريان. اذا استمرّ الطقس على هذا النحو فسيضطّرهما الى العودة. وكانت الساعة الحادية عشرة وقد تسلّقا نصف المسافة من سفح الجبل.

كان فلوريان متشبّثاً بالجدار على مسافة ١٨ متراً أعلى من كريغ. وفي شقّ على مستوى الكتف غرز عزقة تثبيت، وهي أداة غريبة الشكل ـ عرضها ٢٠ مليمتراً لها حلقة يولج فيها الحبل. وفي حال تثبيتها على نحو لائق فانها تتحمّل وزناً يبلغ ٢٣٠ كيلوغراماً. لكن مظهر الشقّ الذي أدخلت فيه لم يعجب فلوريان، فانحنى ليغرز عزقة أكبر في شق أفضل على مقربةٍ من قدميه. وما ان فعل حتى سمع فرقعة: لقد اقتلِعت العزقة الاولى.

وسرعان ما فقد فلوريان توازنه فصرخ: "انتبها" ثم سقط الى الوراء ورأسه الى أسفل وهو يرتطم بالصخر. ثم دار على نفسه غريزياً وقدماه الى أسفل باحثاً عن شيء يتمسّك به.

رأى كريغ صديقه ينزلق وسمع صراخه. واذ هبط فلوريان حوالى ٤٠ متراً، أي ضعفي مسافة الحبل بين الرجلين، استجمع كريغ قواه وفكّر: "سأضطر الى



تحمل ضربة قوية حين أوقفه." وما لبث الحبل ان اشتدّ محدثاً صريراً عنيفاً وانتزع كريغ من الجدار ثم قذفه الى الامام على بطنِه. وحاول هذا أن يتشبّث بشيء فتخدّشت راحتاه.

وعاد فلوريان ينزلق بسرعة مخيفة على الصخر. وكان يردّد في نفسه. "ترى هل سيؤدي بنا ذلك الى الموت؟"

وعلى غرار فلوريان أدار كريغ جسمه حتى أصبحت قدماه في الاسفل. ثم اصطدم بنتوءٍ صغير ودار على نفسه كدمية بالية واندفع ثانية الى الامام ورأسه في المقدّم. وحاول باهتياجٍ شديد ان يتعلق بأي نتوءٍ في الصخر الأملس، فانتزعَت أصابع عدة من تجويفِها المفصلي.

في هذه الاثناء كان فلوريان يحاول يائساً وقف سقوطه. فتمسّك بنتوء صغير بقدمِه. وبينما هو ينظر الى أسفل رأى نتوءاً أكبر يبلغ عرضه ١٥ سنتيمتراً وفكّر: "انها فرصتي الاخيرة." فضرب ركبته اليمنى بالنتوء ليخفّف سرعة سقوطه بحيث يتمكن من امساك النتوء بيديه الاثنتين. ولمّا نظر أبعد من قدميه المتدليتين رأى سقطة عمودية الى بحيرة صغيرة. عندئذ أغمض عينيه متوقعاً أن يجذبه جسم كريغ الهاوي فيسقط صارخاً نحو القعر.

نزف وكسور – لكن الجذبة المميتة لم تحدث أبداً. وبدلا منها سادَ الصمت وتبعته صرخة ألم مبرحٍ. فنظر فلوريان الى فوق ليرى كريغ يتدلّى من نتوءٍ صغير متمسّكاً بذراعٍ واحدةٍ. انها لمعجزة حقاً!



كان كريغ تمسّك بغصن لا يتعدّى طول الاصبع برز من الصخر وأوقف سقوطه. وشعر وهو عالق من ذراعه اليمنى أن موجة من الالم تجتاحه، عندئذٍ أدرك ان كتفه كسرت، فأمسك رزّة بيده اليسرى وأقحمَها حتى مقبضِها في شق مكسو بالطحلب مستعيناً بمطرقته، ثم أقحم رزّة أخرى وأولج فيها حبل الرفع وحزام الامان.

في هذه الاثناء جرّ فلوريان نفسه الى النتوء. وبعدما ثبّت نفسه في مكانه بذراع واحدة وساق واحدة حاول البحث عن عزقات في عدّته وأقحمها في شقوق صغيرة. لقد أصبح المتسلّقان في مأمن وان موقتاً، على رغم انهما لا يتشبّثان الا بطرف نتوء صغير يرتفع ١٥٠ متراً عن سطح الارض.

وشعر فلوريان بألم في ساقه اليمنى حمله على الصراخ. ونز الدم من ركبته، ففكّ رباط سرواله المزموم وذعِر لرؤية عظامه الناتئة. وبرزت عظمة من حذائِه فصرَخ في كريغ: "لقد كسرت ساقي."

مدّ كريغ الحبل الى فلوريان. وأدرك هذا أن جروح زميله أبلغ من جروحِه. فالى الكتف المكسورة كان رسغ كريغ الايمن وكاحلاه ممزقة، وقد نتأت عظام كاحله الايمن من جوربه وكانت مكسوة بالدم والاوساخ، وكان الكاحل ملوياً بزاوية ٩٠ درجة، فحزم كريغ رباطاً لوقف النزف. وتناول فلوريان من سترته بعض الاقراص المهدئة لألم الرأس وتقاسمها ورفيقه.

رفض الاستسلام – بدا الوضع كئيباً. كان المطر ينهمر بغزارة وربما هبطت درجة الحرارة الى ما دون الصفر ليلا. ولم تكن زوجتا المتسلقين تتوقّعان عودتهما الا في ساعة متقدمة وهما تجهلان مكان وجودهما. واذا بقيا على جدار الجبل فقد يموتان من جراء النزف والتعرّض للعوامل الجوية.

ونادى فلوريان صديقه: "سوف أنزل. وحين أصل الى الشاحنة أدير اللاسلكي على موجة المدنيّين وأطلب النجدة."

وحزم فلوريان حبله حول خصرة وخفضه كريغ على طول الحبل، انما بقي على فلوريان أن يهبط ست مرّات على حبل مزدوج طويل ليبلغ أسفل المنحدر فلفّ طرفاً من حبله حول رزّة والطرف الآخر حول جسمه وبدأ ينزل. وحين نفد الحبل ثبّت نفسه موقتاً على الجدار ودفع بالحبل الى أسفل واتّخذ وضعاً جديداً. كانت ساقه تؤلمه كثيراً، وكلّما اصطدمت بالجدار كان الالم يبهر انفاسَه.

وبعد ساعتين ونصف ساعة بلغ فلوريان قاعدة الصخر. وسار متعثراً الى البحيرة التي رآها من عل وغطّس وجهه في مائها ليروي ظمأه. وكان جبل شديد الانحدار يمتدّ تحته، وعليه أن يزحف كالسلطعون متكلا على أطرافه الثلاثة السليمة ورافعاً ساقه المصابة.

وعلى مستوى الاشجار كان الانحدار خفيفاً فصعب على فلوريان استخدام يديه. فبحث عن قطعة خشب يتعكّز بها، لكن الاغصان التي وجدها كانت إمّا نخرة فلا تتحمّل وزنه وإمّا شديدة الاخضرار فلا تكسر بسهولة.

وخشي فلوريان أن تصاب ساقه السليمة بأذى، اذ كان يثب عليها ويجرّ

الاخرى. وقد سقط غير مرّة وفي كل مرّة كان يصيح من الالم حتى كاد أن يفقد وعيه. ولو حدث ذلك لمات حتماً بالتعرّض للعوامل الطبيعية. ولم يضع نصب عينيه سوى فكرة واحدة: "لا تستسلم، واصل التحرّك."

وبدأت عضلات ساقه السليمة تتشنّج وتقاربت سقطاته. عندئذ قرّر سلوك جدول صغير كمنزلق مائي، لكن انزلاقه كان سريعاً، وحين حاول ابطاءه انسلخ الجلد في أنحاء من ذراعيه. وتوصّل أخيراً الى تثبيت قدمه اليمنى في قاع الجدول باذلا جهده للتوقّف، ثم رفع جسمه وشرع يثب من جديد. الا أنه انزلق على صخر فالتوى كاحله السليم وسقط على جنبه وقد انتابه ألم مرير. ووقف مجدداً وكرّر الوثب. وانقضت ساعات حتى فترة متقدّمة من بعد الظهر وبهت ضوء النهار.

أما على الجبل فقد بدأ كريغ يفقد الحسّ. وخشي أن تهبط حرارة جسمه. كان عليه أن يستمرّ في الحراك. وعلى غرار فلوريان أخذ ينحدر عن الجدار ببطء وجهد أليم. وعندما وصل الى مسافة ثلاثة أمتار فوق قاعدة الصخر خارت قواه وسقط وهو يلهث من الوجع.

كان كريغ عاجزاً عن السير، فبدأ ينزلق على المنحدر الصخري وهو جالس على مؤخرته. وما لبث سرواله أن تمزق فانسلخ جلده وسال دمه.

وانتقل كريغ الى الكرج والزحف. وكانت كل حركة تتطلّب منه جهداً أليماً. ولم يسعه الاستسلام للنعاس الذي دهم جفونه، ففكّر في زوجته آمي وزحف على ركبتيه متكئاً على ذراعه السليمة.

صوت داخلي - عندما وصل فلوريان الى مقربة من الطريق، كان الظلام بدأ يهبط لكنه لم يبلغ المكان حيث أوقفا الشاحنة. وتساءل عمّا اذا كانت قواه الباقية تكفي للبحث عنها. عندئذ سمع هدير شاحنة تقترب، فاندفع على قدم واحدة نحو الطريق وهو ينادي: "النجدة!" لكن الشاحنة أغفلته اذ كانت نوافذها مغلقة بسبب المطر. وبعد دقائق سمع هدير شاحنة أخرى يقترب منه، فنادى من جديد لكن الشاحنة توارت أيضاً وسط الظلام.

واقتربت شاحنة ثالثة، وكان فلوريان جالساً على حافّة الطريق. فاستجمع قواه وقفز يلوّح بذراعه ويصرخ. وتوقّفت الشاحنة وترجّل منها أربعة أشخاص فقال لهم لاهثاً: "تعرّضنا لحادث ونحن نتسلّق... لا يزال زميلي عالقاً فوق... انه يحتاج الى مساعدة... سريعا."

وبعد مضي ساعة وصل المنقذون الى أقرب بلدة. وأصَرّ فلوريان على الانتظار ريثما يتجمّع المنقذون فيعيّن لهم موقع كريغ بالضبط. ولم يرض بأن ينقل الى المستشفى الا بعد اتمام ذلك.

اما في الغابة فكان المطر يهطل بغزارة متزايدة مع هبوط الليل. وبدأ النعاس يتغلّب على كريغ على رغم تقدّمه دبيباً على الاربع. وهو اذا لم يرفع حرارة جسده لن يبقى على قيد الحياة.

وزحف الى جذع شجرة أجوف بعيد عن الهواء والمطر ومملوء بالنشارة الجافّة. وسحب من جيبه علبة ثقاب مانعة للماء واشعل عوداً وقرّبه من النشارة، فاندلعت النار. وكسر بعض الأغصان اليابسة ورماها في النار فشعر بالدفء يؤاسيه في

وحشتيه، وكاد حافز النوم يغلبه، لكن صوتاً داخلياً حذّره: "لا! يجب أن تبقى مستيقظاً!"

حنين وإقدام – كانت الساعة التاسعة ليلا حين سمع كريغ أحدهم يناديه باسمه: "كريغ! أأنت هنا؟"

فصرخ: "أنا هنا!"

لقد وجده المنقذون على بعد نصف كيلومتر من الطريق وهو في الطور الاول من الصدمة العصبية. فجرعوه الشوكولاتة الساخنة ولفّوه في كيس نوم أدخلوا فيه قوارير من الماء الساخن. ثم رفعوه على نقّالة وأخرجوه من الغابة. وهكذا انتهت المحنة التي طالت!

كانت جراح كريغ بارسلي أكثر خطورة من جراح زميله، لكنها شكلت مقداراً أقل من الاعاقة على المدى الطويل. وهو أمضى خمسة أيام في المستشفى وتحمل الجبائر في ساقيه وذراعه طوال ستة أسابيع. ودهش طبيبه لسرعة تعافيه ووصفه بالشاب المحظوظ جداً. لكن كريغ تخلّي عن رياضة تسلّق الجبال قائلا: "لن أتسلّق أي صخر يتعدّى ارتفاعه المترين." وهو يعترف بأنه يشعر بوخز الحنين كلما رأى قمة مهيبة.

أما فلوريان ويلز فواجه خطر فقدان الحركة الى الابد في قدمه المصابة. وأخبره الاطبّاء أنه قد لا يتمكن من ممارسة التسلّق بعد ذلك اليوم، وأنه سيكون محظوظاً إن استطاع السير على نحو طبيعي. الا أن فلوريان لم يكن ليقبل بمثل هذا المصير، فأفضل ذكرياته وأعز اصدقائه على ارتباط بالجبال، وهو لا يستطيع التخلّي عنها بسهولة. ومضى أكثر من ستة أشهر قبل أن يتمكن من السير بلا عكازات، ثم بدأ يعمل على استعادة قوة عضلاته وعافيته.

وفي ربيع ١٩٨٤ تسلّق فلوريان ويلز الجدار الشرقي لجبل ويتني الذي يبلغ ارتفاعه ٤٤١٨ متراً.

اميلي وبير أولا دولير ■

واحدة بواحدة

لم يحترم الرسام الفيكتوري جيمس ويسلر التسلسل الهرمي لأي مهنة. ومرة أصيب كلبه بعدوى في حلقه فأرسل في طلب السير موريل ماكينزي، الاختصاصي الأول في بريطانيا بأمراض الأذن والأنف والحلق. ولم يسرّ الطبيب الشهير لرؤية مريضه، لكنه أجرى له فحصاً دقيقاً وكتب وصفة طبية وغادر بعدما قبض أجره.

وفي اليوم التالي تلقى ويسلر رسالة تطلب منه الاتصال بالدكتور ماكينزي من دون تأخير. فهرع ويسلر الى دارة الطبيب وقد تملكه الخوف من تطورات مستجدة في صحة كلبه.

"أهلا وسهلا بك يا سيد ويسلر،" بادر ماكينزي ضيفه، "أردت مقابلتك في شأن طلاء باب منزلي."

ب.م.

أوراق النقد المزورة تتسلل
الى الاسواق وتتحسن نوعيتها مع تقدم التكنولوجيا
وهنا مثل من الولايات المتحدة

العملة المزورة
النسخة تضاهي الأصل؟

إنها الثامنة مساء. موظف إداري صغير متأخر في تسديد مدفوعات عائدة الى رهن عقاري يتنقل بين مكاتب شركة اعلانات في نيويورك للتأكد من وجوده وحيداً فيها. يقترب من ناسخة (فوتوكوبي) جديدة تعمل بأشعة "ليزر" ويضع خمس قطع نقدية من فئة العشرين دولاراً على الرقعة الزجاجية ويضغط الأزرار بغية الحصول على عشر صور بوجهين. وبعد أن تتوقف الآلة يجمع الأوراق النقدية وصورها ويتوجه الى منزله ليقص قرابة ألف دولار تقرب من الكمال.

إن مثل هذا السيناريو يلازم أفكار جو كارلون رئيس قسم مكافحة التزوير في الاستخبارات السرية في الولايات المتحدة. لكن من يرى ما تنتجه الناسخات الحديثة من صور تختلف في لونها عن الاصل يرى ان كارلون قلق أكثر مما يلزم. بيد أن هذا الرجل شاهد في مصنع "زيروكس" في باسادينا بكاليفورنيا نموذجاً لآلة جديدة تدعى "الناسخة السريعة الاستجابة المتعددة الألوان"(١) صنعت لمصلحة وزارة الدفاع الامريكية من أجل تصوير الخرائط بسرعة فائقة. والنموذج الأصلي هذا يستخدم أشعة ليزر للحصول على صور بألوان تطابق تماماً الوان المستندات الأصلية. وقد تعمّ هذه الآلات المكاتب في السنوات القليلة المقبلة.

يقول كارلون: "إن امكان تصوير ورقة

(١) Quick Response Multicolor Printer «QRMP»

نقدية بما يقرب من الكمال قد يحوّل التزوير من عملية تستلزم خبرة في التنفيذ الى جريمة تخضع لنزوات موظفي المكاتب."

ويعتبر التزوير حتى الآن عملا مربحاً قدّر بـ٨٩ مليون دولار في العام ١٩٨٤. وهو يتطلب عادة مطابع غالية الثمن وآلات تصوير خاصة وشبكات للترويج تخلّف كلها أثراً تقتفيه الاستخبارات السرية. ويظن كارلون أن عملاءه يصادرون حالياً ما يزيد على ٩٠ في المئة من النقد المزيّف قبل ترويجه في السوق.

العملة الرديئة – المشكلة بالنسبة الى المزورين تكمن في عملية الطبع حيث تخونهم تكنولوجيا متطورة. فنقد الولايات المتحدة معالج بطريقة تنتج أوراقاً نقدية لها أحرف نافرة يمكن تحسسها وتشبه الى حد بعيد الاحرف النافرة في البطاقات المعدة للدعوات.

بيد أن المزورين يلجأون غالباً الى الطباعة بطريقة "أوفست" التي تعتمد التصوير. ويشعر هؤلاء بخطأ طريقتهم لأن الأوراق تمتص الحبر ولا تبدو جلية كالأصلية. ومن بين سبعة ملايين ونصف مليون دولار مزورة طرحت في الأسواق عام ١٩٨٤ كان مليون فقط مصمماً باحكام بحيث تعذر على أمناء صناديق المصارف تمييز الاوراق المزورة عن الاصلية. ويقول جو دزموند المدير السابق للبحوث والانماء في دائرة الحفر والطباعة في العاصمة واشنطن: "هنا يصح المثل القديم: اذا بدت العملة رديئة فهي رديئة فعلا."

بيد أن الناسخات الملونة تستطيع اظهار العملة الرديئة مظهراً حسناً. وخلافاً للآلات المستخدمة حالياً والتي تعتمد طرقاً ميكانيكية، فان الآلات الجديدة هي أدمغة الكترونية فعلا، اذ في استطاعة أدواتها الفاحصة التي تعمل بأشعة ليزر "قراءة" محتوى المستند وتجزئته أجزاء متناهية في الصغر تدعى "بيكسل" (pixel) . والدماغ الالكتروني فيها يقرر نسبة مزج الألوان الأساسية والمغايرة والاضاءة لكل بيكسل.

ومن أجل طباعة المحتوى ترسل الآلة شعاع ليزر عبر اسطوانة ذات تكيّف ضوئي حساس، فترسم عليها ذلك المحتوى بواسطة شحنة كهربائية من طريق كل بيكسل بمفرده. من ثم يأتي دور أصباغ جافة تتكوّن من الأحمر والأصفر والأزرق والأسود، ترش رذاذاً على الاسطوانة وتلتصق حيثما وجدت شحنات كهربائية. بعد ذلك تدور لفافة ورق على الاسطوانة وتلتقط الرسم الذي شكلته الاصباغ. وبغية مزج الألوان ونقل الصورة تضغط الآلة وتذيب الاصباغ الجافة.

إن الميزة الحقيقية للناسخات الجديدة، والخطر فيها، يتمثلان في قدرتها على تحليل نقاط ملوّنة متناهية في الصغر. ففي استطاعتها تصوير الخيوط الحريرية الحمراء والزرقاء الدقيقة المستخدمة في الاوراق النقدية الامريكية منعاً للتزوير. كما يمكنها اخراج أحرف نافرة بتذويب الاصباغ، فتتشابه الاوراق المزورة والاوراق الصحيحة ملمساً على رغم ان الخبراء يصرّون على أن الاوراق المزورة تبدو لزجة عند لمسها.

عنصر سحري – ما فتئت وزارة المال الامريكية تراقب بقلق تطور آلات النسخ منذ العام ١٩٧٨. وهي تعد لاتخاذ اجراءات مضادة. ويدرس الخبراء في دائرة الحفر والطباعة أساليب تضمن دمج مقومات دقيقة لاعاقة تزوير جميع الاوراق النقدية، من فئة الدولار الواحد الى فئة المئة دولار. ومن الاحتمالات المطروحة في المرحلة الاولى دمج علامات مائية أو مسحات خاصة وموشورات (Prisms) رفيعة جداً تولد أشكالا يتغيّر لونها. ويقول روبرت ليوفر مدير الدائرة انه في حال اتخاذ قرار بهذا الشأن فستطرح في الاسواق أوراق نقدية متضمنة عناصر تردع التزوير، وذلك بعد فترة تراوح بين ١٢ و١٨ شهراً.

إن الاوراق النقدية الجديدة ستتضمن بالتأكيد خيوطاً من أولها الى آخرها، وهي تتكوّن عادة من قطع بلاستيكية رفيعة تُدخل الاوراق لدى انتاجها. وقد تدمغ الاوراق بخيط يشكل الاحرف الاولى من اسم الولايات المتحدة الامريكية (USA) وتمكن رؤيتها عندما يُنظر الى الاوراق وخلفها ضوء ساطع.

بيد أن الخيوط تبين اذا قصد الناس رؤيتها. أما وزارة المال فتبغي اكتشاف "عنصر سحري يدل على أن الاوراق أصلية،" هذا ما قاله أنطوني لاكابريا نائب رئيس قسم البحوث في شركة النقد الامريكية. والعنصر السحري هو الهولوغرام وهو صورة ملوّنة ثلاثية الأبعاد تبدو نافرة في الاوراق النقدية.

لقد استخدمت شركة النقد الامريكية الهولوغرام في بطاقات الاعتماد والوثائق العسكرية وغلاف مجلة "ناشونال جيوغرافيك". وطلبت وزارة المال من الشركة اجراء تجارب على هولوغرام بلاستيكي في سماكة رقاقة ذهب مكبوس ساخناً على اوراق نقدية أمريكية.

ويقول لاكابريا إن الهولوغرام يصعب تصويره ليطابق الاساس، وان أي محاولة قد تكلف المزورين مئات ألوف الدولارات في حين تتكلف الحكومة جزءاً من السنت لكل ورقة نقدية.

ذهب الثقة – بول جاكوبس رئيس العلماء في شركة "زيروكس" يعتقد ان لدى فريقه حماية أفضل هي مجموعة خطوط بلاستيكية متوازية ونافرة تدعى "محزّزة الحيود المضاعفة" (٢). فبعد أن تُحزم الوف من هذه الخطوط في السنتيمتر الواحد، تبدو المجموعات وكأنها سطح أملس في حين تقارب المسافة بين مجموعتين منها الطول الموجي للضوء المنظور. وهذا يعطي المجموعات قدرة تشبه قدرة الموشور على تجزئة الضوء الأبيض سبعة أنوار ملوّنة. واذا أُمسكت الورقة أفقياً فقد يبدو سطحها أحمر، وأي إمالة تحيلها صفراء أو خضراء. ويشرح جاكوبس ذلك: "عندما تُميّل الورقة النقدية فانك تدخل لوناً آخر الى عينيك."

إن في امكان الهولوغرام ومحززة

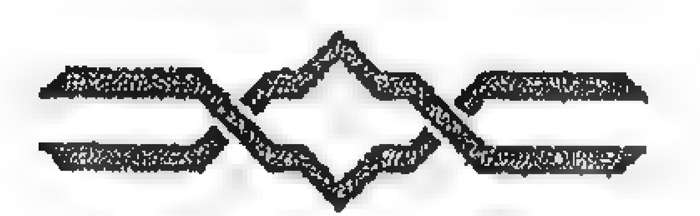
---

(٢) Multiple — diffraction grating . والحيود انحراف الضوء قليلا عند مروره بحافة حادة أو حول جسم بالغ الصغر أو خلال ثقب ضيق. ومحزّزة الحيود أداة تستخدم للحصول على الاطياف استناداً الى ظاهرة الحيود، وهي تُتخذ من لوح زجاجي أو معدني مصقول تُحز على مسطحه خطوط مستقيمة متوازية.

الجيود المضاعفة احباط جهود المزورين لسنوات عدة، لكنّ المسؤولين في وزارة المــال يتساءلـون عن قدرة هــاتين الوسيلتين على تحمل الاستعمال الخشن الذي تواجهه الأوراق النقدية. ويقول روبرت تشارلز نائب رئيس شركة النقد الامريكية: "نحن نختبر الهولوغرام على آلات تثني الاوراق المالية وتطويها، ونضعه في الافران ونغسله مئات المرات ونعرضه لكل شيء، من الكلور الى البنزين." وشركـة "زيروكس" تقـوم بالعمل نفسه.

وزارة المال تحيط خططها الجديدة بالكتمان، وثمة أناس يعترضون منذ الآن على إحداث أي تغييرات. لكن الخيار الآخر يبعث على الهلع. ويقول بول جاكوبس: "عندما تخلينا عن معيار الذهب وبات متعذراً مبادلة الذهب بالمال، بقي شيء واحد هو الثقة." والى أن يتم ادخال العناصرّ المانعة للتزوير في الاوراق النقدية، في امكان آلات النسخ الجديدة جعل التزوير عملية تسلية على المستوى الوطني.

مايكل سكولر ■



الحقيقة الجارحة

جدتي مزارعة لطيفة ورزينة، لها أسلوب بسيط وعذب في التعبير عن رأيها. وذات مرة زرتها أثناء عطلتي الجامعية. وفيما نحن نعرض أخبار العائلة والأصدقاء أعربت لي عن أسفها لطلاق صديقين قريبين. وتعجبّت كيف يمكن أن يحدث ذلك لشخصين طيبين ومحبين مثلهما. وكنت انتهيت حديثاً من مادة الاستشارات الزوجية، فألقيت عليها محاضرة مطولة اعتقدتها تفسيراً ثاقباً لحيثيات اخفاق زواج الصديقين وأسبابه. ولما فرغت من محاضرتي فكرت جدتي لبعض الوقت ثم قالت: "الحقيقة، ولا أنا أعلم!"

غ.أ.

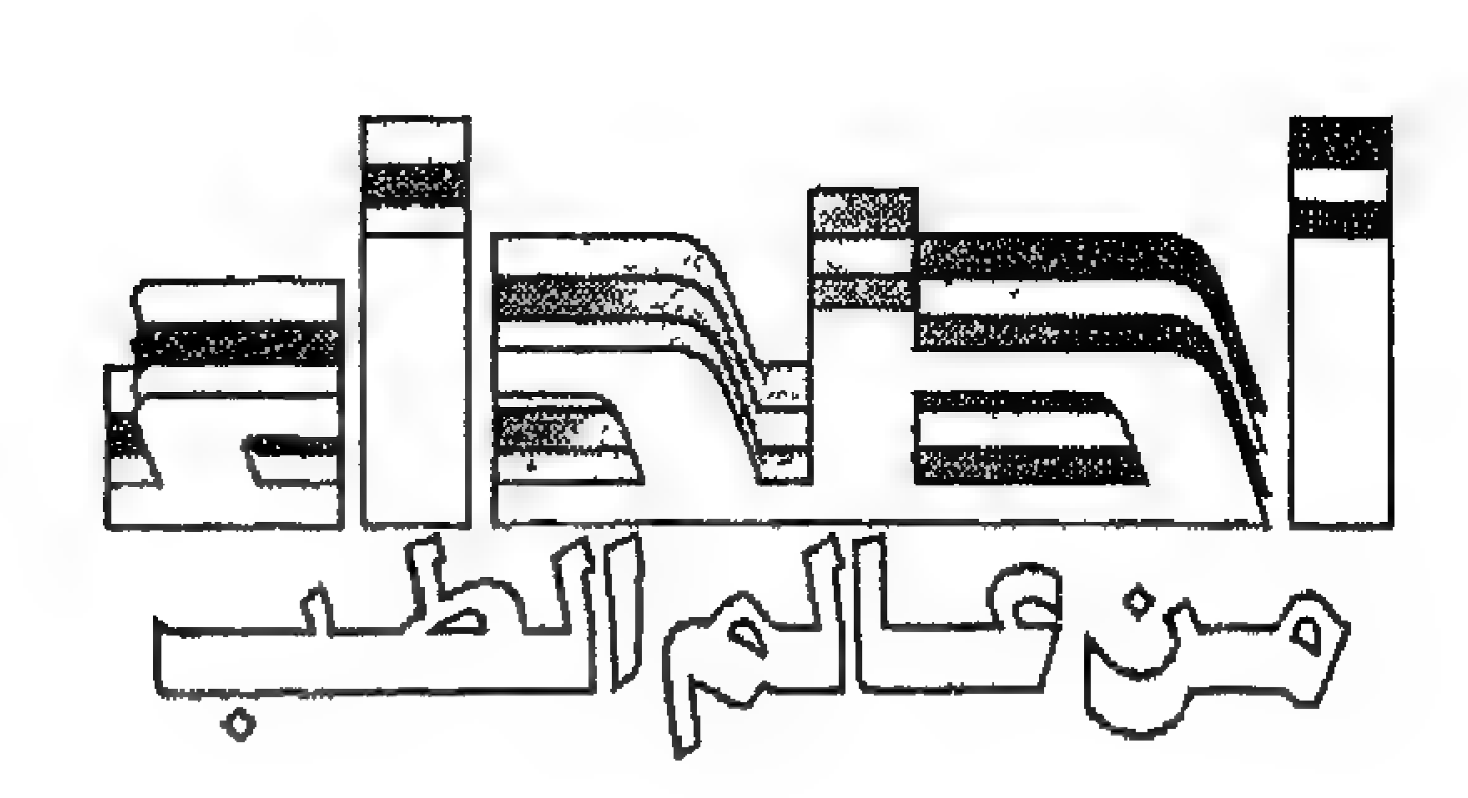


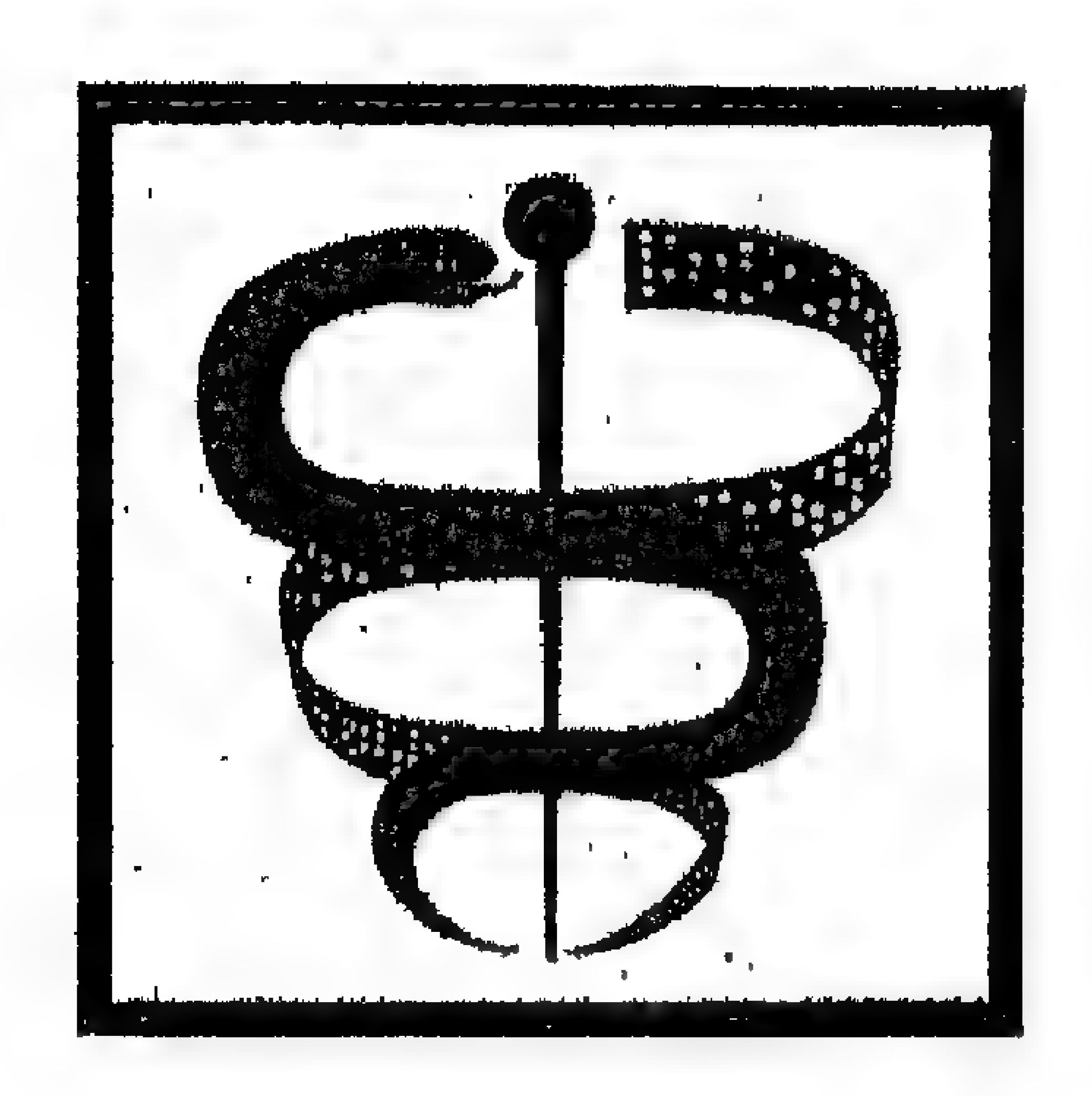
العين بالعين

أقوم أحياناً بأعمال تصوير مستقلة لبعض الصحف والمجلات وأفتخر كثيراً بهذه الأعمال. وذات مساء تعرفت في حفلة الى رجل متبجح يحرر مقالة أسبوعية في مجلة نشرت احدى الصور التي التقطتها. وبعدما أخبرني أنه أعجب بتركيبة الصورة وانسجامها "الممتعين الى حد ما" قال: "لا بد من أنك تملك آلة تصوير رائعة."

وعلى الفور أخبرته أنني استمتعت بقراءة مقالته الأخيرة، وأضفت: "لا بد من أنك تملك آلة كاتبة رائعة."

أ.ف.





تجنّب سرطان المعي الغليظ

على رغم ان سرطان الامعاء من أشدّ أنواع السرطان التي تؤدي الى الوفاة، الا أنه في الوقت نفسه من أكثر أنواع هذا المرض قابلية للشفاء.

وهناك أورام كثيرة في أغشية الامعاء المخاطية يمكن ان تتحول سرطاناً على مرّ السنين اذا أهمل المرء علاجها. وقد ابتكر الاطباء حديثاً طريقة خالية من الالم نسبياً لتحري ورم الامعاء واستئصاله وهو صغير خوفاً من أن يصبح مرضاً عضالا مع الوقت.

وحتى خمس سنوات فقط كان فحص الامعاء يتمّ عبر اقحام منظار سيني في المستقيم والقولون، اي الجزء الاسفل من المعي الغليظ، مسافة ثلاثين سنتيمتراً. أما الطريقة الحديثة فتعتمد أنابيب ليفية أقلّ صلابة، وفي امكان الطبيب النظر عبرها الى القولون كله. والفحص يحصل في عيادة الطبيب ولا يحتم دخول المستشفى.

وقد باشرت جمعية السرطان الامريكية والمعهد الامريكي الوطني للسرطان حملات هادفة الى اطلاع الاطباء والجمهور على الطريقة الحديثة وحثهم على فحص المعي الغليظ للكشف عن الاورام المحتملة وتجنب تضخمها. وقد نُصح جميع الاشخاص الذين يتجاوزون الخمسين باجراء هذا الفحص مرة كل ثلاث سنوات أو خمس. كما لُفت الاطباء الى أهمية الفحوص الاصبعية لتحري الدم المخبوء في البراز الذي قد يكون دليلا على سرطان القولون.

صحيفة "نيويورك تايمس"

البروتيين ومرض القلب

منذ مدة غير قصيرة والاطباء يأخذون من وجود البروتيين في البول علامة مرض في الكلى. وقد ظهرت شواهد اليوم على ارتباط هذه الظاهرة بالسكتات القلبية والدماغية. وأهم ما في الأمر أن البروتيين البولي يظهر قبل حدوث السكتة أو الجلطة.

والشواهد المذكورة استمدت من دراسة شهيرة أُجريت في فرامنغهام، مساتشوستس، على ١٥ ألف مريض. وتبين أن البروتيين البولي لدى ذوي

ضغط الدم المرتفع هو ثلاث مرات أكثر منه لدى الآخرين. كما أن معدل وفاة الرجال والنساء الذين ترتفع نسبة هذا البروتيين لديهم يزيد مرتين او ثلاثة عليه لدى الآخرين. ومعظم أولئك يقضون نتيجة أمراض الاوعية الدموية كما يقول الدكتور وليم كانل استاذ الطب في جامعة بوسطن.

ولكن أيكون البروتيين البولي سبباً أم نتيجة لمرض القلب؟

في حين يبقى هذا السؤال مفتوحاً، يشير الدكتور كانل الى أن ارتفاع البروتيين في البول يرافقه "تلف واسع النطاق في الاوعية الدموية." وينصح زملاءه الاطباء باخضاع مرضاهم لقياس بروتيين البول، وهو فحص سهل ولا يكلف كثيراً، مرة كل سنتين على الاقل. فاذا أظهرت الفحوص ارتفاع كمية بروتيين البول، تعين على المرضى تجنب كل ما من شأنه تهديد القلب كالتدخين وارتفاع ضغط الدم والكولستيرول وتضخم نسبة السكر.

مجلة "الصحة"

فحوص ما قبل الجراحة

كل من ذهب الى مستشفى لاجراء جراحة تساءل عما اذا كانت كل تلك الفحوص التي تجرى قبل العمليات الجراحية ضرورية حقاً. وقد كشف مسح أجري في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو وشمل ٢٠٠٠ مريض جاؤوا لاجراء جراحات اختيارية، ان نحو ٦٠ في المئة من الفحوص السابقة للجراحة، بما فيها فحص تخثر الدم ومستوى سكر الغلوكوز، غير ضرورية وهي مكلفة أيضاً.

وقال الدكتور جورج لندبرغ رئيس تحرير مجلة الجمعية الطبية الامريكية التي نشرت هذا الاستقصاء: "لا يمكن أحداً أن يستهين بالفحوص المخبرية المناسبة. ولكن في هذه الايام، اذ تبذل جهود متزايدة للحد من التكاليف، تصبح الفحوص الروتينية غير الموصى بها قبل الجراحة أمراً يمكننا الاستغناء عنه."

اذاعة "وستنغهاوس"

الحقن في الذراع

قبل أن يجاز استخدام اللقاح "ب" ضد التهاب الكبد عام ١٩٨١ أظهرت استقصاءات واسعة أنه فاعل جداً ضد الفيروس "ب" في البالغين الاصحاء. لكن شركة "ميرك، شارب ودومي" صانعة الدواء والمراكز الامريكية لمراقبة الامراض أخذت تتلقى عدداً من التقارير التي تنبىء باستجابات ضعيفة لهذا اللقاح. وفي كثير من الحالات كان اللقاح أعطي في الردف، خلافاً للطريقة الاكثر نجاحاً وهي الحقن في الذراع التي اعتمدت في دراسات سابقة.

وكانت هذه أولى المعلومات التي تشير الى أن الاستجابة لاي لقاح مهمد الفاعلية يحقن في العضل يمكن أن تختلف باختلاف موضع الحقن. والتفسير المرجح لهذه الظاهرة هو أن المادة التي تحقن في الردف لا تصل غالباً الى العضل بل تترسب في الدهن. وبانتظار دراسة أوفى، تنصح مراكز مراقبة الامراض بالحقن في الذراع كموقع أفضل لجميع لقاحات البالغين.

التقرير الاسبوعي للامراض والوفيات

أولاد الانتظار

ظل الفتى سنوات يتوق الى بيت يؤويه وعائلة تحنو عليه

في المطبخ الاصفر الذي زادته شمس الصيف اشراقاً وقفت فرنكي غودمان تقلي دجاجاً وتهيىء خبز الذرة والخضر التي قطفتها من الحديقة التي زرعها زوجها ماكس خلف منزلهما ذي الطبقة الواحدة والمسقوف بالقرميد. في مدينة كولومبوس بولاية مسيسيبي يتعشى الناس باكراً ليتوفّر لهم في المساء وقت للعب الكرة أو صيد السمك أو قطف الخوخ البري عن جوانب الطرق.

"العشاء جاهز" نادت فرنكي الامرأة الوسيمة ذات القد الفارع والبسمة العريضة. وتقاطر الاولاد من ردهة البيت حيث كانوا يبنون بيوتاً بأوراق اللعب. جيروم (١٦ عاماً) يزهو بشاربيه زهو الصبي الذي عرف أخيراً حاجته الى موسى الحلاقة، وكريتينا (١١ عاماً) ذات صوت ناعم ولها ابتسامة أمها، وكيندرا (٤ أعوام) أصغر أولاد العائلة تطفر من غرفة الى غرفة وتثب من حضيض الى حضن. انه بيت مليء بالاطفال.

كعادته كل مساء صلى ماكس غودمان شاكراً لله نعمته. ثم أكل الجميع بسرعة فيما عيون الاولاد تتجه الى قرص الحلوى الذي وُضع على طاولة المطبخ ليبرد. انه عشاء عائلي عادي في بيت آل غودمان لكن هذه الناحية ذاتها هي الامر غير العادي بالنسبة الى جيروم.

قبل أشهر فقط كان جيروم يعيش مع أسرة في مدينة نيويورك وقد تخلى عنه أهله صغيراً فعاش خمسة عشر عاماً من عمره في ثمانية بيوت متنقلا من عائلة الى أخرى. انها طريق مشاها كثير من الصغار التاعسين.

حاجات خاصة – لا يتذكر جيروم شيئا عن العائلة الاولى التي رعته. كان عمره شهراً واحداً عندما التحق بها. وقضى عمل الاب بانتقال العائلة الى الغرب الامريكي، فطلبت أن تأخذ الطفل معها. لكن جيروم لم يكن سُمح بتبنيه بعد، وتعين عليه أن يبقى في نيويورك. وأظهرت فحوص نفسانية بعض تخلف لديه مما جعل عائلة ثانية تحجم عن تبنيه. وفي منزل آخر ارتاب المسؤولون في اساءة معاملته، فعهد به الى امرأة وحيدة تعتني بأطفال عدة.

المرأة ذات الاعوام السبعين أمّنت للطفل محبة وتشجيعاً ما زال يتذكّرهما حتى اليوم. وانتهت اقامته عندها بعد ست سنوات عندما توفيت السيدة الفاضلة. ويقول جيروم بصوت يقطعه

التأثر: "كنت أحسب أن نانا هي أمي الحقيقية."

ماتت "نانا" وجيروم في الثانية عشرة، فبدأ يحنّ الى عائلة خاصة به: "كنت أرى الاطفال الآخرين يُتَبَنّون، فأقول لنفسي: هذا ما أنا في حاجة اليه أيضاً."

كل طفل يحتاج الى عائلة تكفل له الحب والاعالة والدعم. لكن جيروم كانت له مشاكل تجعل الامر نوعاً خاصاً من التحدّي. فمعظم الذين يفكرون في التبني في الولايات المتحدة يضعون في تصوُّرهم طفلا ابيض ذا صحّة جيّدة. وكان جيروم أسود وبطيء التعلم وفي سن الشباب تقريباً. وتعتبر مؤسسة التبني أمثاله "أولاداً ذوي حاجات خاصة." وايجاد متبنّين لهم يتطلب جهداً اضافياً.

وكانت مؤسسة "سبنس - شابين لخدمة العائلات والاطفال" في نيويورك والمسؤولة عن العناية بجيروم ذكرت الصبيّ لاناس راغبين في التبني. وقليلون منهم أرادوا مراهقاً. ونشرت احدى الصحف صورة جيروم ونبذة من حياته في باب أسبوعي تحت عنوان "طفل ينتظر". لكنَّ أحداً لم يتقدم لتبنيه. بعد ذلك سجل على لوائح وسائل الاعلام الاقليمية التي تصل الى أوساط يحتمل فيها وجود متبنين من رجال عازبين ونساء عازبات وأزواج أيضاً.

في هذا الوقت أبقي جيروم على علم بأن جهود المؤسسة قد تخفق في العثور على عائلة تتبناه. وكثيرون من الفتيان الذين ربوا في دور الرعاية ينتقلون الى العيش المستقل لدى بلوغهم السن الثامنة عشرة. ويفضل بعض المراهقين مثل هذا الاجراء على المخاطرة بالتزام عائلة أو مواجهة الرفض مرة أخرى. فالقول: "أنا لا أريد عائلة" أسهل من مواجهة الحقيقة: "لا عائلة تريدني."

لكن جيروم لم يكن من هؤلاء الاولاد: "أريد عائلة تقوم على مساعدتي وتصحيح أخطائي" هكذا صارح جين أدامس أحد الموظفين في مؤسسة "سبنس - شابين" آنذاك. وأضاف: "أريد أماً وأباً يهتمان بأمري."

ويتذكّر جيروم: "لم يكن جين أدامس ليستسلم، ولم يتركني انا أستسلم. وكلما أخفق مشروع تبنٍّ قال: علينا أن نحاول مرّة أخرى."

في يونيو (حزيران) ١٩٨٤ رعت دائرة الصحة والخدمات الانسانية في نيويورك مؤتمراً وطنياً حول التبني ووسائل الاعلام. وتحدث المشاركون عن دور الصحف والتلفزيون في ابراز الاطفال ذوي الحاجات الخاصة الذين هم برسم التبني. وأثناء المؤتمر صوِّر جيروم بسرواله الجينز وقميصه القصير الكمين الى جانب ملصق يحمل صورة مكبرة تظهر وسامة الصبي. وبعد مدة قصيرة نشر تقرير عن المؤتمر في مجلة (★) لرابطة رعاية الطفل في أمريكا. وأرفقت بالمقال صورة جيروم وملصقه وقد كتب في أسفلها: "ما زال ينتظر فرصة الانضمام الى عائلة دائمة."

آل غودمان - في ٣ أكتوبر (تشرين الاول) كانت فرنكي غودمان في جامعة

(★) Permanency Report (Fall 1984)

مسيسيبي للاناث تدرس لنيل اجازة في العمل الاجتماعي. وخلال محاضرة عن التبني والرعاية مرر المحاضر النشرة التي تحمل صورة جيروم، فحملتها فرنكي الى البيت ليراها ماكس. وتقول: "لم نستطع ابعاد الصورة عن مخيلتنا." وصلّى الزوجان طلباً للهداية، وكان قرارهما تبني الصبّي.

وبعد يومين اتصلت فرنكي برابطة رعاية الطفل في نيويورك، التي اتصلت بدورها بمؤسسة "سبنس – شابين". وفي مساء اليوم نفسه كلم جين أدامس آل غودمان.

وفي ١٠ أكتوبر (تشرين الاول) اتصلت جوان ستينوير ثانية، وهي منسقة التبني في "سبنس – شابين". وتقول: "أطلعت السيدة غودمان على ضعفات جيروم وقدراته. وهي ظلّت على حماستها فشرحتُ لها اجراءات التبني."

في حجرة الجلوس درس عامل اجتماعي وضع زواج ماكس وفرنكي غودمان وباعثهما على التبني. وسألهما هل يستمتعان بلذة "انقاذ طفل" أم يريدان "انقاذ زواجهما"؟ وهل هما مطّلعان جيداً على حقيقة تربية فتى لم يعرفاه منذ ولادته؟ وشمل الاستقصاء البيتي صحة الزوجين ووضعهما المالي وسمعتهما الاجتماعية.

من هما الزوجان غودمان؟

فرنكي في الثالثة والثلاثين ومن مواليد رولنغ فورك في ولاية مسيسيبي. وهي واحدة من ثلاثة أولاد، رباها جدّاها فيما كان أبواها يعملان في أنحاء أخرى في الولاية. وماكس في الحادية والاربعين، نشأ واحداً من تسعة أبناء في مدينة بوماريا بولاية كارولينا الجنوبية.

التقى ماكس فرنكي عام ١٩٧٢ عندما كانا يخدمان في سلاح الجو. وتزوجا في السنة تلك ورزقا ابنتين.

وأصبح ماكس واعظاً. وراح يشدّد على أهمية العائلة والمسؤولية فيقول: "لو كنت مليونيراً لكان لي بيت من عشرين غرفة وفي كل غرفة صغيران." لكنه لم يكن مليونيراً. وبعد تقاعده من سلاح الجو بات موظفاً مدنياً في قاعدة كولومبوس الجوية. وهو في بعض الاوقات كافح لتسديد ايجار البيت الذي يسكنه منذ سنتين.

هذه هي العائلة التي وصفتها فرنكي لجين ادامس. وما لم تقله هو ان احساساً خالجها لزمن طويل بأن طفلا آخر، ذكراً، "سيدخل دارنا." وهي في البداية اعتقدت أنه سيولد لهما.

من وقت الى آخر كان الزوجان يتابعان برنامجاً تلفزيونياً يبرز الصغار ذوي الحاجات الخاصة الذين يعرضون للتبني. وفي أحد الايام فيما هما يشاهدان البرنامج سأل ماكس فرنكي: "ما قولك في ولد أكبر سناً؟"

"لا! " أجابت فرنكي. وهي كانت لا تزال تفكر في طفل.

فعلّق ماكس: "كل انسان يحتاج الى العطف." وتوقفا عند هذا الحد الى أن رأيا صورة جيروم.

"أمي وأبي" – مع تقدم التحري عن العائلة بدأ تحضير جيروم. فتبني ولد كبير هو كالزواج، وعلى الطرفين أن

يوافقا ويتجانسا ويعملا على انجاحه.

هل كان جيروم موافقاً على الانتقال الى ولاية مسيسيبي، وهي عالم يختلف كثيراً عن ذلك الذي عرفه في نيويورك؟ كان الولد في حاجة الى أجوبة عن عدد من الاسئلة منها: ما هي الحرارة في الصيف؟ وهل للعائلة حيوانات مدللة؟ وأكثر ما شغل تفكيره سؤال: هل ستكون له غرفته الخاصة؟

يقول جيروم: "اعتدت أن أعيش مع ولدين أو ثلاثة أو أربعة في غرفة واحدة. كانوا يسرقون ثيابي. واضطررت الى اخفاء جواربي ليلا واخراجها صباحاً. ولم أرد أن يستمر ذلك."

وأخبر جيروم أن غرفته الخاصة تنتظره، وأن منطقة المسيسيبي حارّة صيفاً، وأن آل غودمان يقتنون كلباً. وأرسلت اليه صورة للعائلة وحديث مسجل.

في ١٤ ديسمبر (كانون الاول) طار جيروم مع جوان ستينوير الى مدينة جاكسون (ولاية مسيسيبي) ومن ثم قطعا ٣٢٠ كيلومتراً في السيارة الى كولومبوس التي وصلا اليها ليلا فنزلا في فندق تعبين. واتصلا بمنزل غودمان، وبعد أقل من ربع ساعة كانت العائلة كلها في صالة الفندق.



آل غودمان يبنون بيوتاً من ورق ، ويبدو جيروم في أقصى اليسار.

وذهب جيروم مع آل غودمان الى بيتهم. وأعلنت كيرينا ملكيتها لهذا الاخ الكبير فقادته الى غرفة جانبية نظيفة وقالت له: "هذا هو سريرك."

لقد وصل جيروم أخيراً الى بيته.

اليوم التالي كان موعد تزيين شجرة الميلاد. وتقول فرنكي: "كنا أخبرنا جيروم أننا لن نزين الشجرة قبل وصوله. وهكذا انتظرناه."

ويتحدث جيروم عن ذلك اليوم: "للمرّة الاولى عرفت أنه سيكون لي أم وأب واخوة حول شجرة الميلاد. كنت أعلم أني أستطيع العودة الى نيويورك اذا أردت، لكنني قلت في نفسي: ابقَ يا ولد." واتصل بالعاملة الاجتماعية المسؤولة عنه ليطلعها على قراره وكلمها مسمياً فرنكي وماكس "أمي وأبي."

قبل عودة جوان ستينوير الى نيويورك

Photo: Michael P. Smith / Black Star

طلبت من ماكس وفرنكي غودمان توقيع عقد يؤكد عزمهما على المضيّ في التبني. فسأل جيروم: "هل يمكنني أنا ايضاً أن أوقّع؟" وكتب اسمه بكل اعتزاز في ذيل الوثيقة: "جيروم غودمان."

دروس ولاء – لم تنته قصة جيروم بعد. فليس من السهل على مراهق وعلى عائلة جديدة أن يتكيّف واحدهما مع الآخر. ففي بعض نواح كان جيروم رأى أكثر مما يراه صبي في مثل سنيه الست عشرة. وفي نواح أخرى رأى أقل بكثير. وفي عيد ميلاده يوم ٢٣ فبراير (شباط) أطفأ الشموع على أول كعكة عيد أهديت اليه.

وتقول "أمه": "ما يدهشني أن أحداً لم يفسر له مفاهيم مثل اليوم وساعاته الاربع والعشرين وما يكون الندى. انه يحتاج الى مساعدة في القراءة والرياضيات ونحن نعمل على ذلك يومياً. جيروم سيتعلّم وسينجح في الحياة. أنا واثقة من ذلك."

وضايقه رفقاؤه الجدد في المدرسة لانه وضع في صف خاص بالاولاد الذين يواجهون صعوبة في التعلم. فتورط في مشاكل وعارك وسبّ. ولم تكن فرنكي معتادة أن تدعى الى المدرسة، لكنها ترددت اليها كثيراً، مرتين وثلاثاً وأربعاً أسبوعياً في البداية.

وأزعج جيروم عائلته بغاراته الليلية على الثلاجة لاختلاس الطعام. وليس ذلك بمستغرب من الاولاد الذين يُتبنّون في سن متقدمة. وغالباً ما نكث بوعوده، فباتت العائلة تجد صعوبة في تصديقه.

ويتلقى آل غودمان اعانة للتبنّي لا تغطي تكاليف شخص يضاف الى العائلة. لكنهم يحسّون أن هناك لحظات من البهجة لا يمكن أن تشترى. وهذه اللحظات بالنسبة الى ماكس هي حين يأتيه "ابنه" طلباً للرفقة أو للمشورة.

أما فرنكي فهي واضحة حول اللحظات الخاصة بها: "كان جيروم أمضى شهرين بيننا وكنت أقرأ له القصص. وذات ليلة حان موعد نومه فقال لي: شكراً يا ماما، هل أستطيع معانقتك؟ وأجبت: طبعاً تستطيع ذلك، بل اني اريده أكثر من أي شيء آخر. وها هو يعانقني كل ليلة مذذاك."

ويقول ماكس ان العائلة قد تتبنى يوماً ولداً آخر، "ولن يكون صغيراً، فالاولاد الكبار لا يأخذون الامور على علّاتها. انهم أكثر تقديراً للبيت. وكل من على هذه الارض يحتاج الى بيت وعائلة ينتمي اليهما."

لقد حقق جيروم انتماءه أخيراً بفضل أناس عمرت قلوبهم بالايمان والحب فلم يتوقفوا عن المحاولة ولم يتخلوا عن الامل.

لكن ألوفاً من الاولاد أشباهه لا يزالون ينتظرون عائلات تواجه حاجاتهم الخاصة بعناية. فهل يجدون من يفتح لهم قلبه وبابه؟

كلير برمان ■



ما المنفعة من شجرة عائلة لا عصارة فيها؟ ل.ا.ت



عادات تطيل العمر وعادات تقصّره...

حين تدقق في أجوبتك عن الاسئلة الآتية يمكنك أن تكشف النواحي التي تستطيع فيها - بتحسين عاداتك - أن تضيف سنوات الى عمرك الباقي. وعندما تقبل على هذا الاختبار (★) اقسم ورقة أمامك عمودين، وضع في رأس أحدهما العلامة "+" وفي رأس الآخر العلامة "-". ارسم دائرة حول جواب واحد عن كل سؤال ثم دوّن الرقم في العمود المناسب.

١ . هل أنت عازب ودون الاربعين من العمر؟ (صفر) متأهل؟ (صفر) عازب أو مطلق وفوق الاربعين؟ (- ٦) مطلق ودون الاربعين؟ (- ٦) أرمل او أرملة؟ (- ٦) عازب أو أرمل او مطلّق وعلى علاقة مستمرة؟ (صفر) عازب أو أرمل أو مطلّق وتعيش وحيداً وتقتني حيواناً اليفاً؟ (صفر)

٢ . هل حياتك البيتية سعيدة جداً وهادئة؟ (+ ٦) متوسطة؟ (صفر) متوترة

(★) نُظم هذا الاختبار ليعطي تقديراً تقريبياً للعمر الطبي المقابل للعمر الزمني. وهو مصمم للتشديد على التدابير الوقائية. انه لا يناسب الذين هم دون الخامسة والعشرين او فوق الخامسة والستين ولا اولئك الذين يعانون أمراضاً مزمنة مثل الاعتلالات التاجية في القلب أو السرطان النشط أو انتفاخ الرئتين أو تشمع الكبد.

كثيراً والخصام العائلي أمر عادي؟ (- ٩)

٣. هل لديك أصدقاء حميمون أو أفراد عائلة يمكنك أن تبحث معهم في مشاكلك؟ نعم (+ ٣)، لا (- ٦)

٤. هل لك ولد أو أكثر دون السادسة عشرة؟ (- ٣) هل لك أولاد دون السادسة عشرة وأنت وزوجتك تعملان بدوام كامل؟ (- ٩)

٥. هل أنت راض في حياتك الجنسية؟ نعم (+ ٩)، لا (صفر)

٦. هل أنت ذو طبيعة طيبة وتأخذ الأمور بمرح؟ (+ ٣) هل أنت عصبي المزاج ومتوتر غالباً؟ (- ٦) هل أنت مرن؟ (+ ٣) هل تصر دائماً على أن تجري الامور كما تشاء؟ (-٣) حالك لا تنطبق على أي من التعريفات السابقة (صفر)

٧. هل أنت ذو شخصية من الفئة "أ"؟ (- ٦) من الفئة "ب"؟ (+ ٦) بين الفئتين؟ (صفر)

الفئة "أ"	الفئة "ب"
عنيف	لطيف
مستعجل دائماً	نادر الاستعجال
تعبّر عن مشاعرك	تكتم مشاعرك
تعمل أموراً عدة في وقت واحد	تعالج الامور واحداً بعد آخر

٨. هل تقطن في مدينة؟ (- ٦) في ضاحية؟ (صفر) في بلدة صغيرة أو في الريف؟ (+ ٣)

٩. هل تقوم بتمارين نشطة لمدة ٢٠ أو ٣٠ دقيقة ثلاث مرات في الاسبوع على الاقل؟ (+ ١٢) مرة في الاسبوع أو دون ذلك؟ (صفر) نادراً أو أبداً؟ (- ١٢)

١٠. هل وزنك ضمن الحدود المثالية بالنسبة الى الجنس والطول والبنية؟ (+٣) أضف لكل كيلوغرامين زيادة(- ٢)

الحدود المثالية للوزن

الطول (بالسنتيمتر وبلا حذاء) — الوزن *(بالكيلوغرام وبلا ثياب)

للرجال	ناحل	متوسط	ضخم
١٥٥	٥٦ - ٥٩	٥٧ - ٦٢	٦٠ - ٦٦
١٥٧	٥٧ - ٦٠	٥٨ - ٦٣	٦١ - ٦٧
١٦٠	٥٨ - ٦٠	٥٩ - ٦٤	٦٢ - ٦٩
١٦٣	٥٩ - ٦١	٦٠ - ٦٥	٦٣ - ٧٠
١٦٥	٦٠ - ٦٢	٦١ - ٦٦	٦٤ - ٧٢
١٦٧	٦١ - ٦٤	٦٢ - ٦٨	٦٦ - ٧٤
١٧٠	٦٢ - ٦٥	٦٤ - ٦٩	٦٧ - ٧٦
١٧٢	٦٣ - ٦٦	٦٥ - ٧٠	٦٨ - ٧٨
١٧٥	٦٤ - ٦٨	٦٦ - ٧٢	٧٠ - ٨٠
١٧٧	٦٥ - ٦٩	٦٨ - ٧٣	٧١ - ٨١
١٨٠	٦٦ - ٧١	٦٩ - ٧٥	٧٢ - ٨٣
١٨٣	٦٧ - ٧٢	٧٠ - ٧٧	٧٤ - ٨٥
١٨٥	٦٨ - ٧٤	٧٢ - ٧٩	٧٦ - ٨٧
١٨٧	٧٠ - ٧٦	٧٤ - ٨٠	٧٨ - ٩٠
١٩٠	٧٢ - ٧٨	٧٥ - ٨٣	٨٠ - ٩٢

للنساء	ناحلة	متوسطة	ضخمة
١٤٥	٤٤ - ٤٩	٤٨ - ٥٤	٥٢ - ٥٨
١٤٧	٤٥ - ٥٠	٤٩ - ٥٥	٥٣ - ٦٠
١٥٠	٤٦ - ٥١	٥٠ - ٥٦	٥٤ - ٦١
١٥٣	٤٧ - ٥٢	٥١ - ٥٧	٥٦ - ٦٢
١٥٥	٤٨ - ٥٤	٥٣ - ٥٩	٥٧ - ٦٤
١٥٧	٤٩ - ٥٦	٥٤ - ٦٠	٥٨ - ٦٦
١٦٠	٥٠ - ٥٧	٥٦ - ٦٢	٦٠ - ٦٧
١٦٣	٥٢ - ٥٨	٥٧ - ٦٣	٦١ - ٦٩
١٦٥	٥٣ - ٥٩	٥٨ - ٦٤	٦٢ - ٧١
١٦٧	٥٥ - ٦١	٥٩ - ٦٦	٦٤ - ٧٣
١٧٠	٥٦ - ٦٢	٦١ - ٦٧	٦٥ - ٧٥
١٧٣	٥٧ - ٦٣	٦٢ - ٦٨	٦٧ - ٧٦
١٧٥	٥٩ - ٦٥	٦٣ - ٧٠	٦٨ - ٧٧
١٧٧	٦٠ - ٦٦	٦٥ - ٧١	٦٩ - ٧٩
١٨٠	٦٢ - ٦٧	٦٦ - ٧٢	٧٠ - ٨٠

* Ideal Weight Range Courtesy Metropolitan Life Insurance Co.

١١. هل تتناول – أو تشرب – الاشياء الآتية كل يوم (ارسم دائرة حول علامة المواد المنطبقة): الحليب المقشود أو القليل الدسم فقط؟ (+ ٣) الاطعمة الغنية بالالياف؟ (+ ٣) اللحم ثلاث مرات يومياً؟ (– ٦) أكثر من ٤ فناجين قهوة أو شاي او كولا؟ (– ٦) هل تضيف الملح الى الطعام دائماً؟ (– ٦)

١٢. هل تدخن؟ أبداً (+ ٦) أحياناً (صفر) باعتدال، أي نحو ٣١ سيجارة يومياً (– ١٢) بافراط (– ٢٤) تتعاطى المخدرات (– ٢٤)

١٣. هل تشرب الكحول؟ أبداً أو نادراً (+ ٦) باعتدال (– ٦) بافراط (– ٢٤)

١٤. هل ضغط دمك فوق الحد العادي (فوق ١٤/٩)؟ (– ١٢)

١٥. هل الكولسترول في الدم فوق المستوى العادي (أكثر من ٢٢٠ دون السن الاربعين وأكثر من ٢٥٠ فوق السن الاربعين)؟ (– ٦)

١٦. هل رضاك عن عملك فوق الوسط؟ (+ ٣) وسط؟ (صفر) دون الوسط (– ٦)

١٧. هل تعمل في مدينة؟ (– ٦) في ضاحية؟ (صفر) في بلدة صغيرة أو في الريف؟ (+ ٣)

١٨. هل تشارك بانتظام في نشاطات أو هوايات خارج العمل؟ نعم (+ ٣)، لا (– ٣)

١٩. هل تقود السيارة مسافة تقل عن ٣٢ ألف كيلومتر سنوياً وأنت تشد أحزمة السلامة؟ (+ ٣) نادراً ما تستعمل أحزمة السلامة؟ (صفر) تقود مسافة تزيد على ٣٢ الف كيلومتر مع شد أحزمة السلامة؟ (– ١٢) مع شد أحزمة السلامة نادراً؟ (– ١٥)

٢٠. هل تتمتع باجازة من العمل مرة واحدة في السنة على الاقل؟ نعم (+ ٦)، لا (– ٦)

٢١. هل تتعاطى الادوية حين توصى بتناولها فقط وتتقيد بالتعليمات؟ (صفر) هل تتعاطاها من غير ضرورة مع التقيد بالتعليمات؟ (– ١٢) كثيراً ومن دون التقيد بالتعليمات (– ٢٤) هل تستخدم عقاقير غير طبية؟ (– ٣٦)

٢٢. هل أنت مصاب بلغط (١) في القلب؟ لغط غير خبيث، أي وظيفي؟ (صفر) خبيث، اي عضوي او ناتج من مرض؟ (– ٢٤) هل أصبت سابقاً بالحمى الرثيية، أي الروماتيزم؟ (– ٤٨)

٢٣. هل تعاني الربو؟ تصاب بنوبات ربو أحياناً؟ (– ٣) تعاودك النوبات بانتظام؟ (– ٦) هل هي حالة مزمنة؟ (– ١٢).

٢٤. هل أنت معرض للتلوث في الهواء؟ أبداً (صفر) بانتظام (– ٣) بانتظام وبمقادير كبيرة (– ٩)

٢٥. هل أنت مصاب بداء السكري؟ نعم، وغير خاضع للانسولين (– ١٨) نعم وخاضع للانسولين (– ٢٤)

٢٦. هل تجري فحوصاً طبية منتظمة؟ كاملة (+ ١٢)، جزئية (+ ٦)

٢٧. هل تجري فحصاً لاسنانك مرتين في السنة؟ نعم (+ ٣)، لا (صفر)

٢٨. هل والدك حي وعمره يزيد على ٧١ سنة أو توفي بعد بلوغه الحادية

---

(١) Murmur

والسبعين؟ (+ ١ لكل سنة عاشها بعد الحادية والسبعين) حي ودون الحادية والسبعين (صفر) توفي لاسباب مرضية وليس بحادث قبل بلوغه الحادية والسبعين؟ (- ١ لكل سنة قبل الحادية والسبعين)

٢٩. هل والدتك على قيد الحياة ويزيد عمرها على ٧٣ سنة أو متوفاة بعد الثالثة والسبعين؟ (+ ١ لكل سنة عاشتها بعد الثالثة والسبعين) على قيد الحياة ودون الثالثة والسبعين (صفر) توفيت لاسباب مرضية وليس بحادث قبل الثالثة والسبعين (- ١ لكل سنة قبل الثالثة والسبعين)

للنساء فقط

أ. هل في تاريخ عائلتك أي اصابة بسرطان الثدي؟ أمك؟ اخواتك؟ (- ٦)

ب. هل تتفحصين ثدييك شهرياً؟ (+ ٦)

ج. هل تجرين فحصاً سنوياً للثديين لدى طبيب؟ (+ ٦)

د. هل تجرين فحص المسحة المهبلية (٢) بحسب توصية طبيب (+ ٦)

(٢) Pap Smear

المجموع

١. اجمع الارقام في العمود "+" وفي العمود "-".

٢. اطرح الرقم الاصغر من الرقم الاكبر واقسم الباقي على ١٢.

٣. ضع علامة الرقم الاكبر في الفقرة "١" اعلاه (+ أو -) للرقم في الفقرة "٢". وهذا يكون رقمك في حاصل الاختبار.

والآن انظر الى بيان العمر المتوقع أدناه. اطرح رقمك من رقم العمر المتوقع - أو اجمعهما - وفقاً للنتيجة التي حصلت عليها اذا كانت سلبية أم ايجابية. هذا يعطيك تقديراً جيداً لطول عمرك ضمن النمط الحالي لحياتك.

بيان العمر المتوقع

اذا كان عمرك (سنوات): العمر	فستعيش (سنوات): للرجال	للنساء
٢٥ - ٢٩	٧٣ عاماً	٨٠ عاماً
٣٠ - ٣٤	٧٣	٨٠
٣٥ - ٣٩	٧٤	٨٠
٤٠ - ٤٤	٧٤	٨٠
٤٥ - ٤٩	٧٥	٨٠
٥٠ - ٥٤	٧٥	٨١
٥٥ - ٥٩	٧٦	٨٢
٦٠ - ٦٤	٧٨	٨٣

Source: National Center for Health Statistics, 1983 figures

فروض اليوم

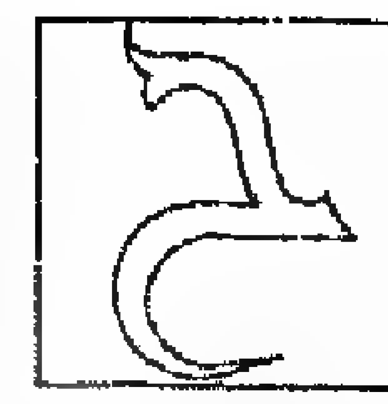
بالأمس كان عذر التخلف عن أداء الفروض المدرسية: "التهم الكلب دفتري." أما اليوم فهو: "امّحت اسطوانة الدماغ الالكتروني."

قصة قصيرة

إكسير الحبّ

اذا أردت أن توقع فتاة في حبك،
أضف الى قهوتها عصير ثمرة الجوبة





حدثني أوم شاك لورنز قال: الكل يعرف نبتة الجوبة، فهي تنمــو في أعــالي الاجراف. ويقال ان ثمرها التوتي الصغير يجب أن يقطف في منتصف الليل وتحت بدر كامل. وان كنت شاباً هائماً بفتاة وتريد ايقاعها في حبك، فما عليك سوى عصر ثمرة جوبة فوق قهوتها.

ويقال انه بعد أن تتجرع الفتاة تلك العصارة فانها تنسى كل شيء. فلا تعود تذكر أن جبهتك ضيقة وأن أذنيك ناتئتان وأن فمك كبير. وتنسى أنها اكدت لك مرة أنها لن تتزوجك وان كنت الرجل الوحيد في مقاطعة ترانسفال(★) فكل ما تدركه الآن هو أن الرجل الذي تراه خلف فنجانها الفارغ أمسى بارع الجمال.

ذات ليلة خرجت الى الصيد في مرج مشجر وقد ربطت مصباحاً الى قبعتي. ولا شك في أنك تعرف نوع الصيد هذا. ففي وهج المصباح لا ترى سوى عيني الشيء الذي تصوب اليه. وان ضُبطت احتُجزت ثلاثة أشهر. وقد حُظر الصيد في ضوء المصابيح مذ أصيب شرطي في رجله أثناء ملاحقته بعض مهربي الماشية.

(★) الترانسفال مقاطعة في شمال شرق دولة جنوب افريقيا.

لذا مشيت تلك الليلة على الجرف بتأن شديد. وفينة بعد فينة أضأت مصباحي وتسمرت بين الأشجار منتظراً للتأكد من أن أحداً لا يلاحقني. وفي الأحوال العادية ليس الأمر في هذه الخطورة، ولكن قبل يومين شوهد شرطيان يندسان في الأجمة. وبدا من نظراتهما انهما شابان يطمحان الى الترقية ولا يعلمان أنه حري بهما شرب عصير فاكهة ينتجه مزارع شريف عوض اعتقاله بتهمة الصيد في ضوء المصباح.

وبينما أنا أمشي وقع نور مصباحي فجأة على عينين تبعدان عني نحو مئة خطوة. وحين رأيت حولهما خوذة شرطي تذكرت أن ليلة مقمرة كتلك لا تصلح لاصطياد الوعول.

فعدت أدراجي الى البيت.

صياد جوبة

سلكت الطريق الأقصر المحاذية للجانب الشديد الانحدار من الجرف. وأثناء نزولي تعلقت بأغصان وجذور وطنوف حجرية وحشائش متنوعة. وحين وصلت الى سفح الجرف وجلست لالتقط أنفاسي فاجأني ذلك الشرطي منحنياً فوق رأسي.

وبادرني: "أوم شاك، كنت أتساءل هل تعيرني مصباحك."

ورفعت نظري لأرى جدعون فان دير ميروي، وهو شرطي التقيته غير مرة واستلطفته كثيراً.

وأجبته: "يمكنك استعارة مصباحي، ولكن عليك توخي الحذر. فاعتقال شرطي يخالف القانون أسوأ من اعتقال مدني."

وهزّ جدعون رأسه: "لا، لست مهتماً للصيد بالمصباح. أريد أن..." وسكت متردداً ثم ضحك بعصبية وتابع: "ما سأقوله سخيف، لكنك قد تتفهم الوضع. أنا أبحث عن نبتة جوبة أحتاج اليها في دروسي، وتحديداً في امتحاني المقبل لرتبة رقيب. والليل يكاد ينتصف وأنا لم أجد أثراً لهذه النبتة في أي مكان."

وأسفت على جدعون. وصدمني أنه لن يصبح شرطياً ناجحاً. فاذا عجز عن العثور على نبتة الجوبة النامية بالالوف على الجرف، فكيف سيتمكن من اقتفاء آثار مهربي الماشية؟

وسلمته مصباحي وأرشدته الى المكان. فشكرني وانطلق مسرعاً. ثم عاد بعد نصف ساعة.

وأخرج توتة حمراء من جيب سترته وأراني اياها. وتحاشياً لسماع المزيد من الاكاذيب حول حاجته الى تلك الثمرة لدروسه، تكلمت أولا.

سألته: "ليتي كورديه؟"

وهزّ جدعون رأسه ايجاباً. إلا أن الخجل أخذه فلم يفصح عن مشاعره في البداية. وكنت خمّنت قبل زمن بعيد أن جدعون فان دير ميروي لا يعرّج على منزل كريسيان كورديه لمجرد الاستماع الى قصة حياته.

ومع ذلك ذكرت قصة حياة كريسيان كورديه.

وردّ جدعون: "نعم، لقد وصل والد ليتي في حكايته الى سنه السابعة. واستغرق ذلك شهراً حتى الآن."

وقلت: "لا شك في أنه سعيد بأنك تسمع قصصه. فلم يسبقك الى ذلك سوى

بائع سندات تأمين. لكنه لم يحتمل أكثر من أسبوعين وصل كريسيان في غضونهما الى أحداث سنه الخامسة."

جواب بسيط

تابع جدعون: "لكن ليتي رائعة يا أوم شاك. أنا لم أكلمها أكثر من بضع كلمات. وطبعاً من السخف التوقع أنها ستهتم لشرطي. إلا أن جلوسها في الدارة هناك فيما والدها يروي ما كان يفعله قبل بلوغه السادسة، واحضارها بين الحين والآخر مزيداً من القهوة، هذا هو الحب يا أوم شاك."

ووافقته على ان الامر لا بد هو كذلك.

وأوضح جدعون: "لقد حسبت انه اذا استمر والد ليتي على هذا المنوال فسينهي قصة حياته بعد سنتين. وعندئذ لن يبقى لي عذر لزيارة العائلة، وذلك يقلقني."

فوافقته على ان الامر لا شك مقلق.

وأضاف جدعون: "حاولت مراراً اخبار ليتي كم أفكر فيها. ولكن كلما باشرت ذلك تملكني شعور بالحماقة. فتستحيل بزتي أسمالا ويتجعّد مقدم حذائي ويتهدّج صوتي، فلا أقول لها سوى انني سأعود قريباً لأسمع ما تبقى من قصة حياة والدها."

وسألته: "وما هي توقعاتك من عصير الجوبة؟"

فردّ جدعون بكآبة: "قد يدفعها عصير الجوبة الى المبادرة بالافصاح عن مشاعرها."

وبعد قليل افترقنا. وحملت مصباحي وسلاحي مراقباً ظل جدعون يختفي بين الأشجار. وتأملت كم هو طيب ذلك الرجل وكم هو بسيط. ووجدت حسناً أنه شرطي. فلو كان مهرب ماشية لاعتقل كلما حاول اجتياز الحدود.

وصبيحة اليوم التالي يمّمت شطر مزرعة كريسيان كورديه لاذكره بصفيحة المحلول المبيد للجراثيم التي لي بذمته من الموسم الماضي.

ومكثت هناك ساعة لم أتمكن في غضونها من تمرير كلمة واحدة عن المحلول، لكنّ كريسيان نجح في اخباري الكثير عما فعله في سنه التاسعة. وحين أتت ليتي بالقهوة أوْرَدْتُ لوالدها ملاحظة عرضية عن جدعون فان دير ميروي.

وردّ كريسيان كورديه: "أجل، انه شاب رائع، ومتوقد الذكاء أيضاً. ويسعدني أن أقصّ عليه تفاصيل حياتي. وهو يعترف بأن الاحداث التي أرويها له ليست مثيرة فحسب، بل مفيدة أيضاً."

ولم أهتم كثيراً لتعليقات كريسيان، انما راقبت ليتي عند ذكري اسم جدعون. وهي لم تظهر الكثير، لكنني سريع في ملاحظة تلك الأمور، ورأيت ما فيه الكفاية: اللون الذي تسلل الى وجنتيها، والضوء الذي التمع في عينيها.

شاب محظوظ

في طريق العودة التقيت ليتي واقفة تحت شجرة زعرور. وبدت فاتنة بساعديها الأسمرين ووجهها الهادىء العذب وصدرها الملآن. ولم يكن من الصعب فهم مشاعر جدعون نحوها.

وسألتها: "ليتي، هل تحبينه؟"

فأجابت: "أحبه يا أوم شاك."

وكان الأمر بتلك البساطة!
عرفت ليتي أنني قصدت جدعون فان دير ميروي على رغم انني لم أذكر اسمه. وهكذا سهل عليَّ اخبارها بما حدث الليلة الماضية عند الجرف. وأطلعتها على الاحداث التي قد تهمها، مثل ارشادي جدعون الى حيث يجد نبتة الجوبة. غيري كان ليزعجها بوصف طويل وغير ضروري لتفاصيل نزولي الجرف وتعلقي بالاغصان وجذور الأشجار. لكنني مختلف، فقد أخبرتها أن جدعون هو الذي نزل الجرف.

وفي أي حال، انها قصة حب جدعون وليتي، ولم أشأ ابراز دوري فيها.

ونبهتها: "تعرفين ما عليك عمله الآن يا ليتي. اتركي قهوتك على الطاولة في متناول جدعون وامنحيه الوقت الكافي لاضافة عصير الجوبة اليها."

وعقَّبت ليتي: "قد يستحسن أن أراقبه عبر ثقب الباب."

وربَّتْ رأسها موافقاً. وأضفت: "ثم عودي الى الدار وارتشفي قهوتك."

وأجابت ببساطة: "نعم يا أوم شاك."

وختمتُ توجيهاتي: "وبعد أن تشربي القهوة تعلمين ما عليك فعله. انما حاذري الانسياق كثيراً."

وسررت لرؤية الدم الدافىء يتدفق الى وجنتيها. وفي طريق العودة قلت في نفسي ان جدعون شاب محظوظ.

هذا جلّ ما يمكن قوله.

والتقيت جدعون بعد أيام وكان مبتهجاً كما توقعت. وسألته: "هل فعلت نبتة الجوبة فعلها؟"

وأجاب: "كانت رائعة يا أوم شاك. وأعظم ما في الامر أن والد ليتي كان غائباً حين أضفت العصير الى قهوتها. فقد أتته ليتي قبيل ذلك برسالة تسأله التوجه الى حقل الذرة."

واستفسرت: "وهل حقاً يفعل عصير الجوبة كل ما يروى عنه؟"

فقال: "لن تصدق سرعة مفعوله..."

ثم غمزني جدعون بعينه ففهمت انه ليس بتلك البساطة.

وأضاف: "كنت أعلم أن عصير الجوبة سيفلح، خصوصاً بعدما أخبرني والد ليتي أنك زرتهما ذاك الصباح."

هرمان تشارلز بوسمان ■

قلب رقيق

كان رجل لين الطباع يحب الصغار والحيوانات ولم يسعه قط أن يقسو في تربيتهم أو تربيتها. وحين نفق كلب العائلة، وهو الاخير في سلالة من الكلاب السيئة السلوك، اشترت العائلة جرواً صغيراً وأصرت الام على ارساله الى مؤسسة تعنى بتربية الكلاب وتدريبها.

وفي اليوم الثالث عاد الرجل والجرو من المؤسسة باكراً. وقدم الرجل الى زوجته، بوداعة وحياء، رسالة حملها اليها من المدرب وجاء فيها: "أرجو ارسال الجرو الينا مع شخص غير هذا."

ل.م.

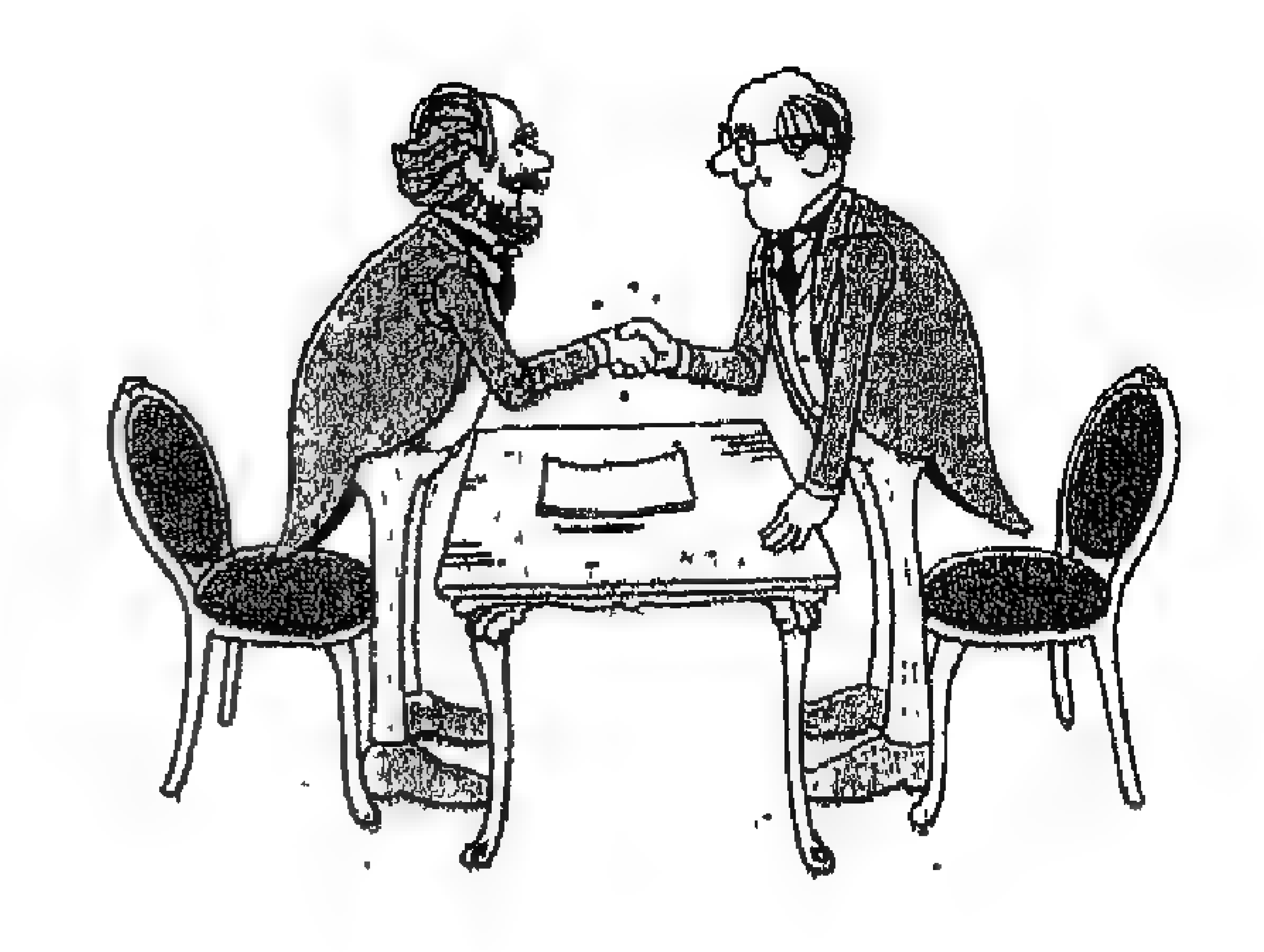


دَائرة المعَارف

تتضمن الدائرة في هذا العدد كلمات مختارة من كتاب "الالفاظ الكتابية" للشيخ عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (توفي عام ٣٢٧ هجرية). وقد ورد في معجم الادباء: "كان الشيخ إماماً في اللغة والنحو ذا مذهب حسن. وكان كاتباً سديداً شاعراً فاضلا." وقال الصاحب بن عبّاد: "لو أدركتُ عبد الرحمن بن عيسى مصمم كتاب الالفاظ لأمرت بقطع يده." وسئل عن السبب فقال: "جَمَع شذور العربية الجزلة في أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير والمطالعة الكثيرة الدائمة."

وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. زَوِر: سمن - نظر شزراً - اعوجّ - نزف.
٢. فنَّد: خطّأ ولام - فلّ ومزق - مدح - قال الشعر.
٣. ارعوى: تواقح - كفّ - استدار ورجع - جَبُن.
٤. جريرة: شفة - هرة صغيرة - ابريق - ذنب.
٥. رِفْد: ورك - جدول - عطاء - ارتفاع ماء البحر.
٦. مَحْتِد: أصل - خيمة - قبر - غضب.
٧. توسَّم: تشاءم - تبيَّن - تلقى خبراً - تزيَّن.
٨. سنح: أذن - غفا - مال - تيسَّر.
٩. خريد: بكر - صندوق جواهر - عتيق - نادر.
١٠. موئل: ملجأ - عرين الاسد - موقد - أرض خصبة.
١١. شاحَنَ: نافس - لاعب - باغض - جادل.
١٢. سوَّل: استجدى - زيَّن وهوَّن - صفّى - فقأ العين.
١٣. اجترح: طعن - لفّق خبراً - افترى - ارتكب.
١٤. تضمَّخ: تلطخ بالطيب - تضمن - تبلل - أنتنت رائحته.
١٥. استتبَّ: شتم - استقام وتبيَّن - قعد - وثب فجأة.
١٦. راز: رجح - رمق - وزن - صفع.
١٧. مآخذ: مَقاتل - مواطن قوة - مصادر - أولى أيام السنة.
١٨. إملاق: تزلف - كذب - تدجيل - فقر.
١٩. رِفاء: رتق - اتفاق - بحبوحة - ندب.
٢٠. ضارع: غلب - صافى وآخى - قاتل - شابه.
٢١. أوغر الصدر: أوقده من الغيظ - أحزن - شوّق - أفرح.
٢٢. سبر: مشى وئيداً - وزن الذهب - تأمل - امتحن الغور.
٢٣. وارب: تلوّى - خبأ - خاتل وداهى - خاصم.
٢٤. سمق: أفلت - علا - ضرب - رنا.
٢٥. الموبقات: المهالك والمعاصي - الاكاذيب - النوادر - الرياح.



الأجوبة الصحيحة

١. زَوِر: اعوجّ ومال. الزَّوْر: أعلى وسط الصدر.
٢. فنّده: خطّأ رأيه وضعّفه. أيضاً: لامَهُ. أفند: خرف وضعف عقله.
٣. إرعوى عن الجهل: كف عنه. أيضاً: رجع.
٤. الجريرة: الذنب والجناية. يقال: جرَّ علي نفسه جريرة، أي ارتكب إثماً.
٥. الرِفْد: المعونة والعطاء. الرَفْد: الصنيب. يقال: أريق رَفْدُه، أي مات.
٦. المَحْتِد: الاصل. يقال: فلان كريم المحتد والمنبت والعنصر والمغرس.
٧. توسّم فيه الخير: تبيّن فيه أثره.
٨. سنح الامرُ: عرض وتيسّر. والطائرُ أو الظبيُ: مر من المياسر الى الميامن.
٩. الخريد: البكر والحييّة الخافضة الصوت. لؤلؤة خريد: لم تثقب.
١٠. الموئل: الملجأ.
١١. شاحنه: باغضه. الشَحْناء: العداوة امتلأت منها النفس.
١٢. سوّلت له نفسه كذا: زينته وسهلته وهونته.
١٣. اجترح الاثم: ارتكبه. جوارح النهار: مصائبه، ومنها: نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار.
١٤. تضمّخ بالطيب: تلطخ به.
١٥. استتبّت الطريق: ذلت وانقادت. أيضاً: وضحت واستبانت. استتبَّ الامر: استقام واستمر وتبيّن، وأصله من الطريق المستتبة.
١٦. راز الحجرَ: وزنه ليعرف ثقله، والرجلَ: جرّبه وخبره.
١٧. مآخذ الكتاب: مصادره. والمآخذ المصائد أيضاً.
١٨. الاملاق: الفقر.
١٩. الرِفاء: الاتفاق. يقال للعروسين: بالرفاء والبنين، أي بالالتئام والاتفاق واستيلاد البنين.
٢٠. ضارعه: شابهه. ضارعت الشمس: دنت للغروب.
٢١. أوغر صدره: أوقده من الغيظ.
٢٢. سبر الجرح أو الماء أو الامر: امتحن غوره.
٢٣. واربه: خاتله وداهاه. الوِراب: الانحراف والالتواء.
٢٤. سَمَق النبات: علا وطال فهو سامق. السُمّاق: الخالص البحت. يقال: أحبك حباً سُماقاً، أي خالصاً.
٢٥. الموبق: المهلك. يقال: فلان يركب الموبقات أي المهالك، ويفعل الموبقات أي المعاصي.

المستوى

٢١ – ٢٥: ممتاز
١٦ – ٢٠: جيد جداً
١١ – ١٥: مقبول

في منطقة الباسك الاسبانية البائسة تنشط
شبكة تعاونيات يملكها العمال، وقد باتت محط إعجاب كثيرين

تعاونيات موندراغون

تبدو موندراغون على الخريطة نقطة صغيرة في بلاد الباسك الفقيرة الواقعة شمال اسبانيا. لكن المظاهر خادعة، فهذه البلدة هي العصب الحيوي لشبكة من المصانع والأعمال والخدمات الاجتماعية التي يملكها العمال. وهي تشكل نظاماً تعاونياً ناجحاً اجتذب اهتمام العالم وتقديره.

وهذه الحركة الفريدة التي بدأها خمسة أعضاء قبل ٣٠ سنة توسعت لتضم حالياً ١٧٣ مؤسسة يشغّلها أكثر من ١٩ ألف عامل عضو، وتمتد من وادي لينيز الى مجمل بلاد الباسك ونافار. وعمودها الفقري ٩٤ تعاونية تصنع كل شيء من الآلات الثقيلة الى الدراجات، وتسع تعاونيات زراعية تنتج الخضر الطازجة والمعلبة.

والمشروع التجاري الاول من هذا القبيل هو "ألغور" (ULGOR) الذي يضم حالياً ٢٢٥٣ عاملا أعضاء، وهو من كبرى التعاونيات الصناعية في البلدان الغربية ومن كبرى الشركات الاسبانية المنتجة للبرادات والغسالات والأفران الكهربائية. وحتى في ظل الركود الاقتصادي السائد حالياً تضاعفت المبيعات السنوية للمجموعة التعاونية الى أكثر من ١٤١ مليون بيزيتا (نحو ٩٨٠ مليون دولار).

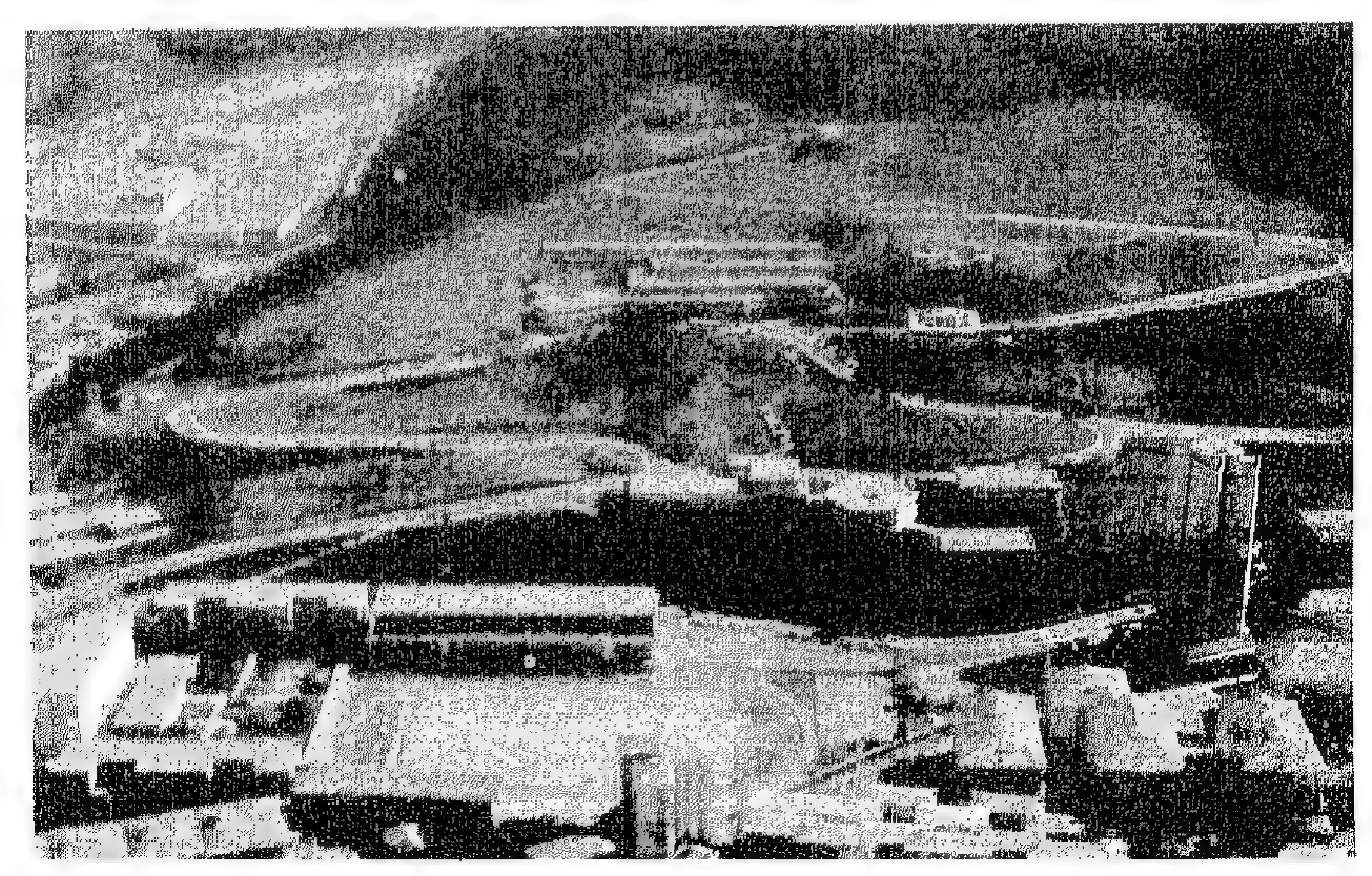
وأعظم معجزات موندراغون أنه في الوقت الذي يعتبر ٢٠ في المئة من سكان الباسك عاطلين عن العمل، وهي أعلى نسبة اقليمية للبطالة في اسبانيا، لم يسجل أي صرف دائم في التعاونيات. بل ان ٥١ وظيفة جديدة أحدثت عام ١٩٨٤ و٣٦٦ وظيفة أخرى عام ١٩٨٥.

والمجموعة أوسع كثيراً من التعاونيات الانتاجية. فهي تضم مصرفاً ومدارس ابتدائية وتقنيــة ومجمعات سكنيــة ورياضية ومعهداً للابحاث الصناعية ونظام ضمان إجتماعي مستقلا. وهناك أيضاً ٩٤ مؤسسة تعاونية تبيع سلعاً مختلفة، من المأكولات الى الاقمشة والأدوات المنزلية والمفروشات وسواها. وتشتري ١٥٥ ألف عائلة مساهمة حاجاتها من هذه المتاجر.

ويقول خبير التعاونيات البريطاني روبرت اوكشوت: "ان الانجاز الذي تحقق في موندراغون رائع فعلا. فالناس يعملون لمصلحتهم وللمصلحة العامة في آن."

صوت مسموع – بدأ كل ذلك عام ١٩٤١ بعد سنتين من انتهاء الحرب الأهلية الاسبانية، حين ظهر في موندراغون رجل متقف ربي في بيت مزارعين اسمه خوسيه ماريا أريزمنديـاريتا. وكـان له آنذاك ستة وعشرون ربيعاً. وعلى رغم بنيته الناحلة فانه تميز بنشاطه الدائم. وهو تأثر بانعكاسات الحرب الاهلية

حجار الزاوية في مجمّع موندراغون: المدرسة المهنية (أسفل اليسار) ومركز إكرلان (الى يمينها) والمصرف (فوق) وتعاونية ألفور (أعلى اليسار). الى اليمين: خوسيه ماريا أريزمندياريتا.



المربكة للباسكيين الذين كانوا في غالبيتهم من الجمهوريين. وشعر أن من الواجب عليه مساعدة العمال الشباب وتقوية الروابط الاجتماعية في المنطقة. وباشر تنفيذ افكاره في موندراغون.

اتجهت أولى اهتماماته الى التعليم المهني. فمهارات التعدين ضرورية لضمان مستقبل زاهر للشباب في مقاطعة يعتمد اقتصادها في الدرجة الأولى على الصناعة. لكن المدرسة المهنية الوحيدة في المنطقة كان يديرها مصنع كبير للادوات المعدنية ولا يُقبل في صفوفها سوى أبناء العمال والموظفين. لذا أسس دون خوسيه ماريا مدرسة تجارية شرعت أبوابها عام ١٩٤٣ لكل راغب في التحصيل العلمي. وبات خريجوها يحظون بوظائف في المعمل.

لم يكن لدى دون خوسيه ماريا مخطط متكامل لانهاض الحس الجماعي ونشر التنمية الاقتصادية، لكنه رأى أن احدى الوسائل الفاعلة هي التعاونيات. وعاد بالذاكرة الى مصنع في إيبار التي تبعد ٣٠ كيلومتراً الى الشمال من موندراغون، أداره عماله بنجاح طوال ١٧ عاماً وحتى اندلاع الحرب الأهلية.

وفي اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٥ وبدعم معنوي من دون خوسيه ماريا افتتح خمسة من خريجي مدرسته مشغلا لصنع مدافىء الكاز سموه "تاليريس ألغور". وساهم كل منهم بخمسين ألف بيزيتا (نحو ٣٥٠ دولاراً) من مدخراته لبدء الانتاج فبات مالكاً وعاملا في آن. وسجل ألغور رسمياً كتعاونية في أبريل (نيسان) ١٩٥٩.

أما اسم الشركة فمركب من الأحرف الأولى لأسماء عائلات المؤسسين وهي أوساتوري ولارانياغا وغورونيوغويتيا وأورمايكيا وأورتوباي (★). وعُيِّن دون خوسيه ماريا مستشاراً من دون راتب، لا يحق له التصويت لكن صوته مسموع. ويتذكر خيسوس لارانياغا: "كان عنيداً في مواقفه، لكنه خضع دائماً لقرار الاكثرية."

ووضع دون خوسيه ماريا مسودة دستور ألغور، وهو نموذج العقد الذي أعتمد لاحقاً لتنظيم أمور المجموعة التعاونية. والدستور هذا مبني على المبادىء الديموقراطية الأصيلة التي تنص على صوت واحد لكل شخص. كما أنه يشترط ألا يتجاوز الراتب الأعلى ثلاثة أضعاف الراتب الأدنى الذي حُدِّد بمتوسط ما تدفعه الشركات الصناعية الخاصة. وما زالت نسبة ٣:١ قائمة حتى اليوم على رغم أن بعض الرواتب قد يصل الى ٤،٥ أضعاف الحد الأدنى للأجور، وذلك بفعل ساعات العمل الاضافية ووسائل أخرى.

لا تسلّط – حالياً يتولى عمال التعاونيات التي أنشئت على مثال ألغور انتخاب مجالس إداراتهم لمدة أربع سنوات. وكل مجلس هو نخبة من موظفي الشركة من جميع المراتب والمستويات. وينتخب المجلس بدوره مديراً عاماً للشركة ويراقب كل قراراته عن كثب.

أما القرارات المتعلقة بالسلامة العامة وسلم الرواتب وشؤون الانعاش الاجتماعي

(★) Usatorre, Larrañaga, Gorroñogoitia, Ormaechea and Ortubay

فيضبطها المجلس الاجتماعي المؤلف من مندوب منتخب لكل ١٥ أو ٢٠ عاملاً. وهنالك مجلس مدققي الحسابات، وهو جسم منتخب آخر يدقق في حسابات الشركة نيابة عن كل الموظفين.

ويقول المدير العام لتعاونية قرب تولوسا متخصصة بصنع أسلاك المحركات الكهربائية، وقد باتت من أهم الشركات الأوروبية في هذا الحقل: "لا مكان في التعاونية لشخص متسلط يدير الدفة كما يشاء من دون استمزاج آراء الآخرين." ويضيف: "على المدير المسؤول أن يتقرب من موظفيه ليكسب ثقتهم ودعمهم."

ورافق ارتفاع مستوى الانتاج في ألغور ازدياد مطرد في عدد العمال الاعضاء. وبحلول العام ١٩٥٨ باشر معمل جديد بنته ألغور في أطراف موندراغون إنتاج أفران الغاز. وفي السنين التالية اتحدت ألغور مع عدد من مصانع القطع، وبينها مَسْبَك ومشغل لصنع الآلات، لتشكل معاً مجموعة "ألاركو" (ULARCO). واستمر أعضاء المجموعة في تبادل الخدمات. لكن الادارة الذاتية أعطت كلا منهم حرية التنافس في أسواق خارجية أيضاً مولدة بذلك كثيراً من الوظائف الجديدة. وبنهاية ١٩٧٨ وصل تعداد القوة العاملة في تعاونيات ألاركو الى ٦٥٠٠ عامل عضو.

والعمال في كل التعاونيات أعضاء وليسوا موظفين، وهم يدفعون حصة نسبية (كوتا) للانضمام الى الشركة. وعوض أن يقبضوا راتباً فانهم يتقاضون سلفة شهرية من حصصهم في الأرباح المستقبلية. كما أن سبعين في المئة، كحد أقصى، من أرباح شركتهم تقسم بينهم وتوضع في حسابات فردية تدفع عليها فوائد سنوية ثابتة. أما اذا خسرت الشركة فان الخسارة تقتطع من هذه الحسابات. وهناك عمال يتقاعدون حالياً فتدفع لهم معاشات التقاعد إضافة الى خمسة ملايين بيزيتا (نحو ٣٥ ألف دولار) من رأس المال المتراكم. أما بالنسبة الى الثلاثين في المئة المتبقية من الارباح، فان ما لا يقل عن عشرين في المئة تودع اعتماداً احتياطياً وتدفع العشرة في المئة الباقية كاعانة مالية للتعاونيات المدنية والاجتماعية المرتبطة بالحركة.

مجتمع متكامل -. حين وصل دون خوسيه ماريا الى موندراغون كان عدد المقيمين فيها ثمانية آلاف. أما اليوم فهي بلدة ناشطة يسكنها ٢٦ ألفاً و٦٠٠ نسمة وتعتبر مقر الخدمات الحيوية للمجموعة التعاونية. وبالقرب من ساحة البلدة ينبسط على مساحة واسعة حرم المدرسة المهنية التي انبثقت من الصفوف الأولية التي أسسها دون خوسيه ماريا. ويجدُّ طلابها الـ١٣٧٤ للحصول على درجات كحرفيين واختصاصيين ومهندسين تقنيين. وتركز المدرسة على العمل التطبيقي داخل حرمها وخارجه. فنحو من ٥٧٠ تلميذاً ممن تجاوزوا السن الثامنة عشرة يقسمون يومهم بين الدراسة النظرية والتمرين التطبيقي في "أليكوب" وهي شركة الكترونيات وميكانيك تقع قرب الحرم. ويقول أحد طلاب السنة الثالثة في فرع الهندسة: "انه ترتيب مثالي. وأعظم ما فيه أنني

أكسب خبرة عملية وفي الوقت نفسه أدفع أقساط دراستي." ويلتحق أكثر من نصف الخريجين بتعاونيات مجاورة.

وعلى منحدر إحدى التلال فوق المدرسة يقوم "ايكرلان" وهو مركز عصري للابحاث يعمل فيه ستون مهندساً ويزود التعاونيات الصناعية والشركات الأخرى في المنطقة إبتكارات التكنولوجيا الحديثة. وبالقرب من إيكرلان يقوم "لاغون - أرو" مركز الضمان الاجتماعي للمجموعة الذي يفيد منه نحو أكثر من ٤٨ ألف شخص. وبما أن العمال يملكون التعاونيات فانهم يعتبرون رسمياً أرباب العمل ويتمتعون بحق اختيار نظام الضمان الاجتماعي الخاص الذي تقدمه الولاية. ويكمل لاغون - أرو أي نواقص في خدمات هذا الضمان، فيقدم تعويضات عائلية سخية إضافة الى التطبيب المجاني وتعويضات المرض والترمل. كما يدفع ما لا يقل عن ستين في المئة من راتب الموظف كتعويض له عند تقاعده يضاف الى ما تقدمه الولاية.

وعلى المنحدر عينه يلوح بناء عصري من أربع طبقات هو المركز الرئيسي لمصرف التوفير العمالي. وترتبط كل التعاونيات بالمصرف وبعضها ببعض في بوتقة فريدة من التعاون المتبادل. وقد افتتح المصرف عام ١٩٦٠ لخدمة المجموعة حين أدرك دون خوسيه ماريا أن السيولة المالية اللازمة لتوسيع نطاق عمل التعاونيات أخذت تنضب. وأول ايداع مصرفي بقيمة ٣٥ بيزيتا وضعه رجل باسم ابنته ذات السنتين. أما اليوم فللمصرف ١٦٣ فرعاً في بلاد الباسك ونافار وفرع يتيم في مدريد. وفي أبريل (نيسان) ١٩٨٤ وصل حجم الايداعات الى ١٤٧ مليار بيزيتا (نحو مليار و٣٠ مليون دولار) كما فاق عدد الزبائن ٦٢٥ ألفاً. والى الخدمات المصرفية التي يقدمها المصرف فانه يؤدي دور المنسق والمراقب لكل المؤسسات المشاركة. كما يقدم أفضل الاستشارات الادارية.

ويقول لويس أوليباري من قسم الادارة في المصرف: "نحن منفتحون لدراسة أي طلب لانشاء تعاونية جديدة في المنطقة." ويصل الى المصرف نحو خمسين طلباً سنوياً، ينتهي اثنان أو ثلاثة منها الى افتتاح تعاونيات جديدة. وآخر تعاونية صناعية افتتحت تحمل الرقم ٩٥ وهي "اويناكار" التي تصنع الرافعات الآلية في أوات.

محط اعجاب - ان التحدي الاكبر الذي يواجه الحركة التعاونية هو التحول من الأساليب القديمة التي تعتمد اليد العاملة الى الأساليب الحديثة المرتكزة على التكنولوجيا. والمعروف أن إدخال التقنية الأوتوماتيكية الى المصانع يعني ازدياد البطالة. لكن اتفاقاً مبرماً بين التعاونيات في موندراغون يلزم كل تعاونية تشغر لديها وظائف أن تعطي الأولوية للعمال المصروفين من التعاونيات الشقيقة. وفي الوقت عينه يتقاضى العمال العاطلون دفعات شهرية، تقارب دخلهم العادي، من برنامج الانعاش الاجتماعي لمكافحة البطالة.

لقد اعتبر دون خوسيه ماريا حركته "تجربة" خاصة بمجتمع الباسك. ولكن

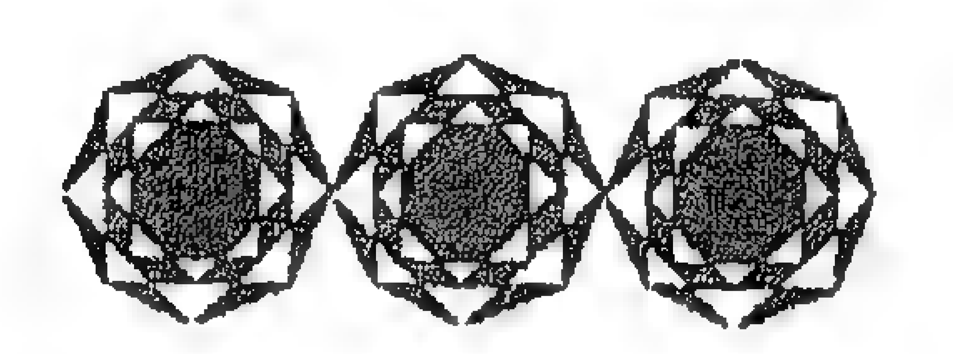
تعاونيات موندراغون

نادراً ما يمر أسبوع من دون أن يتفقد المنطقة صحافي أو رجل اقتصاد أو شخصية نقابية.

وفي اسبانيا أصبحت موندراغون محط إعجاب الكثيرين. ففي العام ١٩٨٤ سُجِّل في البلاد نحو ١٥٠٠ تعاونية جديدة فارتفع العدد الاجمالي للتعاونيات الى أكثر من ٩٥٠٠. ويعمل في التعاونيات نحو ١٣٠ ألف اسباني. ويدرس البرلمان الاسباني قانوناً جديداً لتنظيم التعاونيات يعتمد في بعض نواحيه تجربة موندراغون مما قد يفضي الى ثورة حقيقية في حقلي التسليف والتعويضات الاجتماعية.

في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦ توفي دون خوسيه ماريا أريزمندياريتا عن ٦١ عاماً نتيجة مرض قلبي عاناه لفترة طويلة. وترك لشعبه ذخراً لا يقدر بثمن هو الوسيلة الصحيحة لمساعدة الآخرين والاتكال على النفس.

راول فاسكيس دي بارغا ■



طالب نعسان

في إحدى الأمسيات راح أستاذ علم الانسان يحاضر برتابة لمدة ثلاث ساعات عن مجتمعين بدائيين. وقبيل انتهاء المحاضرة سُمع شخير خفيف من طالب هو أب مولود جديد.

وأراد الأستاذ أن يلقّن الطالب درساً ويجعل منه أمثولة للآخرين، فسأله أن يذكر بعض الخصائص التي تميز أفراد القبيلتين.

ففكّر الطالب هنيهة ثم أجاب مغالباً النعاس: "النساء في أي من القبيلتين لا يرسلن أزواجهنّ في الثالثة فجراً لشراء حفاضات الأطفال."

ك.ك.

الارملة الطروب

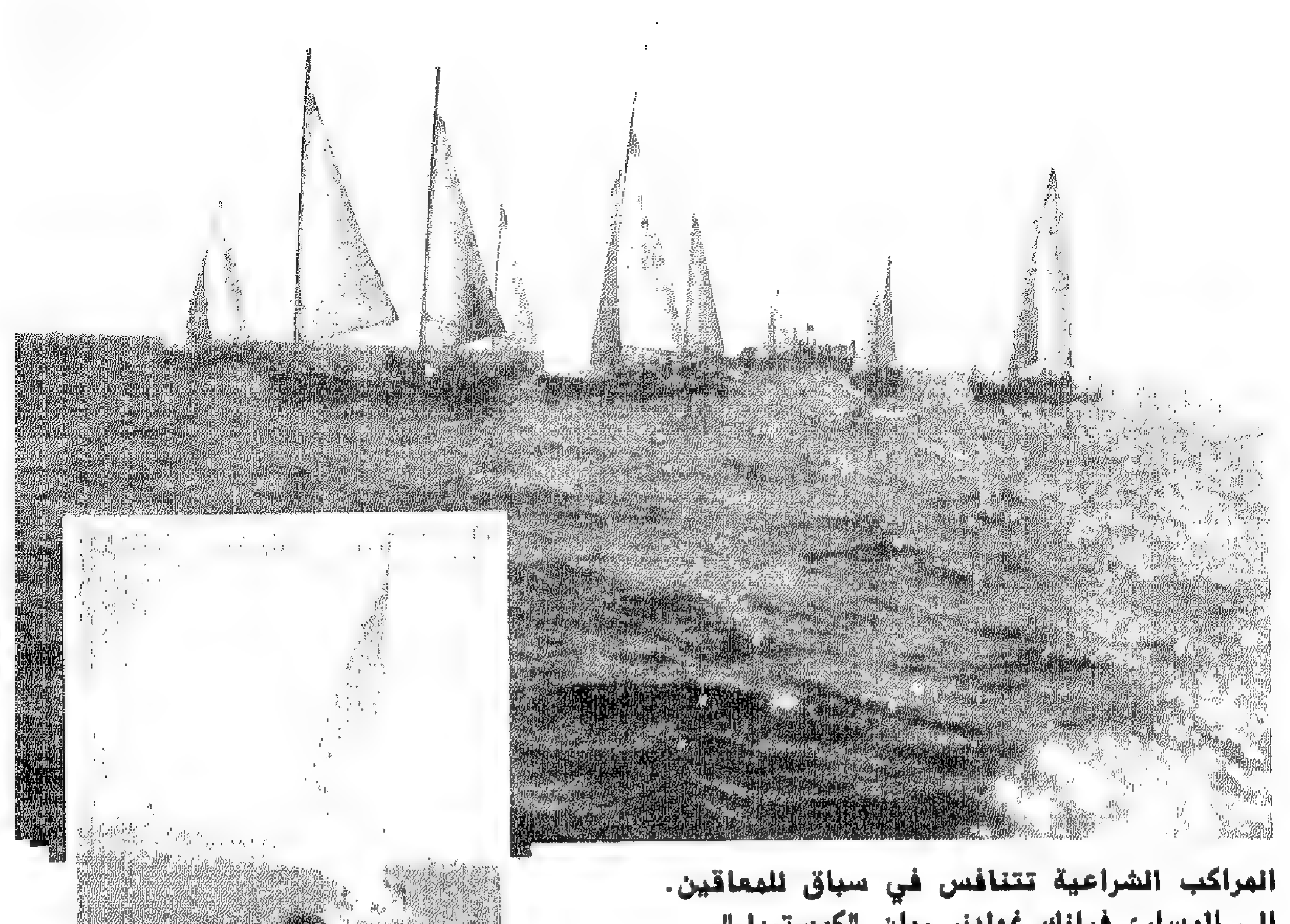
اقترب رجل من سيدة تنتحب فوق قبر زوجها وبادرها باحترام: "سيدتي، أنا متأسف جداً لما سأقول في هذا الظرف العصيب. ولكن عليَّ ان ابوح لك بأنني وقعت في حبك من النظرة الاولى."

فصرخت السيدة ساخطة: "أيها المغفل! أغرب عن وجهي وإلا استدعيت الشرطة. أهذا وقت كلام الغرام؟"

فاستدرك الرجل بلطف: "إنني لم أشأ الافصاح عن عواطفي في هذا الوقت الحزين. لكنك سحرتني بجمالك الاخّاذ فلم أستطع ضبط نفسي."

وللحال تغير مزاج المرأة فهتفت بغنج: "وكيف لو رأيتني وأنا غير باكية؟"

هـ.س.



المراكب الشراعية تتنافس في سباق للمعاقين.
الى اليسار، فرانك غولدنر ربان "كيستريل".

الأشرعة تحرر المعاقين!

**انهم معاقون جسدياً.
لكنهم متأهبون لمواجهة العواصف
ومنافسة أمهر البحارة.
وهذا الشهر يشهد سباقهم السادس**

أشرعة تقرع كالطبول اذ تنفخ فيها الريح. رذاذ متطاير يعطي المطر مذاقاً مالحاً. زوارق شراعية يبلغ طول الواحد منها ٣٨ متراً تتسابق عبر أحد الخلجان على ساحل بريتاني الفرنسي. الربابنة والملاحون يصرخون لمتسع في البحر فيما اليخوت تستدير حول راية عائمة لتخوض أمواج الأطلسي.

هذا الاندفاع العاصف جزء من سباق "بطولة المعاقين". والزوارق التي يقودها هواة أبحرت من أنحاء أوروبا في أيلول

Photos: John Dyson

(سبتمبر) ١٩٨٥. وهي السنة الخامسة يجرى فيها هذا السباق(★).

ولكلمة "معاق" معنى خاص: فكل ملاح من هؤلاء معاق جسدياً على نحو ما. غير أن السباقات شاقة ويتطلب خوضها خبرة كأي سباق لكأس البطولة.

زورقان لا يفصلهما سوى بضعة سنتيمترات ينقضان على الأمواج الرمادية. أحدهما يدعى "مكارو" له صاريان ويبلغ طوله ثمانية أمتار ويتدفق اليه الماء فوق الحاجز، فيما يتمايل الزورق الآخر على جانبيه في الريح.

وبساعدين أنمت عضلاتهما حياة في كرسي للمقعدين، يلقي تيو باومان (٣٢ عاماً) بثقله على ظهر المركب المترجح وهو يجر ساقين أوهنهما الشلل. أما يوهان دوكيسر (٣٢ عاماً) المشلول أيضاً فيمسك الحبل بيده ويجعل الشراع في الوضع الملائم موازناً الزورق كي يحصل على الدفع الاقصى إلى أمام.

وعلى الدفة مرغريت سوارت (٢٨ عاماً) وهي ربانة الطاقم الخليط من هولنديين وبلجيكيين، وتسمع هدير تموج المياه اذ يشقها الزورق الألماني "كيستريل". إنها لا تستطيع الانعطاف لتلقي نظرة، لأنها مقعدة بفعل تصلب الأنسجة المضاعف وساقاها مطويتان تحتها على وسادة.

واذ يندفع "كيستريل" في الرياح يبتسم ربانه فرانك غولدنر مسروراً. إنه طالب هندسة في الثالثة والعشرين، وهو قزم يعتبر التنقل في الزورق المكشوف على ساقين ملويتين، توقف نموهما، كالجري في طريق وعرة معدة لمغاوير الجيش. ومع ذلك فهو بحار متمرس يجعل "كيستريل" "يحلق" بلمسته السحرية.

لكن "ماكارو" وملاحيه لن يستسلموا. واذ يصل اليختان إلى المنعطف التالي، تتقدم مرغريت وبحارتها. لكن الفوز في سباق الـ٢٢ كيلومتراً ليس مضموناً بعد.

منعتقون كالريح – سباق الزوارق هذا يستمر اسبوعاً ويتألف من أشواط تمهيدية وسباقات أربعة رئيسية، ومركزه بورلاي وهي قرية قديمة فاتنة لصيد السمك في جزيرة دوغروا قرب لوريان. ويشترك فيه ٥٦ متسابقاً يدفع كل منهم ٢٥٠ فرنكاً فرنسياً (نحو ٣٥ دولاراً) ويبيتون في معهد للملاحة البحرية يستعملون زوارقه وستة يخوت معارة من البحرية الفرنسية.

والسمة الفريدة لسباق المعاقين هي أن طواقم الملاحين المتنافسين، على رغم عاهاتهم، تم تنظيمها كي تكون قدرات البحارة متممة بعضها لبعض. وتتوافر أيد ماهرة وأرجل وعيون كافية في كل زورق لأداء عمل الملاح العادي. والمصابون بالكساح الذين يقوون على الجلوس من دون حركة، يتبادلون المهمات فيما ينعطف الزورق من جانب الى آخر منساقاً مع الريح. وأولئك الذين لا يتحركون اطلاقاً يتولون إدارة الدفة. وثمة ملاح واحد، على الأقل، رشيق على نحو كاف يمكنه من توجيه القلوع والرسو.

ويتجلى العمل الجماعي لهؤلاء البحارة

(★) يجرى السباق السادس لبطولة المعاقين بين ٦ و١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ في نيوبورت في رود آيلند بالولايات المتحدة.

الرائعين في التدافع للانعطاف حول المعالم المائية من دون الارتطام بالعوامات المرتفعة. وفيما يترجح "فلورا" في الريح يحرر الملاح المشلول يان هان (٤٧ عاماً) حبل الشراع الخلفي من الوتد بجانبه. وفي مواجهته يغير مواطنه الهولندي سيز فان فلزن (٤٤ عاماً) اتجاه الزورق بسرعة كي يتقدم تدريجاً من دون أن يضيع ثانية. لكن جانب سيز الأيمن مشلول، وذراعه مطوقة



المتسابقون على رصيف بورلاي.

بإطار بلاستيكي فلا يسعه أن يجذب يداً بعد يد. وعوض ذلك يضغط الحبل بين ركبتيه فيما يبدل قبضته وتبقى يده السليمة دامية من اثر القروح التي لا تندمل.

لا أخبار جديدة عن البحارة المقعدين. في زمن القراصنة كانت الساق الخشبية أو كلّاب اليد شارة للشجاعة. والجديد اليوم هو مدى المغامرة والتشويق والمنافسة الرياضية التي يوفرها الابحار للمعاقين جسدياً. فمنذ عقد بلغ تعداد البحارة المعاقين أكثر من خمسة آلاف في اوروبا. والبينة على نجاح هذه الرياضة كراسي المقعدين والعكازات التي تترك كل صباح على رصيف ميناء بورلاي.

واذ يصبح المعاقون على متن الزورق يشعرون بأنهم منعتقون كالريح. ويقول فرانك غولدنر: "في الزورق أنسى تماماً اني معاق، وكأني أخلف كرة الحديد والسلسلة ورائي."

ومن نواح شتى يعد الزورق مكاناً مثالياً للمعاقين. وحتى الملاحون الاصحاء الاقوياء البنية يمشون بصعوبة على متن سفينة مترنحة، وفي الطقس العاصف يدبون من مكان إلى آخر أو ينزلقون على مؤخراتهم.

يقول اندريه شيفرييه (٦١ عاماً) وهو سويسري مقعد منذ العام ١٩٧١: "نحن قادرون على منافسة أفضل البحارة."

وثبت ذلك عام ١٩٨٤ في سباقات المعاقين التي أجريت في فلنسبرغ بألمانيا الغربية. ففي أحد السباقات وسط ريح عاصفة هوجاء فاز زورق يقوده هواة معاقون على آخر يقوده أغرار من البحرية في ألمانيا الغربية.

فكرة رائدة - كان من أوائل الذين روجوا لفكرة ابحار المعاقين دزموند سليتولم رئيس تحرير مجلة بريطانية مختصة باليخوت. وهو نشر عام ١٩٧٢ سلسلة من المقالات تنطوي على دروس في الملاحة للمكفوفين في بريطانيا وتبين أن الملاحين العميان يستطيعون القيام بكل أعمال الملاحة عدا الابحار. فهم قادرون مثلا على ادارة الدفة بمساعدة جهاز صوتي متصل بالبوصلة أو

ذي شعورهم بالريح تداعب وجناتهم.

واقتبست الفكرة بلدان أخرى. ففي العام ١٩٧٥ بسويسرا راح بروسبير دوبوا ريمون، وهو رجل نشيط في الثالثة والستين من عمره مشلول الساقين يدير مركب قطر عتيقاً، يبحث عن مكفوفين يؤلف بهم طاقم ملاحيه. وأذهله ما رأى، وهو يقول: "ما ان مشيت على الرصيف ونفخت الصفارة لتحديد الاتجاهات حتى هب مدير الدفة الكفيف فعطف الزورق وأقلني معه."

بعد ست سنوات نظّم دوبوا ريمون أول سباق للمعاقين قبالة الشاطئ النمسوي لبحيرة كونستانس. وعرض أحد نوادي الابحار في بريغنز خدماته وتسهيلاته، وقدم حوض ألماني لبناء السفن الزوارق التي ركبها المتسابقون. ونمت شعبيته منذ قدم سباق الزوارق عروضه للجمهور في هولندا ومن ثم في المانيا الغربية مرتين. واجتذب السباق ما يزيد على ٣٠٠ متسابق. واليوم تدعمه اللجنة الدولية للرياضة المائية للمعاقين، وهي مؤسسة صغيرة أسسها دوبوا ريمون مع مجموعة من زملائه أصحاب اليخوت والاطباء.

ويوضح الدكتور فرنر كون وهو سويسري اختصاصي بإعادة تأهيل مرضى الكساح وعضو في اللجنة، ان "ثمة منظمات رياضية للمصابين بالكساح والصمم والمكفوفين وسواهم، ويتم تكييف أنواع الرياضات بحسب العاهة، كلعبة الكرة الطائرة في كراسي المقعدين." غير أن الابحار يحشر أناساً ذوي عاهات مختلفة في زورق واحد. انهم يتنافسون بتساوٍ بعضهم مع بعض ومع الأصحاء كذلك.

والمعاقون مجهزون على نحو مدهش للتغلب على المشكلات الطارئة في الماء. والكثير منهم سباحون أقوياء اذ ان السباحة جزء من علاجهم الفيزيائي. لكن بعضهم يعاني مشكلات غير عادية. ففي الفريق البلجيكي على متن الزورق "ستيرن" أربعة ملاحين مبتوري الاطراف وليس لهم سوى ثلاث سيقان سليمة، لكن



بحار هولندي أقعده الشلل يمشي على رصيف الميناء.

انقلاب الزورق لا يعد كارثة قاصمة وان يكن بالتأكيد حادثاً مكلفاً.

ايلي سميث (٣٥ عاماً) ركبت أطرافاً اصطناعية مخصصة للسباحة، فيما يعتمد الآخرون سيقاناً ذوات مفاصل حركية مركبة. ويقول الربان دانييل فانديفن (٣٨ عاماً): "بعض المفاصل فائق الحساسية للتأكل بتأثير الملح. وفي مقدورنا أن نسبح كالأسماك، لكن ثمن كل ساق يناهز ٧٥ ألف فرنك بلجيكي (١٦٠٠ دولار) وفواتير الترميم قد تكون أرقامها

ضخمة. لذلك نأمل ألا يقع أحدنا في البحر."

الايدي العاملة – على رغم الصعاب يغدو ابحار المعاقين أكثر ذيوعاً في أرجاء أوروبا. ولدى هولندا مركب كبير للرحلات يطوف فيه المعاقون بحيرة إيسل. وثمة اسطول من مراكب أعدت للابحار نهاراً ومراكز للألعاب المائية. وقد وضعت جداول بلغة "بريل" لمساعدة المكفوفين على معرفة موقعهم في البحر.

وتشجِّع برامج ابحار مماثلة في الدانمرك وأسوج (السويد) والنمسا.

وتركز فرنسا على دمج البحارة المعاقين مع نظرائهم الأصحاء. والجمعية الأكثر نشاطاً في هذا الميدان هي "نافيسبور" التي حملت نحو ألفي معاق على الابحار منذ انشائها عام ١٩٧٧، فيما تدير هيئة أخرى هي المعهد الوطني للرياضة الشراعية برامج ملاحية خاصة على أطواف معدَّلة. أما مركز غلينان البحري، وهو أحد أكبر معاهد الملاحة في فرنسا، فيضم بحارة معاقين في صفوفه منذ العام ١٩٧٩. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ نظمت جماعة صغيرة من المعاقين المتحمسين رحلة بحرية بين لاروشيل (فرنسا) والبرازيل ذهاباً واياباً. وقام بها طاقم من تسعة ملاحين، اثنان منهم معاقان. وقاد المركب الذي يبلغ طوله ٣٠ متراً، الربان خوسيه غونكالفس وهو كسيح في الثامنة والعشرين.

وثمة مشروع طموح مشابه نظمه اتحاد "جوبيلي" للملاحة في بريطانيا، حيث يسيِّر طاقم من الملاحين المعاقين سفينة مربعة الأشرعة في رحلات إلى فرنسا ومنها.

وتعاقد أصحاب الشراعية "سورين لارسن" البالغ طولها ٤١ متراً مع ٦٠٠ ملاح معاق (وعدد مماثل من الأصحاء) في السنوات الثلاث الماضية. وسبب استخدام سفينة مربعة الأشرعة، بحسب قول بيتر طومسون المدير العام لمشروع اتحاد "جوبيلي" للملاحة، "أنها في حاجة إلى أيد عاملة كثيرة، ففيها ٩٧ حبلا متنوعاً للجذب. لذا على البحارة مهمات كثيرة يؤدونها ويشعرون بأنهم منهمكون."

وفيما تنزلق الشراعية في قناة سولنت جنوب بريطانيا لترسو في كاوس بجزيرة وايت، يعتمر الاطفائي السابق المقعد مارتن جاكسون الخوذة ليقود السفينة في الانواء. ويتولى بيل شورتر المصاب في نخاعه الشوكي لف الحبال من كرسيه المتحرك. وفي طريق الاياب ترتقي جولي سناودن (١٨ عاماً) التي أضعفها الشلل المخي، سلم الحبال إلى المنصة الرئيسية في منتصف الطريق إلى الصاري الذي يرتفع ٣٠ متراً. وتقول: "كنت أود دوماً أن أبحر، لكني لم أظن أني أقدر على ذلك. وتلك كانت عشرة من أروع أيام حياتي."

كل بحار بطل – في يوليو (تموز) ١٩٨٦ انطلق المركب الجديد ذو الصواري الثلاثة والمسمى "اللورد نلسون" تيمناً بأشهر بحار معاق عرفته البلاد والذي فقد ذراعاً وعيناً في المعارك البحرية، في رحلته الأولى بطاقم مختلط من ٤٠

شخصاً، عشرون منهم معاقون بينهم ثمانية مقعدون.

هذا المركب الفريد الذي يبلغ ٥٤ متراً طولا، مزود مصاعد بين طبقاته وأحد الصواري الثلاثة كي يتمكن المعاقون من التنقل بين الأشرعة والصواري. وفي الطقس العاصف تسلك كراسي المقعدين سبيلا مستقيماً على سطح مائل باستعمال أداة خاصة تثبت على سكة معدنية. وحتى الوصول إلى رأس الدقل في مقدم المركب ممكن في كرسي المقعدين.

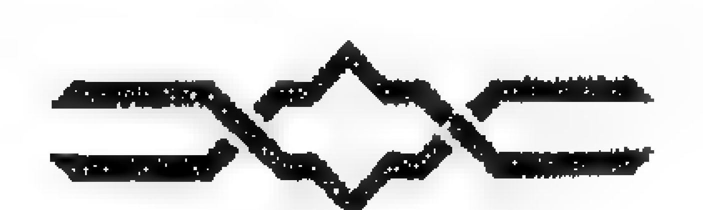
ولكن ليست هناك امتيازات خاصة. ويقول أستاذ الملاحة جو كلاي: "نحن ندعو الناس إلى تأدية أدوارهم في الابحار، لكننا لا نوفر لهم الحماية. وإن سألت أحدهم أن يلف حبلا فقد يستغرق الأمر نصف ساعة، لكن الوقت ليس مهماً. المهم أن يشعر المرء بالاعتزاز لأنه أنجز عملا صعباً ضمن مجموعة تخوض المغامرات."

العزم هو السمة المميزة لهؤلاء المعاقين ذوي المقدرة. فالحياة على متن السفينة اختبار للانسان في أفضل الاوقات، وإن نقصت أعضاؤه طرفاً أو اثنين أو وظائف أو عضلات حيوية.

وهذا العزم يبين اذ تنطلق اليخوت العشرون في سباق المعاقين وسط ريح عاتية مطيرة في الأطلسي.

واذ ينطلق فرانك غولدنر وطاقمه في "كيستريل" بأقصى سرعة فإنهم يسعون إلى حيازة التفوق بعد سباق شاق. ولكن لا يهم كثيراً من يربح، ففي سباقات المعاقين كل ربان وكل بحار بطل.

جون دايسون ■



بين المدينة والريف

جاءت امرأة وابنها الصغير من المدينة لزيارة قريبة تقطن في بلدة ريفية. وذهب الجميع الى مطعم لتناول العشاء، وحين جلس الصغير في الكرسي كان الخوان أعلى من متناول يديه. فطلبت أمه من النادلة أن تحضر دليل الهاتف ليجلس الطفل عليه. ولبت النادلة الطلب وأحضرت دليل البلدة الريفية الذي لا تزيد سماكته على مليمترين.

ك.ب.

جهاز العروس

خطب أحدهم أرملة أم ولدين أورثها زوجها الراحل ثروة لا بأس فيها.
وسألته أمه: "ماذا تحتاج أنت وخطيبتك لكي أقدمه اليكما كهدية عرس؟"
فأجاب: "أماه، اننا لا نحتاج الى شيء. فهي جاءتني بجهاز كامل."

ج.ف.

الحب المستحيل

الحب المستحيل

في براري منشوريا شمال الصين نشأت قبل نصف قرن صداقة متينة بين فتى صيني وابنة اريستوقراطي من المغول البدو. ومع السنين تحولت صداقتهما حباً. ولما ذهب الفتى إلى المدرسة كانت للفتاة ثلاث أمنيات: ألا ترتحل عائلتها، وألا يغادر الفتى تلك النجود، وألا يكبرا أبداً

حول منزلي في مروج منطقة هيلونجيان الواقعة في ما كان يسمّى "الشمال العظيم" جُنّ العشب وكثف وبدت سلسلة جبال هنغان الكبرى كأنها لوحة تخريمية تفصل بين البرية الخضراء والسماء الصافية الزرقاء.

وعند منعطف صغير لنهر باكالون انتصب بيت كبير. إنّه بيتي المبنيّ بكتل مرصوصة من التراب وجذور الاعشاب، وهو دافىء في الشتاء وبارد في الصيف. وكان جد أبي كسب بجهده المتواصل قطعة الأرض تلك وقاوم الحيوانات الشرسة واللصوص فطردهم بعيداً عن النهر. وما لبث أن أسس مزرعته الكبيرة فأضحت مركزاً برياً منيعاً. وفي العشرينات من هذا القرن كانت "مزرعة آل ماي" تتألف من مزرعة رئيسة وست مزارع فرعية وفيها أكثر من مئتي عامل.

أما أنا، فتى البرية، فكان يحلو لي أن أعدو بفرسي مع شقيقتي فوق الأرض المكسوة بالثلوج. وكان الافق الشرقي عند الفجر يبدو وكأن كائناً ما أضرم ناراً في السماء. فأستيقظ وأختي في الصباح الباكر ونمتطي فرسينا متحدّيين البرد القارس لنعدو في البرية إلى حيث يجلس الرجال ليلا يحرسون ويذكون النار في مخيماتهم. وعندما يكون الطقس جيداً والريح ساكنة نركب عربة جليد ونطوف في الريف. وكانت أمي تعلّق الأجراس في أعناق الاحصنة فترافق موسيقاها الرائعة ضحكة أختي الرنّانة.

لكن الخطر كان يترصّد المرء في البرية. فهبوب الريح الشمالية ليلا وعواء الذئاب كفيلان بجعل القشعريرة تسري في الجسم. فغالباً ما نسمع بمسافر مستوحد هاجمه ذئب. ويروي سكان الجبل حكاية الذئب الذي دخل منزلا وخرج منه بطفل. ومن حين الى آخر كان ذئب يسرق إحدى النعاج على رغم الاحتياطات الشديدة التي اتخذناها.

كان الشتاء مرحلة صعبة، لكننا اتبعنا تقليداً في الاحتفال بعيد رأس السنة. فبعد العشاء ليلة العيد يقود جدي العائلة بكاملها إلى أحد أبراج المزرعة ويؤدي كلّ واحد منا حركة رمزية كأنه يذكي نار مخيم باضافة الحطب الى المواقد. ثم تمسك عمتي إناء الشراب وأمي الفنجان واخوتي واخواتي الصغار المصابيح وأنا البخور. ونسير متنقلين من مجموعة حيوانات الى أخرى، فيصب جدي على الارض فنجان شراب تلو آخر. وهي حركة ترمز الى امتناننا للحيوانات، إذ كنا نعتمد عليها في سبل رزقنا.

رفيقة اللعب

في الربيع تكسو سحب من الزهر الابيض ضفتي النهر الصغير، وكانت أمي تأخذنا الى البرية لنعمل جميعاً على زرع الخضر والفواكه في قطعة أرض. وسرعان ما تنمو مزروعاتنا تحت أشعة الشمس الدافئة. وكنّا أحياناً نرى قطيعاً من النعاج ينظر الى الخضر من خلف السياج بأعين صغيرة شرهة. وذات يوم في أوائل الخريف عثرت شقيقتي على غزالة بريّة تأكل وصغارها الملفوف في الحديقة. فهرول أحد العمال إلى المزرعة ليأتي ببندقيته. لكن أمي أوقفته، ثم ذهبت الى الحديقة وطردت الغزالة برفق. وفي المساء قالت لنا: "يحتاج الناس الى أن يأكلوا، كذلك الغزلان البرية. ولا يجوز أن نقتلها لمجرد أنها أكلت بعض نبتات الملفوف."

وفي أحد أيام الصيف الجميلة، وكنت في السابعة من عمري، رجوت عمي أن يصحبني إلى المراعي البعيدة حيث يأخذ الأحصنة لترعى. فرفقاء اللعب قليلون وحياة البريّة موحشة. وامتطيت صهوة فرسي المرقّط وعدوت إلى جانب عمي ورجاله على طول النهر في اتجاه الطرف الجنوبي للغابة. وعندما أصبحنا عند منعطف النهر الصغير خرج من الغابة على الضفة الأخرى للنهر فريق من الكلاب الرعاة وهي تعدو وتنبح.

فتساءل عمي: "ترى من أين تأتي تلك الكلاب الضارية؟"

وفجأة خرجت فتاة صغيرة من الغابة راكضة. وصرخت آمرة الكلاب بالسكوت ثم لوّحت لنا بيدها. كان بريق يشعّ من عينيها وابتسامة تعلو ثغرها. لكننا لم نفهم ما كانت تقوله. كانت ترتدي ثوباً أزرق وتشد وسطها بحزام أحمر وتحمل سلة حيكت من أغصان شجرة الصفصاف. فقال عمي: "يا لها من مغولية فاتنة! لقد وجد ابن أخي رفيقة ليلعب معها."

وساعدني في قطف باقة من الازهار البرية واجتزنا النهر على حصانينا. وكان سرور الفتاة شديداً فراحت تقفز. وأومأ اليها عمي محاولا إفهامها أنه لا بدّ من أن ألعب وإياها. ففهمت للحال وأومأت برأسها موافقة. فقال عمي: "يا لها من صغيرة ذكيّة."

وشرعت الفتاة الصغيرة تقطف العشب وتحزمه رزماً ترسلها مع الكلاب إلى خيمتها. وأنا ساعدتها.

وأعجبت بفرسي فراحت تربّت قائمتيه الخلفيتين بيدها الصغيرة. وغسلت وجهه ودست أزهاراً برية في سرجه. ولعبنا طوال فترة ما قبل الظهر فعثرنا في

الغابة على أرنب بري وثمر عليق لذيذ وعنب بري. ولمّا أتى عمي ظهراً ليصحبني لم تشأ الفتاة أن تترك يدي.

وسرّت أمي كثيراً عندما علمت بصديقتي الجديدة. فسلقت بيضاً ورتبت بعض الفطائر لآخذها اليها بعد الظهر. وقالت لنا ان البدو المغول نادراً ما يربّون الدجاج، فلا بدّ من أن يجدوا البيض لذيذاً. وقلّما تتاح لهم فرصة تناول الفطائر والمعجّنات.

لمّا وصلنا إلى طرف الغابة كانت الفتاة الصغيرة في انتظارنا وقد بدّلت ملابسها فانتعلت جزمة حمراء وضفرت شعرها بشرائط حمراء. ولمّا رأتنا أتت إلينا راكضة.

ترجلت وعمي فبسط هو على العشب جلد خروف أبيض نظيفاً ووضع عليه الطعام الذي حضّرته والدتي ثم دعا الفتاة الصغيرة لتجلس وتأكل. وتماماً كما توقعت أمي، حاز البيض إعجابها الشديد وراحت تدقق في شكل كل فطيرة قبل أن تضعها في فمها بعناية.

وبينما نحن نتمتع بتناول وجبتنا الخفيفة رأينا رجلا يتجه نحونا على حصان أبيض. كان يرتدي ثياباً سوداء وقبعة مغولية من الحرير الاسود. فترجّل وفتح ذراعيه وهو يبتسم لنا بامتنان.

وخاطبني بالصينية: "ها! شكراً لك، شكراً جزيلا." ولمّا اقترب عمي على جواده، جمع الرجل يديه وكأنه يحييه: "شكراً لك يا أخي الصيني لأنك أضفت ابنتي هالينا." فترجّل عمي وردّ التحية: "إنهما يلعبان معاً. لمَ لا تأتي إلى مزرعتنا يوماً؟"

- أين مزرعتكم؟

"إنها تبعد بضعة كيلومترات عن طرف الغابة شمالا. فنحن نملك ست مزارع فرعية ضمن نطاق ٥٠ كيلومتراً على مقربة من نهر هوما."

- أوميتاباه! لقد انتهكنا حرمة أراضيكم إذاً.

ثم انحنى المغولي وأضاف: "إرغون، العلّم الايسر، تايجي من الرتبة الثانية، نالونبولي يعتذر اليك والى اخوتك. فقد أصاب القحط أراضينا قبل سنوات ولم يبقَ لنا إلاّ أن نتجه شرقاً لنعثر على مروج خضراء."

فقال له عمي: "تفضل بالجلوس."

الزيارة الاولى

فيما الرجلان يتحدثان رحت أنا وهالينا نلعب بالقرب من النهر. ولمّا أتى عمي ليأخذني كان الظلام خيّم على الارض. فأخبرني أن والد هالينا كان عضواً رفيع المرتبة في الاريستوقراطية المغولية، وقد ساءت أحواله. وأضاف أنه دعاه وابنته الى مزرعتنا في اليوم التالي.

لمّا سمعت أمي نبأ زيارة تايجي من المغول أمضت المساء كلّه تحضّر وليمة للغد. وأرسل أبي فارسين إلى إحدى المزارع الفرعية ليأتيا بالعجوز سولان الذي يتقن لغة المغول.

وفي صباح اليوم التالي وما أن جفّ الندى عن العشب حتى ذهبتُ وعمي ننتظر ضيفينا. وقرابة التاسعة رأينا شخصين على جواديهما يخرجان من الغابة.

ودنا منا زائرانا بأناة كما درجت العادة

في البريّة. وكانت هالينا تركب فرساً صغيراً أبيض وتتبع والدها.

وكان التايجي في لباسه الرسمي الخاص وهو عباءة طويلة سوداء وقبعة سوداء تزينها شرّابات حمراء. أما هالينا فكانت ترتدي ثوباً أحمر يزيّن خرز صغير ياقته وكمّيه ووشاحه. وتدلت من عنقها سلسلة ذهبية عُلّقت بها محفظة من الحرير الأصفر. ورحت أراقبها وهي تضع على العشب الأخضر قدماً بعد أخرى. ولم أجد يومذاك عبارات تصف أناقتها.

وسارع عمي فعرّف أبي بهما. فركع التايجي على ركبة واحدة محيياً، وتفوّه بعبارات مباركة. ثم عرّف بهالينا التي ثنت ركبتها محيية. وكانت طريقة تصرفها تجعلها تبدو أكبر سناً مما هي في الواقع.

منذ ولادتها عاشت هالينا في الخيم، فراحت تنظر إلى بيتنا بفضول عظيم. وأثار الزجاج اهتمامها على نحو خاص: النوافذ الزجاجية ومرآة أمي وآنيتنا. وعلى مائدة الغداء سكبت لها أمي الرز في طبق صغير من الزجاج الأحمر، فأخذت به وما وَسِعَها الّا أن تلهو به وهي تأكل.

وأصرّت أمي على أن تمضي هالينا بضعة أيام بيننا. فكنّا نلتقط الفراشات ونلعب بين أزهار الليْلك، وقد أغرمت بهريراتنا. وأحبّت حديقة خضرنا، فهي لم ترَ من قبلُ الخيار والذرة الخضراء. ولمّا أتت أمها لتحضرها أعطيناها هريراً. وكانت والدة هالينا تتقن الصينية هي أيضاً، فقالت لنا ان هالينا طفلة وحيدة للعائلة وان ليس لها رفقاء لعب غيري.

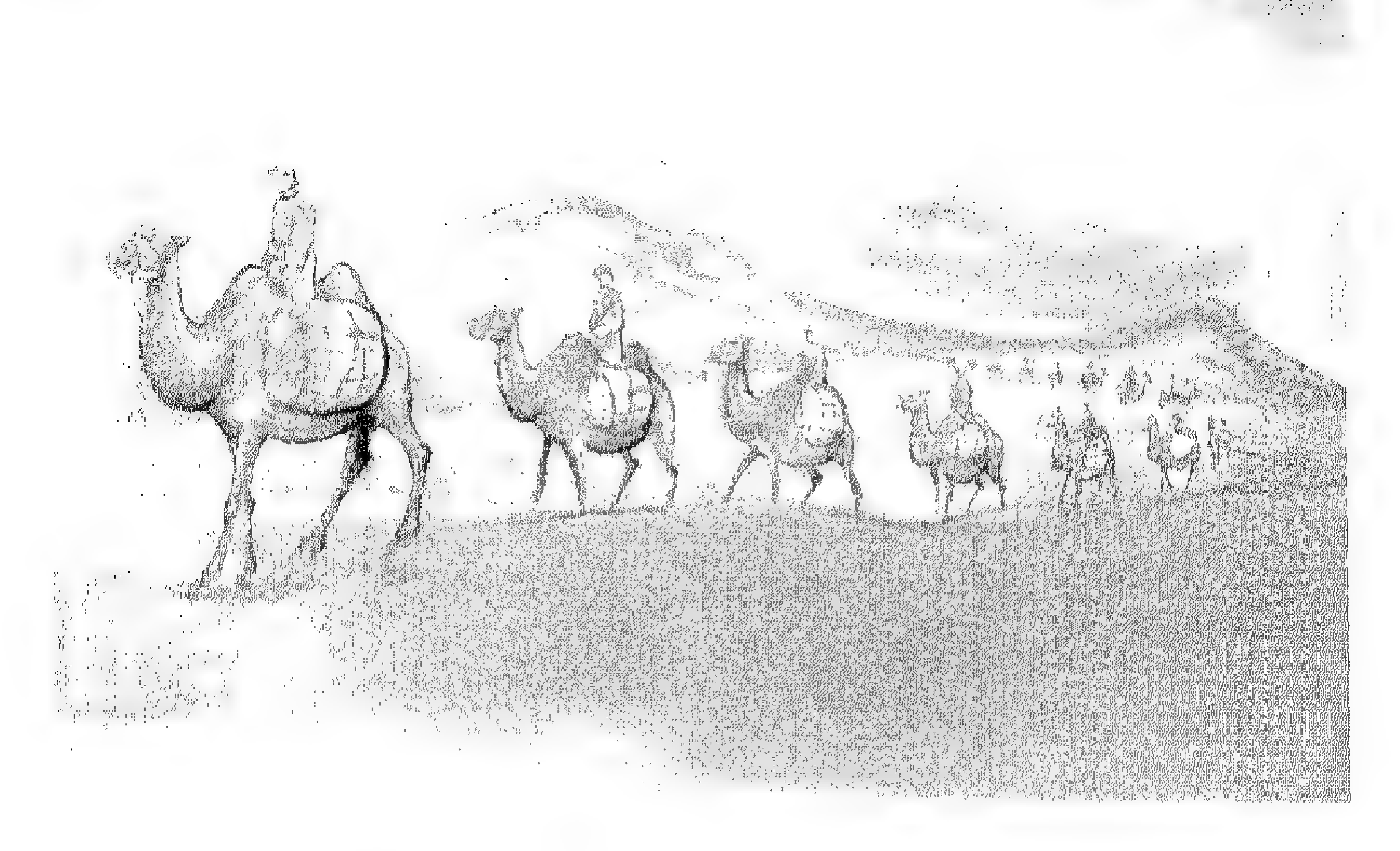
ومنذ ذلك الحين بدأ عمي يأخذ جياده لترعى عند المنعطف الصغير للنهر كي تتاح لي ولهالينا فرصة اللعب معاً. فما ان نصل الى هناك حتى تخوض هالينا النهر حاملة هريرها في سلّتها. وعلى هذا المنوال أمضينا شهراً سعيداً. ثم حان وقت ارتحال عائلتها. فانطلقت وأمي على فرسينا في اتجاه المنعطف الصغير لنشهد رحيل افراد العائلة. وقدّمنا اليهم أرغفة الخبز والبيض المسلوق. وكانوا فكوا خيمتهم وطووها وحزموها على ظهر جمل.

وودعت هالينا: "إلى اللقاء يا هالينا." أما هي فجلست على مطيتها ممسكة بهريرها وعيناها تترقرقان بالدموع.

قافلة التجار

دينغ دونغ!دينغ دونغ!حمل إلينا نسيم الصيف العليل رنين الاجراس وهي تترجع في البعيد. إنها قافلة التجار في طريقها إلينا! جمالها تحمل كل ما يحتاج اليه المرء وييسر به من طعام صيني وغربي وأوان منزلية وثياب وحلى وألعاب. وكان أهالي أورونشون يتوقعون زيارة التجار، فأتوا بالفرو الثمين وساقوا غزلانهم الأليفة من الجبال العالية التي تبعد نحو مئة كيلومتر. أما أهالي سولون فأتوا على أحصنتهم حاملين معهم قرون الغزلان وعظام النمور وأقدام الدببة، وهي سلع باهظة الثمن تستعمل في الطب الصيني.

ما إن وصل التجار حتى استُقبلوا وكأنهم من أفراد العائلة. وتحلقت نساء المروج حول الحرائر والحلى المعروضة. فكنّ يجرّبن حلية وينظرن في مرآة التاجر. يا للفرحة! أما الأولاد الذين حملوا السلال



المصنوعة من أغصان الصفصاف فكانوا يشيرون بحياء الى ما تهواه قلوبهم غافلين عمّا يدسّه التجار في سلالهم من حلوى وألعاب.

وحلّت الظهيرة وانتهى عرض السلع. وبعد وليمة عامرة أصبح البائعون شارين وأهالي المروج بائعين. كم حصاناً لديهم برسم البيع؟ وكم من صوف الحملان؟ وكم في حوزة الصيادين من جلود الفيزون والسمّور والذئب والنمر؟

وفي المساء قدم التجار في ضوء نار المواقد عرضاً ترفيهيا تضمن قرداً راقصاً ودمى متحركة. ولم ينته عرض الدمى المتحركة إلّا قبيل طلوع الفجر، عندئذٍ قدمنا الى التجار وليمة أخرى وأرسلناهم في سبيلهم.

وذات يوم خريف بعد مرور سنتين على رحيل هالينا، كنت وشقيقتي عند منعطف النهر نقطف ورق القيقب الأحمر فأشارت شقيقتي إلى البعيد قائلة: "أنظر."

ونظرت فرأيت شخصين يتجهان نحونا على حصانين. إنهما هالينا ووالدها. فاندفعنا للقائهما، ولمّا رأيانا ترجلت هالينا وأعطت أباها لجام حصانها وهرولت نحونا. لقد كبرت. أما شعرها فما زال مضفوراً بشرائط مزينة بالخرز. وقبضت على يدي وراحت تقفز وهي لا تدري كيف تعبر عن فرحها. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما سألتني بالصينية: "كيف حال الخالة؟ كيف حال الجميع في المزرعة؟"

كان مخيمهما يبعد أكثر من ١١٠

كيلومترات. وهما انطلقا ظهر الامس وأمضيا الليلة في البرية. وأخرجت هالينا أرنبين صغيرين من سلّتها وأهدتهما إلى شقيقتي. وأخبرنا والدها أنها افتقدتنا كثيراً. ففي السنة السابقة نصب أفراد العشيرة مخيمهم بالقرب من نهر نان، ورغبت هالينا في أن ترانا. لكنهم كانوا ملزمين حراسة حيواناتهم طوال الوقت لان البرية حافلة بالذئاب. لذا لم تتح لهالينا وأبيها فرصة زيارتنا. أما الآن وقد أتيا فان هالينا تمنت أن تمضي بعض الايام معنا.

في ذاك المساء أقمنا عشاء عامراً تكريماً لضيفينا. وأخبرنا والد هالينا أنها سألته، فور مغادرتهما مزرعتنا، أن يعلّمها اللغة الصينية. فعلمها مدة سنتين وبات في امكانها تدبّر أمرها. وهكذا لم تنفك هالينا طوال العشاء تهمس في أذني بالصينية.

وبقيت معنا مدة خمسة أيام. ولما حان موعد الرحيل امتطت حصانها وقد أجهشت بالبكاء. وظلت تستدير وتلوّح لنا إلى أن غابت عن أنظارنا.

الى المدرسة

في الثامن عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ اجتاح اليابانيون منطقة منشوريا. فغادر الشبان المزارع للدفاع عن الارض. فوقع على عاتق أمي عبء إدارة المزرعة الكبيرة والمزارع الست الفرعية.

وحين بلغت العاشرة من عمري بات في وسعي أن أعتني بأمري، فأرسلتني أمي لاتعلم في هاربن. وصباح رحيلي مشت أمي معي ووقفت على الثلج المتلألىء تبتسم لي وهي تخفي الكآبة في قلبها. وقالت لي بثقة: "أنا على يقين من أنك تعرف كيف تعتني بنفسك." ولمّا ابتعدت عربة الجليد رأيت أنها لم تبرح مكانها.

ويوم عودتي إلى المزرعة لقضاء عطلة الصيف ساقت أمي القطيع إلى الطريق التي كنت سأسلكها. وأكدت لي شقيقتي في ما بعد: "هي لم تكن تسوق القطيع، بل كانت تنتظرك. ولولا المسافة البعيدة لساقت القطيع الى مدينة نان."

وأخبرتني أمي أن هالينا ووالدها أتيا إلى المزرعة في شهر مايو (أيار) ليودعانا. فقد وهبهما زعيم عَلَم آرهورشن قطعة أرض في جنوب سلسلة جبال هنغان الكبرى. وتوجهت العائلة بحيواناتها الى القسم الجنوبي الشرقي من منغوليا الداخلية. فقضت هالينا ثلاثة أيام عندنا، وحين جاء موعد الرحيل راحت تذرف الدموع سخيّة وتقول لأمي: "أماه، لا أريد أن أترككم. فأنا أحب زهر البرية وزرقة النهر. أريد أن أبقى هنا وأنتظر عودة أخي الكبير من هاربن." ولكن توجب عليها أن ترحل. وأمضيت الصيف بطوله أفكر في هالينا وفي الحياة البدوية التي تعيشها مع أهلها في براري منغوليا الداخلية وصحاريها الخطرة.

وكنت كلّما عدت الى المزرعة في عطلة الصيف أرسل الي الجيران الدعوات. فأولئك "الأعمام والعمات" الذين يعيشون طوال السنة في البرية يريدون أن يروا كم كبرت وكم من الكتب قرأت وهل زاد ضجيج هاربن.

وفي أحد صباحات يوليو (تموز) ركبنا الخيل أنا وأمي وشقيقتي مسافة ٤٠

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

exclusive advertising representative

كيلومتراً قاصدين أقرب جيراننا. ووصلنا إلى مزرعتهم ظهراً فأضافونا وأكرمونا ولم نبدأ رحلة العودة إلا قرابة الرابعة بعد الظهر.

طاب لنا أن نمشي على العشب الندي، فقدت أنا وأختي حصانينا في ريف يزدان بأغمار من الازهار الحمراء والصفراء والبيضاء. أما أمي فتبعتنا وهي تتحدث إلى مضيفينا الذين أرادوا أن يرافقونا مسافة من الطريق. وتوقفنا عند نهر لتشرب الاحصنة. ثم قطفت أختي بعض أغصان الصفصاف وسألت أمي أن تحوك لنا سلّتين للزهر. ولمّا أنجز العمل رجت أمي مضيفينا أن يعودوا أدراجهم إذ كنّا اجتزنا نصف المسافة. وسرعان ما بدت البرية موحشة فهمزنا الجياد لتسرع.

حصار الذئاب

حين أصبحنا على مسافة عشرة كيلومترات من المنزل رأينا نار المواقد المشتعلة في المزرعة. وفيما نحن نعبر النهر شبّ فرسي فجأة فسقطت بندقيتي في الماء. وتمسكت بعنق الحصان فلم أسقط.

أطلقت أمي نار بندقيتها بينما قبضت أختي على لجام فرسي المذعور. ولمّا استعدت السيطرة على أعصابي رأيت في أجمات الصفصاف أزواجاً لا تحصى من عيون وامضة. فروّعني المشهد وراح العرق البارد يتصبب مني. كنت على وشك الاصطدام بمجموعة من الذئاب. ونبّهتني أمي إلى ضرورة ترجّلي حالا والعثور على بندقيتي. فقدت حصاني إلى وسط النهر.

تراجعت الذئاب إلى الغابة حالما سمعت الطلقة النارية. وحشت أمي بندقيتها من جديد وقادتنا بأناة في مياه النهر. قالت إنه لا بدّ لنا من أن نجد مكاناً قليل الاشجار. وبعد هنيهة أشارت إلى مكان عند ضفة النهر. ولكن ما ان عدونا اليه حتى اندفعت الذئاب من الغابة وتوجهت نحونا. وانطلقت الاحصنة مسابقة الريح وهي تلهث بشدة. وقالت أمي إنه علينا أن نبطىء قليلا. فقد أصبح في امكاننا أن نرى بوضوح أكبر نار المواقد المشتعلة في المزرعة. ولعلنا ننطلق إلى المنزل بعدما تكون الاحصنة استردت أنفاسها.

وبقيت الذئاب تحاصرنا ولا تبعد عنّا إلّا حوالى مئة خطوة. فان تقدمنا خطوة تراجعت خطوة، وان توقفنا توقفت. وكانت عيونها الوامضة شنيعة في ضوء القمر.

صوبت أمي بندقيتها إلى تلك الأعين وراحت ترمي الذئب تلو الآخر وبدا أن الذئاب لم تعد تأبه لاطلاق النار، بل كانت تدنو منّا وتطبق علينا الحصار أكثر فأكثر. وأعطتني أمي بندقيتها بعصبية وأخذت معطفها الفرو من سرجها فأشعلت فيه النار، ثم قادتنا خارج حلقة الذئاب وهي تلوّح به في الهواء.

كان فرسي على وشك الانهيار وعجز عن مجاراة الحصانين الآخرين في عدوهما. فأبطأت أمي وأختي. وفي غضون ثوان اقتربت الذئاب منا وأصبحت على بعد ٣٠ أو ٤٠ خطوة فقط. وراحت الاحصنة المروّعة تشب وتطلق صرخات ذعر. وكاد معطف أمي ان يحترق بكامله. وكان معطفي ومعطف أختي مصنوعين من فرو

ثعلب الماء الثمين، فأحسست أن أمي تتردد في أشعال النار فيهما. وما لبثنا أن سمعنا عواء مجموعة أخرى من الذئاب يتصاعد في البعيد. رباه، كم من الذئاب تنتظر للنيل منا؟ وأصبح بعضها على بعد خمس خطوات أو ست منا، يشقّ طريقه إلينا على نحو متلوّ. أطلقي النار! أطلقيها! وأطلقت أختي النار تكراراً لكنها اخطأت الهدف لشدة ذعرها. أما أمي فكانت تشعل معطف أختي ويداها ترتجفان فكادت أن تكسر عود الثقاب. وفي تلك اللحظة تناهت إلى مسامعنا صيحات رجال وعواء كلاب.

"أطلقي النار في الفضاء يا ابنتي. وحاذري أن تجرحي الرجال!"

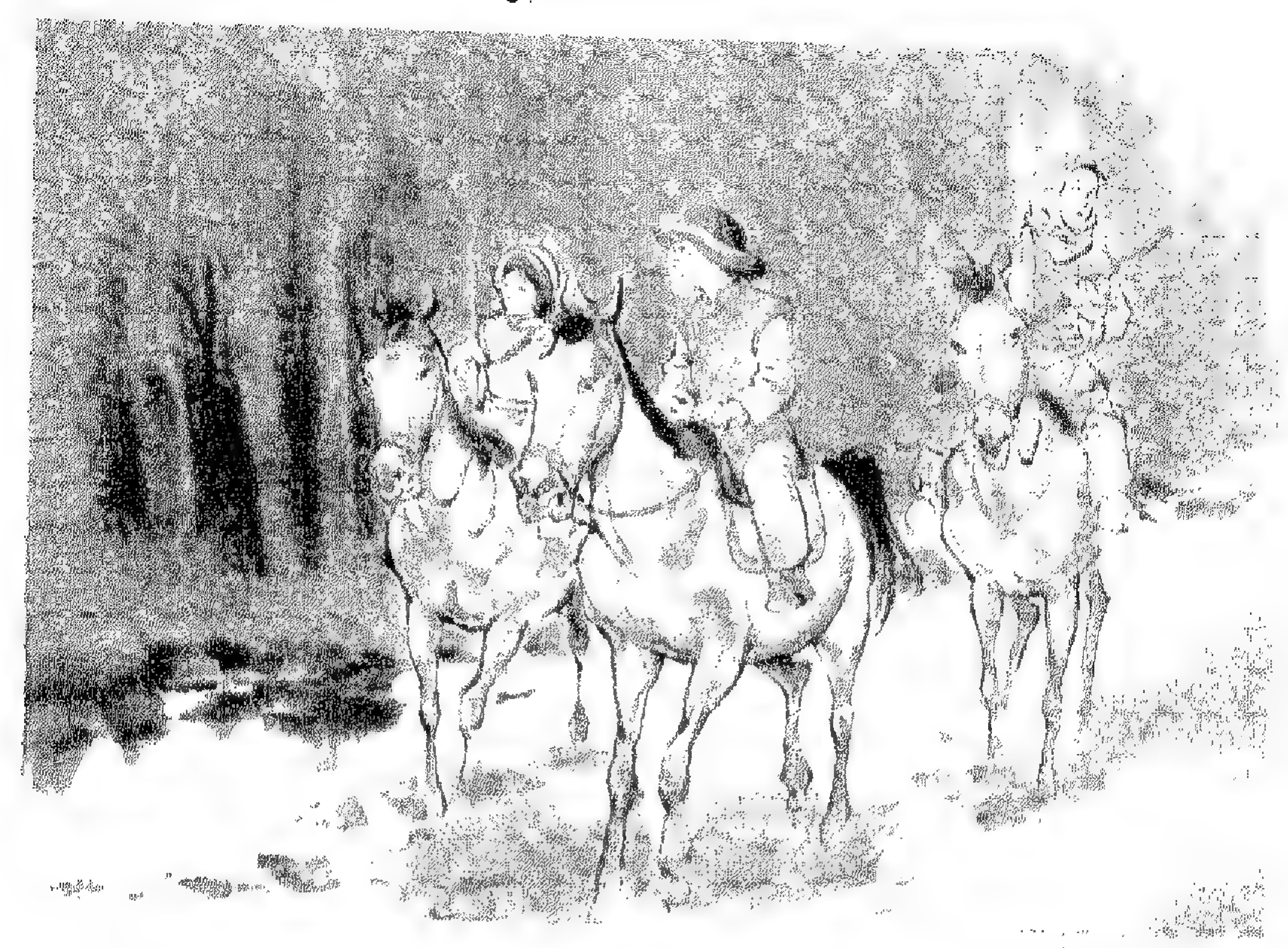
كنا نرى ضوء المشاعل الكهربائية في الافق ونسمع في البعيد أصوات اطلاق نار. ورأينا نحو اثني عشر حصاناً وعشرين كلباً تعدو في اتجاهنا. ولشدة اهتياجها وارتياحها في آن، أطلقت أختي النار على ثلاثة ذئاب فأصابتها. أما الذئب الذي صرعته أمي فقد عضّ ساق فرسها قبل أن ينفق. وبدأت الذئاب تعدو مبتعدة.

وصرخت أختي وهي تمسح العرق عن وجهها: "لقد أحدقت بنا مجموعة هائلة من الذئاب يا أبي." فقال لها أبي: "أعرفت الآن يا ابنتي لمَ جعلتك تتمرنين على الرماية بهذه الجديّة؟"

ما إن دخلنا المزرعة حتى انهار حصاني وسقط أرضاً. وكان الدم ينزّ من فمه وجسمه يرتعش بشدة، فنفق مع الفجر. ولامست جلده الابيض كالثلج وأسفي عليه لا يوصف، وكسوت رأسه بالزهر الابيض. ولما طلع النهار ساعدني رجال المزرعة على دفنه في الغابة. ورحت كلّ يوم من أيام عطلتي أضع على قبره باقة من الازهار البرية.

ليلة مقمرة

أزهرت أشجار الليلك صيفاً بعد صيف وودعت أوراق القيقب الحمراء المتساقطة خريفاً تلو آخر وسقطت الثلوج وتمازجت. ومرّت سبع سنوات ولم يعد "الشمال العظيم" برياً، بل انتصبت المصانع حيث كانت قرى الصيادين



وشقت الطرق ومدّت الخطوط الحديد عبر الغابات لتصل إلى المناجم والارصفة البحرية والمطارات.

وفي أحد أيام الربيع تلقيت وانا في هاربن رسالة عاجلة من أمي كتبت فيها: "يا ولدي! لقد عادت هالينا التي افتقدتها كثيراً. وهي اصبحت شابة جميلة. ونصب أهلها خيمهم على بعد ٣٢ كيلومتراً من مزرعتنا والبهجة تغمر قلوب الجميع."

وانتابني طوال فصل الربيع شعور بالسعادة والاضطراب. وأخيراً بدأت عطلة الصيف. فركبت قطاراً سريعاً الى الشمال. وفي المحطة كانت أختي وأمي في انتظاري.

وعندما خرجنا من المحطة أشارت أمي إلى فتاة تقف بخفر إلى جانب فرسها وقالت لي: "انظر من هناك. هل نسي واحدكما الآخر؟"

وعرفت للحال أن الصبية المغولية الجميلة إنما هي هالينا. لكنها لم تعد رفيقة اللعب التي عرفتها في طفولتي. فكأن أحدهم لوّح بعصا سحرية فغدت هالينا شخصاً آخر. لم أتعرف إلاّ على الوشاح الأحمر المزدان بالخرز الذي ضفرت به شعرها. كانت ترتدي زياً مغولياً مطرزاً أزرق اللون وتضع حول عنقها صفين من اللؤلؤ وفي حزامها قراب مسدس. وكمّل ذلك الزي النموذجي لابنة عائلة بدوية سروال أسود مطرز وجزمة زرقاء. وابتسمت لي هالينا بخجل. فصرخت: "هالينا!"

وللحال اضمحل تحفظها فتقدمت مني. وكما في الماضي أمسكت بيدي والدموع

تفيض من عينيها. ثم تلمّست بذلتي المدرسية وأنعمت النظر إليّ.

ورحنا نجوب البرية على أحصنتنا لمدة يومين. وكانت هالينا تعرف أسماء الازهار البرية كلّها، فأخبرتني عن تلك التي يمكن استعمالها في صبغ صوف الغنم وتلك التي يصنع منها الشاي. وتحدثنا وضحكنا وكل منا يحاول أن يخبر الآخر كلّ ما حدث له منذ اللقاء الاخير.

ودعتني والدة هالينا لأمكث مع عائلتها بضعة أيام. وأتت هالينا في اليوم السادس بعد عودتي لتأخذني إلى أهلها. ولمّا دنونا من مخيمهم نادت أمها وخالتيها فهرعن الى استقبالنا. وأخذن قبعتي ولجام فرسي ورحن يحدقن إلي وكأنهن يتفحصن عملا فنياً. ثم دعونني الى دخول خيمتهن والجلوس على حرام من الفرو الابيض.

وتناولنا طعام العشاء على العشب في جو مرح جداً. وجلست هالينا الى جانبي تؤدي دور المترجم. ثم شرعت خالتها داير تنفخ في المزمار، فتصاعدت موسيقاه في الغابة وبدت لي في ضوء القمر بالغة الروعة.

"لست سوى بدوية"

كانت تلك الليلة الاولى التي اقضيها في الغابة. فكنت وهالينا من الاضطراب والغبطة بحيث لم نستطع أن نأوي إلى فراشينا. فرحنا نتمشى على العشب والهواء عابق بشذا الازهار البرية. وكان ضباب خفيف يغلّف الغابة وشعاع القمر ينفذ إليها كالابر. وتناهت إلى مسامعي موسيقى من البعيد. فأعلمتني هالينا انها موسيقى الخالة نيبولون التي تحرس الاحصنة ليلا. ولم أكن أدرك من قبل مبلغ سحر الليلة المقمرة في الغابة.

خرجت من خيمتي صباح اليوم التالي فوجدت هالينا جاثمة عند ضفة البحيرة تتمرّى فيها وتمشّط شعرها الطويل. ولمّا انتهت وضعت صندوق زينتها بين اغصان شجرة. ان الحياة بالنسبة إلى البدو غاية في البساطة.

وركبت النساء أحصنتهن بعد الفطور وراحت الخالة نيبولون تعزف على عودها. فتبعتها الخراف ثم الخالة داير وهي تخيط جالسة على صهوة جوادها. أما والدة هالينا فكانت تعدّ خرزات سبحتها. وقطفت هالينا زهرة حمراء ودستها في شعرها ثم راحت تهمهم أغنية مغولية.

وبقيت وهالينا طوال الوقت لا نفترق أبداً. ومرّ شهر بسرعة وحان موعد مغادرتي البرية وعودتي إلى أضواء هاربن الباهرة. وعشية رحيلي أتت هالينا لتودعني. وفيما نحن نمشي في تلك الليلة المقمرة المفعمة بأريج الليلك أخبرتني أن لها أمنيات ثلاثاً: ألاّ ترتحل عائلتها وألاّ أغادر أنا البرية وألاّ نكبر أبداً. وأسرّت الي بما يقلق نفسها: "أخشى ألاّ أكون جديرة بك. فأنا لست سوى بدوية من البراري. ولو كبرنا لواجهتنا المشاكل." وبدأت تنتحب.

فقلت لها: "ارجوك يا هالينا لا تتفوهي بمثل هذه الكلمات. لقد كبرنا معاً فكيف لي أن أنسى ماذا يعني واحدنا للآخر؟ لا تبكي يا عزيزتي."

وفي صباح اليوم التالي ودعتُ عائلتي. ورافقني عمي ورجلان من المزرعة حتى

مدينة هايهي. وبعدما اجتزنا بضعة كيلومترات رأينا ثلاثة أشخاص مقبلين نحونا على احصنتهم. وتبيّن لنا أنهم هالينا وخالتاها. كانت هالينا تمسك منديلا زهري اللون والخالة داير تنفخ في مزمارها والخالة نيبولون تحمل اناء شراب من الفضة. وترجلت هالينا وسحبت من ثنيات منديلها قدحاً من الفضة. فسكبت فيه الخالة نيبولون الشراب وقدمته هالينا إلي والدموع في عينيها.

ثم همست بصوت منفعل: "سيمرّ عام قبل أن نلتقي."

وحذرتني الخالة نيبولون: "لا تنسَ هالينا بعد عودتك الى المدينة الكبيرة."

فقلت: "لا تقلقي يا هالينا، واعتني بنفسك."

وخشيت الخالتان أن يغمر الحزن هالينا فادارتا حصانيهما وانطلقتا.

ومضت السنة بسرعة واقتربت عطلة الصيف من جديد. فعزمت ابنة عمي وصديقاتها على قضاء العطلة في مزرعتنا. وهكذا، حين بدأت العطلة، ركبتُ القطار برفقة خمس فتيات ومجموعة هائلة من الحقائب وآلات التصوير ومعدّات الرسم وآلات الفونوغراف والاسطوانات والكتب والغيتارات. كانت أمي وشقيقتي وهالينا في انتظارنا. وما ان نزلت من القطار حتى هرولت هالينا إليّ وأمسكت بيدي كما في السابق. فبدت لي ناحلة أكثر من ذي قبل، لكن جمالها قد زاد. وساعدتُ الفتيات على امتطاء جيادهن، ثم ركبت أنا وهالينا فرسينا ورحنا نسير خلفهن متلكئين.

وسألتني هالينا: "هل فتيات هاربن كلّهن بمثل هذا الجمال؟"

وشرحت لها الامر: "إنهن صديقات ابنة عمي، وأنا لا أعرف أياً منهن."

عند الظهر توقفنا لتناول طعام الغداء. وكانت هالينا شديدة الارتباك فلم تقل الكثير ولم تأكلِ الكثير. ولكن كلما التقت نظراتنا نجحتْ في رسم ابتسامة على ثغرها.

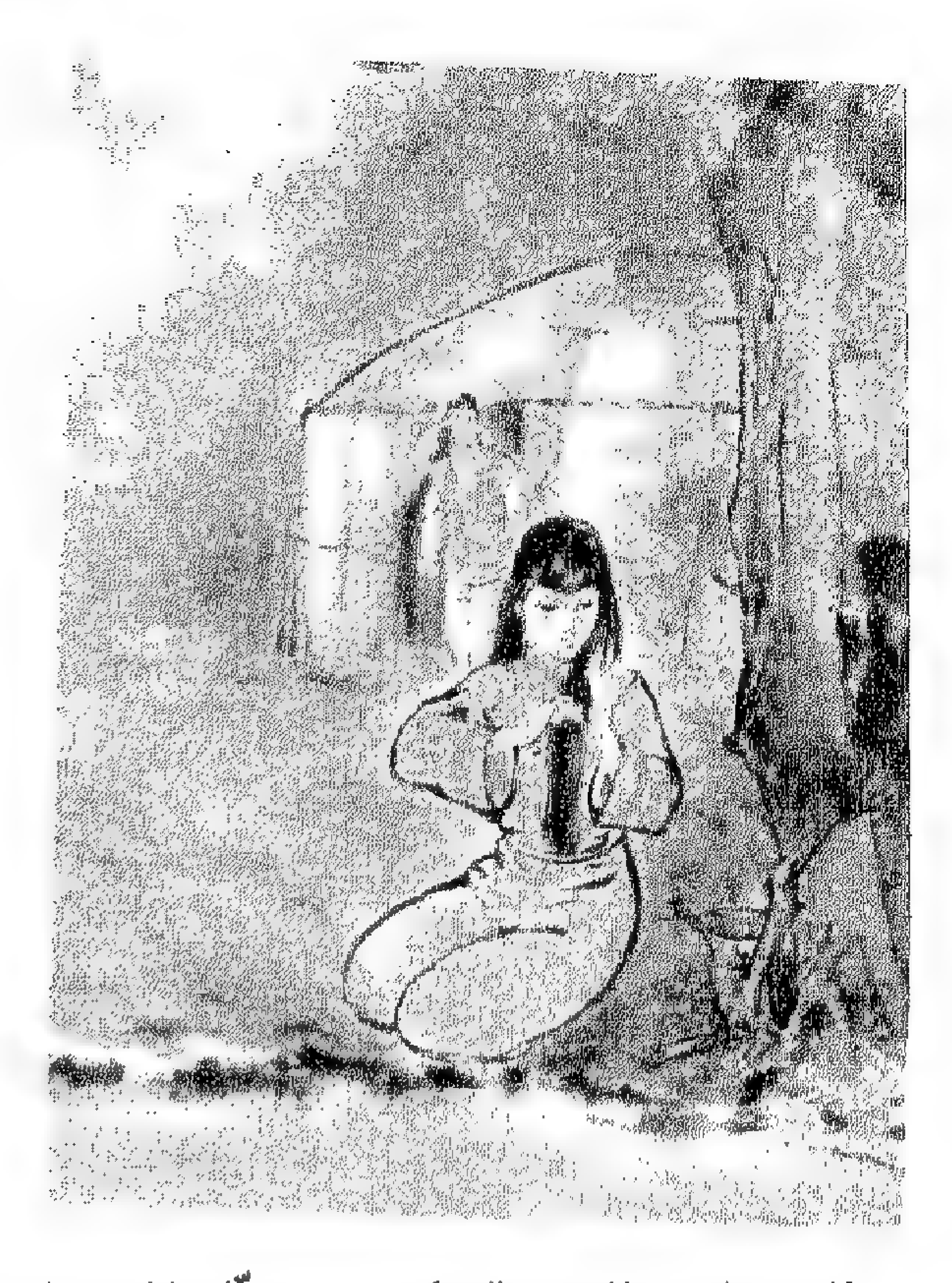
دموع الغيرة

أضفت الفتيات على المزرعة جواً من البهجة والمرح. فكنّ يعزفن على غيتاراتهن تحت أشجار الليلك ويرقصن على العشب ويغنين ويتحدثن ويضحكن ويلتقطن الفراشات في الغابة ويرسمن. ولمّا كان رجال المزرعة منهمكين في أعمالهم فقد وقعت على عاتقي مهمة مرافقتهن وحمايتهن عندما يخرجن. وهكذا، كثيراً ما كانت هالينا تأتي فأكونْ أنا غائباً عن المزرعة.

لكني في احيان أخرى كنت أسألها الانضمام إلى المجموعة والاستماع إلى الاسطوانات. وذات مرة حاولت أن ألقنها أصول الرقص، لكن حياءها منعها من تحريك قدميها. وأخبرت الفتيات عن الأيام الجميلة التي أمضيتها وهالينا عندما كنّا طفلين.

وقالت ابنة عمي بشيء من السخرية: "ستكون زوجة ابن عمي العتيدة ابنة بدوي من المغول." فضحك الجميع وبدا الارتباك على هالينا.

كنت أعرف أن هالينا هادئة الطباع. فهي مختلفة تماماً عن أولئك الفتيات



المليئات بالحيوية والمرح. ولمّا رافقتها عند الغسق أخذتها بين ذراعي وقلت لها: "لا تعذبي نفسك. علينا أن نثق أحدنا بالآخر، فالكثير من السعادة ينتظرنا."

وذات عصر تحلقنا أنا والفتيات حول موقد وراحت احداهن تداعب أوتار غيتارها وأنا أرقص مع فتاة أخرى. وفجأة رأينا هالينا على حصانها الابيض تقف على بعد مئة خطوة وتحدّق الينا مذهولة.

وناديناها: "هالينا!" لكنها استدارت وانطلقت مبتعدة. فهي لم تدرك أن تصرفنا كان اجتماعياً لا غير. وأسفت الفتيات لما حدث. وفي اليوم التالي ذهبنا الى الغابة نبحث عنها لنشرح لها الامر، لكننا لم نعثر عليها. فنحن لم نعرف الى أين أخذت العائلة حيواناتها لترعى.

وغابت هالينا عن المزرعة أياماً. وذات يوم رأيتها مقبلة نحونا. فامتطيت جواداً وذهبت للقائها. ولكن ما ان رأتني حتى أدارت حصانها وابتعدت. وهكذا كانت كل يوم تأتي لتلقي نظرة على ما يحدث في المزرعة ثم تبتعد من جديد.

وذات يوم عند العصر أخذت أسرع جياد والدي واختبأت في الغابة أنتظرها. وما ان مرّت بالقرب مني حتى انتزعت اللجام من يدها وأنزلتها عن حصانها.

ثم قلت لها: "أصغي إلي، هل جننت؟" ولم تكن لكلامي فائدة. فعلى رغم شرحي وتبريري ما وسعها الاّ أن تبكي.

فرحت أهدئها ثم ساعدتها على ترتيب شعرها الذي ذرته الريح وعلى مسح الدموع عن وجهها. ولم تنبس هالينا بكلمة. ولم نفترق الاّ عندما طلعت أولى نجوم المساء.

ثلاث فارسات

عندما عدت الى المزرعة كانت الساعة تقارب منتصف الليل. فقررت ألا أسيء الى هالينا بعد اليوم. وفي الصباح أخبرت أمي أني سأبتعد عن الفتيات، وعلى عمي أن يرافقهن من الآن وصاعداً. أما أنا فسأتذرع بحجة أخذ الخيل الى المرعى. وغادرت المزرعة قبل أن يستيقظن.

كنت غاية في القلق أمام ما يحدث لهالينا. فأنا في الثامنة عشرة من عمري ولا أدري كيف أعالج ظرفاً كهذا. وفيما أنا مستلق على العشب أفكر في الأمر ملياً، سمعت صوت حوافر فرس يعدو مسرعاً. وما لبثت أن رأيت الخالة نيبولون تبتسم لي بودّ. بدت وكأن لديها الكثير



المزرعة، ظهرت الخالة داير وصرخت لي: "أنت لم تنسني، أليس كذلك؟"

كانت تعلّمت اللغة الصينية، فاقتربت مني وأمارات الود على محياها وسكبت لي اللبن في وعاء صغير من النحاس وقالت: "إذا كان نهار الغد مشرقاً، انتظرنا هنا بأحصنتك، فسأحاول مع الخالة نيبولون اقناع هالينا بلقائك."

لتقوله لي، لكنها لم تكن تجيد الصينية فلم تفضِ بما في سرّها الّا عندما أتى سولان العجوز ليترجم لي. قالت انها كانت تبحث عن مهر ضال عندما رأتني آخذاً خيلنا. وأضافت انها والخالة داير راغبتان في زيارتنا، فهما لم تتحدثا طوال السنة الّا عني، لكنهما لم تأتيا لاننا نستضيف زواراً مهمين وهما تخشيان أن يسخروا منهما. وختمت: "عليك أن تكون صريحاً معي. ما هي علاقتك بالفتيات؟"

وشرحت لها الامر بأفضل ما استطعت.

"آه، إن هالينا لفتاة عنيدة جداً. عندما رأتك تستحم في النهر مع الفتيات أذهلها المشهد. كنّ يرتدين ثياب سباحة وأنت كنت معهن تتشمس. فبكت هالينا مريراً. كما انها رأتك تراقص فتاة."

وودعتني الخالة نيبولون بالعبارات الآتية: "أعرف انك لست متقلب المزاج، لكن هالينا لن تتزوج سواك." وفي ما بعد، بينما كنت أتناول الغداء مع رجال

ولمّا كان الصباح التالي مشرقاً ارتديت بذلتي المدرسية البيضاء ووقفت على العشب أنتظر هالينا. وقرابة الساعة التاسعة رأيت في الافق سحابة من الخراف البيض يتبعها ثلاثة أشخاص على أحصنتهم.

كانت هالينا ترتدي لباس فارسة أرجوانياً والخالة داير تنفخ في المزمار والخالة نيبولون تبتسم لي بسعادة. وسارعتُ الى هالينا فغمزت لي الخالتان بعينيهما واختفتا.

الغابة الصامتة

ساعدت هالينا على الترجّل. ولاحظت أن شعرها لم يعد مضفوراً بل مشدود الى الوراء بوشاح من الحرير الأحمر وأنها كانت تعلّق في أذنيها قرطين من الفضة. لم أرها بمثل هذا الجمال من قبل. وعلى رغم كآبتها كانت الرقة تنبعث منها والتأثر يشعّ من عينيها. فأخذتها بين ذراعي وضممتها إلي. فتنهدت عميقاً

وانهالت الدموع من عينيها مرة أخرى.

ثم جلسنا على العشب. وكانت تبكي ورأسها على كتفي وكأنها تحاول بدموعها أن تسرّ الي بكل شكاويها. فحضنتها وكأنني أمنع زوال حلم. فان لم تكن الحياة سوى حلم فليتوقف الزمن فلا يتغيّر شيء.

وفجأة سمعت حوافر حصان. ورأينا سولان العجوز يجتاز المرعى. وما هي الّا هنيهة حتى بانت الفتيات اللعينات. كنّ يبحثن عني. أما أنا فكنت في منتهى الغيظ حتى اني تمنيت لو تظهر مجموعة من الذئاب وتلتهمهن جميعهن.

وحاول العجوز سولان أن يحول دون اقترابهن، لكنهن لم يبتعدن. وربما لم يرين هالينا وأنا أحتضنها. فرحن ينادينني ويلوحن لي، فانفجرت هالينا بالبكاء من جديد. وفي النهاية انفصلت عني وركضت إلى حصانها فامتطته وابتعدت.

وفي اليوم التالي أخبرتني الخالة نيبولون أن هالينا مريضة. فعمّ القلق نفوس الجميع، وصرّحت لي الفتيات أنهن لم يرينها عندما أتين يبحثن عني. وبعد الغداء نصحتني أمي بالذهاب مع شقيقتي لزيارتها. فتبعتنا الفتيات. وحدها والدة هالينا استقبلتنا، فأعلمتنا أن هالينا متوعكة وأنها لا تستطيع مقابلتنا.

وبعد خمسة أيام ذهبنا لزيارتها ثانية. ولكن حينما وصلنا الى البحيرة الصغيرة في الغابة لم نرَ أي خيمة وقد اختفت الحيوانات كلّها. وعلى الشجرة التي كانت هالينا تخبىء فيها صندوق زينتها ربطت منديلها الزهري. وفي طياته عثرت على خصلة شعر أسود برّاق. تلك كانت طريقتها في توديعي. فبدت لي الغابة عندذاك ساكنة كالموت.

لم يتحقق أي من أمنيات هالينا الثلاث. اذ لم أرها بعد ذاك. وسرعان ما عدت الى هاربن. أما فترة صباي في البرية فقد أصبحت من الماضي. وبعد مدة قصيرة دخلت الجامعة.

ماي تشي – مين ■

الشعر والقصيدة

الشعر في قصيدة هو ما يجعلك تضحك وتبكي وتتلوّى وتتألق وتخبو وتشعر بوخز وتلزم الصمت وتعرف أنك وحدك ولست وحدك في هذا العالم المجهول.

ديلان توماس، شاعر بريطاني

هاتف القلوب

قالت الفتاة: "لا تتصل بي الليلة، فقد اتصلت بي أربع مرات ليلة أمس."
فردّ الشاب: "حسناً، ولكن تذكري: عندما لا يرن جرس الهاتف عندك أكون أنا على الخط."

ب.م.

خاص - ٤

هدية والد



هدية والد



ماذا تسمّي المرض عندما يضربك وأنت في السن الثامنة عشرة؟ أتسمّيه ظلماً أم قدراً؟ جان - مارك جايني تلقّى ضربة ضعضعته، لكنه انطلق في حرب لا هوادة فيها لاسترداد صحته. ولأن المرض أعطب كليتيه فهو كان في حاجة الى كلية جديدة تمنحه الحياة. تلك كانت هدية والده

"استيقظ! استيقظ!"

تناهت الكلمات الى سمعي عبر ضباب كثيف. أردت أن اتكلّم لكن الكلمات لم تخرج من فمي. أين أنا؟ سمعت همهمات وصراخاً ورأيت أشكالا بشرية ترفرف حولي. وأخيراً أمكنني ان أميّز بعض الاصوات المألوفة وان تكن مشوّشة.

"هل تسمع؟ إنها تعمل. لقد بدأت الكلية تؤدي وظيفتها للحال."

وشعرت أني أطفو الى السطح. وأحسست ثقلا في رأسي. أردت ان أتحرّك لكن جسدي تمرّد علي. وأخذت الاشكال حولي تتجسّد. خلت نفسي في حلم، إلا ان الالم الذي اخترق احشائي سرعان ما أعادني الى الواقع. حاولت أن أنظر الى مصدر الألم، فطالعتني ضمادات كثيفة برز منها أنبوبان وصل كل منهما بزجاجة.

بدأت أخرج تدريجاً من سباتي العميق، واستيقظت مراكز الالم، كل بدوره. أدركت أخيراً أن كليتيَّ التالفتين أبدلتا بكلية أخرى صالحة. لكنها ليست مجرّد "أخرى"، بل هي كلية والدي.

Condensed from «A Transplant for the Right to Live,» © 1981 by Jean-Marc Jahény and published by La Pensée Universelle, Paris. Illustration: Jeff Cornell

والدي؟ أين هو؟ حاولت أن أناديه، ولا بدّ من ان بضع كلمات خرجت من فمي لان احدى الممرضات جاءت اليّ وقالت: "والدك بخير وكل شيء سار على ما يرام."

فجأة اختلطت الامور في ذهني ثانية. أمور كثيرة حصلت وبسرعة كبيرة تجاوزت مقدرة عقلي على تسجيلها، خصوصاً بعد تلك السنوات الخمس الاخيرة الملأى بالشك والكوابيس.

بداية المحنة

كان ذلك في يوليو (حزيران) ١٩٦٦ وأنا على وشك إنهاء تدرّبي كاختصاصي بالادوات الكهربائية المنزلية. علمت ان مصنعاً لقولبة البلاستيك في لومان (فرنسا) بالقرب من منزلي كان في حاجة الى مستخدمين.

وقدمت طلبا وجاءني الجواب وفيه موعدان، أحدهما لاجراء مقابلة والثاني لفحص طبّي. أمر مضحك، لكنني شعرت بالخوف. كنت في صحّة جيدة لولا انتفاخ حول كاحليّ لاحظته منذ شهر.

"إخلع ثيابك،" جاءتني التعليمات في المستوصف وامتثلت ببطء وشعرت بألم في رأسي. ومن الغريب أن هذا الألم كان يعاودني في المدة الاخيرة وفي البقعة نفسها من مؤخر العنق.

"سوف أقيس ضغط دمك،" قال الطبيب وهو يلفّ الشريط حول ذراعي ويضغط المنفخ. وشعرت بانتفاخ الشريط وبنبض الدم في شراييني. وبدا الطبيب متعجباً وقال لي وهو يخرج: "استرخِ وسوف أعود بعد خمس دقائق."

مرّت الدقائق الخمس كأنها ساعات. وأخيراً عاد الطبيب وقاس ضغطي مجدداً. وأخبرتني ملامحه أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام.

"أنت في الثامنة عشرة من عمرك؟"

– نعم.

"حسناً، انما ضغطك الدموي هو ١٨ على ١٢ والضغط الطبيعي ١٣ على ٧. دعنا نفحص عينة من بولك."

وخرج الطبيب ومعه العينة ثم عاد بعد عشر دقائق وكان وجهه خالياً من أي تعبير.

وبادرني: "يجب أن تراجع طبيبك للحال. ربما الامر ليس خطيراً، لكنه يحتاج الى علاج سريع."

بعد ظهر ذلك اليوم قصدت طبيب العائلة وسلمته رسالة من طبيب المصنع. ورحت أراقب وجهه وهو يقرأها. لم تختلج فيه أي عضلة. فحصني بالسماعة من دون أن ينبس بكلمة ثم جسّ كاحليّ.

"هل مضى على هذا الانتفاخ وقت طويل؟"

– شهر أو ربما شهران.

بعد ذلك فعل ما فعله طبيب المصنع قبله: قاس ضغط الدم وأجرى تحليلا للبول وحصل على النتائج ذاتها. بدا قلقاً، وتضاعف خوفي.

– الامر ليس خطيراً، اليس كذلك يا دكتور؟

تردد برهة ونظر الي بانعام قبل أن يجيبني: "ربّما لا، ولكن يجب أن تدخل المستشفى."

وقعت كلمة "مستشفى" علي وقع المقصلة. فقلت باحتجاج: "انا لا أفهم."

"انك قطعاً في حاجة الى معالجة، لكنها لن تستغرق وقتاً طويلا. ليس اكثر من ثمانية أيام أو عشرة. من المحتمل أنك مصاب بالتهاب الكليتين."

– وماذا يعني ذلك؟

"انها جرثومة في الكليتين. ويمكن القضاء عليها من دون أي مشكل إذا ما اكتُشفت باكراً. لكننا نحتاج الى فحوص اكثر شمولا. لهذا السبب أود أن تدخل المستشفى."

سيطرة المرض

مكثت في المستشفى الاول ما مجموعه ثلاثة أشهر. وكانت الايام تنساب ببطء مريع. ولجأت الى القراءة بضع ساعات في اليوم، اما بقية الوقت فكنت امضيها في انتظار نتائج الفحوص اليومية. ونشأ بيني وبين مرضي نوع من الاتصال وشعرت به يستوطن داخلي ويستولي عليّ مع أني حاربته بكل قواي.

وظلّت حالتي على ما هي. وفي شهر سبتمبر (أيلول) تركت المستشفى بناء على رغبتي لانني كنت في حاجة الى تغيير الجو. وسمح لي الاطباء بالذهاب بشرط أن أتناول جرعات منتظمة من مضادات الحيوية (انتبيوتيك) التي سببّت لي حالا من الغثيان. وزاد الامر سوءاً انه تعين عليّ أن أتبع نظام حمية خاصاً يقضي بعدم تناول الملح في الطعام. ووجدت صعوبة في التقيّد بهذا النظام.

وفي شهر أكتوبر (تشرين الأول) أُجريت لي فحوص جديدة إثر ظهور دم في البول، وأبلغت أن حالي غير قابلة للشفاء.

وقال الطبيب لوالديّ: "ليس في وسعنا ان نفعل المزيد." وشرح لهما أن مرضي مزمن.وأن كليتيّ على وشك الانهيار. كنت مصاباً بالتهاب حادّ في الكليتين(١) وهو مرض خطير وغير قابل للشفاء.

لم أستطع تصديق ذلك، بل لم أرد أن أصدّقه. وعندما عدت الى البيت عزمت على التفتيش عن عمل وان أضرّ ذلك بصحتي. كنت راغباً في الحياة حتى لفترة وجيزة. فأنا لم اكن تجاوزت الثامنة عشرة من عمري.

وجدت عملا في مصنع للادوات الالكترونية. ولم أبخل على عملي بأي جهد، لكنني كنت أتعب بسرعة. ولم أود أن يرثي أحد لحالي، ولكن كان من الصعب اخفاء حقيقة وضعي. كنت أتقيأ باستمرار، ولم يكن الصداع يفارقني.

أما في البيت فقد تغيّر تصرّفي كثيراً. وبت اسمع شقيقاتي يشتكين: "انه ضيّق الخلق ونكد المزاج دائماً." وكنت أعلم ذلك. وحاولت جهدي أن أضبط نفسي لكنني لم أقوَ على ذلك. في هذه الاثناء لم يستسلم والداي للأمر ولم يسلّما بتقديرات المستشفى لفرص شفائي، وعادا الى استشارة طبيب العائلة الذي حوّلهما على اختصاصي اسمه الدكتور لوران(٢) يعمل في مستشفى فوش في سورين. وحُدد لي موعد في الثالث من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧.

ذهبت الى الطبيب برفقة والدي، وهو موظف في السكك الحديد الوطنية بفرنسا. وفي الثاني من يناير (كانون

(١) Subacute nephritis

(٢) أسماء الاطباء مستعارة.

الثاني) غادرنا لومان الى باريس حيث مكثنا عند أحد أعمامي. وكان والدي مرحاً، أما أنا فشعرت بتقلص في معدتي.

وللوصول الى سورين تعين علينا أن نركب القطار العادي ثم المترو. ولاح لنا المستشفى الى اليسار كتلة من الاسمنت الاصفر منتصبة تحت سماء زرقاء باردة. وجاء دوري بعد انتظار نصف ساعة فاستُدعيت الى غرفة الفحص ودخل والدي في اثري.

وجدنا في انتظارنا رجلا ابيض الشعر تلفّه هالة من الرقّة. بدا أبوياً وواثقاً من نفسه، وبادرني: "اخبرني والدك بحالك، ولقد قرأت الملفّ. استلقِ هناك."

أمضى وقتاً طويلا يجس كاحليّ المنتفختين ثم قال: "الامر خطير وعليّ أن أدخلك المستشفى."

حطام انسان

لم أجزع هذه المرة لدى سماعي كلمة مستشفى، لا بل شعرت بالارتياح لوجودي بين يدين أمينتين لطبيب يبعث الاطمئنان في النفس. وأقنعت نفسي بأن كل شيء سيمرّ بسلام.

كانت لغرفتي شرفة، ومن النافذة المطلّة على المدينة رأيت باريس كلها. كان مسموحاً لي بالتجوّل في أروقة المستشفى، وهكذا تعرّفت الى عدد من جيراني. وأمضيت معظم وقتي في القراءة، وسرعان ما انتهت إقامتي هناك.

أعلن الدكتور لوران: "لقد انتهينا يا بُنيّ وعملنا كل ما علينا. ستتناول البريدنيزون وهو دواء يستدعي مراقبة شديدة. وله أحياناً بعض التأثيرات الجانبية لكنها ليست فائقة السوء. عُد الينا بعد شهرين من أجل فحص عام."

وانقضى شهران ولا أسوأ.

التأثيرات الجانبية فاقت كل تصوراتي. كانت مريعة، بل ساحقة. انتفخ وجهي وتبدلت سحنتي يوماً بعد يوم. أصبحت عبارة عن رأس ضخم جاثم فوق جسد ناحل. وأرعبتني صورتي في المرآة، والادهى من ذلك كله أنني لم أشعر بأي تحسّن.

أسرعت في العودة الى المستشفى حيث بقيت ثلاثة أشهر. وحاول الاطباء طمأنتي زاعمين انها مجرّد مرحلة موقتة، ورددوا علي: "وجهك الجميل هذا سيعود كما كان."

وتساءلت: ما الذي حصل لوجهي؟ أصبحت حطام انسان. ومرت الايام والليالي وأنا مستلق في سريري أو جالس في كنبة. وحين استغرق في النوم بعد محاولات يائسة كنت أرى كوابيس فيها مسوخ ذوات رؤوس ضخمة.

كنا في شهر يوليو (تموز) وقد مضت سنة على مرضي. وأثارت كآبتي قلق الدكتور لوران فارتأى وقف البريدنيزون واقترح عليّ أن أمضي شهراً في مصح في هوت غارون فوافقت فرحاً.

غادرت المدينة في قطار باريس - تولوز السريع. كان وجهي ما زال منتفخاً غير ان الورم بدأ يخف، خصوصاً حول العنق، وهذا ما جعلني أشعر بتحسن ضئيل.

وصلت الى مصح قصر فيرن الذي يبعد ٤٠ كيلومتراً عن تولوز. إقامتي فيه

افادتني كثيراً، والنزهات في حدائقه الرائعة ولعب البولينغ على أرضه المكسوة بالعشب اشاعت في نفسي شعوراً بالعطلة. واستعاد وجهي شكله الطبيعي وارتفعت معنوياتي. وفي نهاية الشهر حضر والدي لاصطحابي الى باريس كي أخضع لبعض الفحوص.

استراحة قصيرة

رأيت مقدم الحافلة القديم وهي تقترب لاهثة. وسمعت صريف الكوابح ولاحظت الغبار الذي أطارته العجلات. وانفتح الباب وخرج منه ثلاثة ركاب تعلّق بصري كلياً بأحدهم، وكان والدي.

شعرت أني أراه بعينين جديدتين. نظرت الى الوجه الذي أحببت والى العينين اللعوبتين العابثتين في الرأس الذي اعتراه الصلع. وبقفزة واحدة كنت بين ذراعيه. وانسابت الدموع على خديّ وشعرت بدموع والدي أيضاً.

تناولنا الغداء معاً. ومع أن طعامي كان خالياً من الملح إلا أنني اقبلت عليه بشهية افتقدتها منذ زمن. وتبادلنا الحديث بشوق وحماسة، خصوصاً حول أخبار العائلة.

ذاك المساء توجهنا الى تولوز حيث اضطررنا الى الانتظار ساعتين قبل وصول قطار باريس وسألني أبي: "اذا كنت لا تشعر بتعب شديد، فلماذا لا تذهب في جولة في المدينة؟"

ووافقت بفرح. ومشينا. لم أشعر بكاطيّ ينتفخان. كنت في أحسن حال.

وصل القطار وانطلقنا في طريقنا الى باريس، الى مستشفى فوش. كانت مقصورتنا خالية ممّا أتاح لي فرصة للتمدد. ورحت أسترجع في ذاكرتي أحداث النهار دقيقة دقيقة. كان ذلك أجمل يوم قضيته منذ مرضي، وما زالت عيناي تغرورقان بالدمع كلما تذكرت عناقي الحار لوالدي.

أمضيت ثلاثة ايام في المستشفى وجاءت النتائج مرضية. شهر آخر من الراحة أعود بعده الى العمل، هكذا قال لي الدكتور لوران.

وهذا بالضبط ما فعلته. وفي شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ عدت الى عملي. وكانت صحتي تصعب علي العمل، لكنني أصررت على المداومة تسع ساعات في اليوم. كنت طموحاً أعمل حتى في العطل الاسبوعية، على ان الشعور بالارهاق عاودني من دون رحمة، وعاد اليّ التقيؤ بمعدل مرة كل يومين مصحوباً بصداع رهيب.

مرّت سنة على هذا المنوال خضعت خلالها لفحوص عامة كل ثلاثة أشهر. ومع نهاية السنة أرجعني الطبيب الى نظام حمية أكثر صرامة. حتى والداي لاحظا أن المرض تمكّن مني. وعلى رغم ان العمل أصبح عبئاً ثقيلا عليّ فانني لم أعطل وأصبحت على وشك الانهيار التام.

يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩.

ذات صباح بارد شعرت بارهاق شديد وبألم رهيب يطرق داخل رأسي. لكني نهضت وتهيأت للذهاب الى العمل. وضجت أصوات في رأسي وشعرت بغثيان وبسخونة في رأسي وبجليد في بقية أعضائي. يجب أن أفتح النافذة... يجب ان اذهب الى العمل... ولفّني فراغ مطلق.

عدت الى وعيي في مستشفى ألفته جيداً. وجاء الدكتور لوران يعودني وجلس على حافة السرير وأخذ يدي بين يديه ونظر في عيني وسألني: "هل تعرف ما هو الزرع؟"

– سمعت به. ولقد التقيت عدداً من المرضى الذين أُجريت لهم هذه الجراحة هنا.

"وكيف وجدتهم؟"

– في حال جيدة. ما الذي تبغي قوله يا دكتور؟

"لقد توقفت كليتاك عن العمل، او انهما على وشك التوقف. علينا أن نفكّر بجراحة زرع."

ومع أنه تكلّم برقّة إلا ان كلماته أحدثت دوياً داخل رأسي ولم افقه لها معنى، لا بل رفضت أن أفهم، ولم استطع لملمة تفكيري فبكيت.

المرحلة ما قبل الاخيرة

لا بدّ من أنني بكيت الى أن غلبني النوم. وكان رأسي ما زال يؤلمني عندما استيقظت. أردت ان أنادي الممرضة لكني تريثت قليلا. ان ثقتي كبيرة بكرم الاطباء الذين تولوا معالجتي وبانسانيتهم كذلك. انهم لن يدعوني أموت وعملهم لن يكون سهلا ما لم أساعدهم.

في الاسابيع التي تلت أُخضع والداي لفحوص شتى وأجريت لهما تحاليل بول ودم وأدركت أنهما صمّما على التبرّع لي بكلية. وأبى عقلي تقبُّل الفكرة مع ان جسدي تاق اليها. ومعرفتي الوطيدة بوالديّ اكدت لي أن شيئاً لن يثنيهما عن عزمهما، وان عملهما ذاك كان بالنسبة اليهما محتوماً ومنطقياً. فهما منحاني الحياة مرة، ومن الطبيعي جداً في نظرهما أن يمنحاني إياها مرة ثانية.

أنا لم يكن لدي ما أخسره، لكن هذا القول لا ينطبق على والديّ. أردت أن أتأكد من عدم تعرضهما لأي خطر أو سوء، طبّياً أو جراحياً. وبعد معاناة طويلة أجبرت نفسي على مناقشة الامر مع الدكتور لوران. كان جوابه قاطعاً وصريحاً: "والداك ليسا في خطر البتّة. والاثر الوحيد الذي ستتركه الجراحة ندبة بسيطة. يجب أن توافق على إجراء الجراحة."

كان الطبيب في منتهى الحزم بالنسبة الى نقطة أخرى. قال لي: "قبل أن نقرّر إجراء الزرع وقبل أن نختار متبرعاً، يجب أن نرسلك الى مصحّ مجهّز بكلية اصطناعية تعالج بواسطتها. فمن الضروري جداً تطهير كليتيك وجعلهما تعاودان وظيفتهما الطبيعية موقتاً."

ونقلتني سيارة اسعاف الى العيادة وبدت غرفتي الزرقاء هادئة ومريحة تحت أشعة الشمس التي دخلتها من النافذة. وجاء رجل في الاربعينات وقدّم نفسه: "انا الطبيب المناوب. بعد الظهر سنجري لك ديلزة صفاقية(٣). لا تقلق، انها مسألة بسيطة."

"لا تقلق!" عبارة بسيطة، لكن عقلي المضطرب وجد فيها خداعاً وتضليلا. ومع أني لا أجزع بسهولة إلا انها جعلتني أتوجّس شراً. ثم استمعت الى شرح عملية

(٣) Peritoneal dialysis. والصفاق هو الغشاء المصلي الشفاف المبطن للتجويف البطني.

الديلزة الصفاقية: انها إجراء لنزع السموم من الدم، تنوب الكلية الاصطناعية أثناءه عن الكليتين الطبيعيتين للتخلّص من مادة البولة (urea). والاسلوب المتّبع هو بسيط فعلا، والعمليّة تتطلّب ادخال محلول ملحي خاص الى البطن بواسطة إبرة، فيتولى هذا المحلول امتصاص البولة الفائضة من التجويف الصفاقي قبل ان يسحب خارج الجسم بابرة ثانية حاملا الفضلات.

ربما هو فعلا أسلوب بسيط، إلا انني كنت مُحقّاً في التخوف منه. ففي كل عملية تصريف كنت أشعر بألم رهيب يعصر صدري. وطال ليلي. وشعرت بعطش شديد لكن الشرب كان محظوراً عليّ. وتُقت الى النوم لكنه جفاني.

انتهت العملية عند منتصف الليل وأُنزل الجهاز. "تهانينا! " قال الطبيب، واضاف: "لقد انخفضت نسبة الحمض البولي على نحو ملحوظ، والآن يمكننا ان نثبّت تحويلة (shunt) من اجل اجراء جلستي ديلزة كل أسبوع."

رحلات مكوكية

للتحويلة التي تمّ زرعها في ساعة متقدمة من بعد ظهر اليوم التالي تحت مخدّر موضعي مبدأ بسيط: تدخل أنابيب بين شريان ووريد في أسفل الذراع وتوصل عبر خرطوم خارجي بالكلية الاصطناعية التي تنقي الدم.

بعد ذلك يغطى الجهاز كله بالشاش المطهّر الجاف الذي يمكن نزعه بسهولة من أجل مراقبة الخرطوم. والمراقبة مهمّة جداً لانها تساعد في تجنب ثلاث مضاعفات محتملة: الورم الدموي والنزف والجلطة.

ولم أكن أخشى الورم الدموي والنزف لانهما لا يحصلان الا اثناء الديلزة، وهي عملية تستدعي مراقبة طبّية مكثفة. أما الجلطة فيمكن أن تتكون في أي وقت بسبّب الدم المتخثّر انسداداً في الانابيب. لذا كان عليّ ان أجري فحصاً ذاتياً ثلاث مرات في اليوم لاكتشاف أي تخثر يمكن أن يؤدي الى انسداد وبالتالي الى جلطة.

لون الخرطوم، في حاله الطبيعية، أحمر صاف خال من أي رقشة سوداء أو مصل مصفر، وملمسه دافىء وهذا يعني أن الدم يجري فيه كما يجب. وكانت التعليمات تقضي بأن أستدعي الطبيب عند أقل ارتياب.

هذه التدابير أخرجتني من دائرة الخطر. حتى نظام الحمية عن الطعام أصبح أقل صرامة. وأحسن ما في الامر أنه بات في وسعي أن أقضي في البيت الوقت الفاصل بين ديلزة وأخرى.

مضى على هذه الحال شهران وعلى مرضي نحو ثلاث سنوات. وأصبحت الديلزة محفوفة بالمشاكل وتضاءلت طاقتي على تحملها. وتكرر انسداد التحويلة بين جلسة وأُخرى مما استدعى انتقالي الى باريس من أجل ازالة التخثر منها. وأرهقتني تلك الرحلات المكوكية.

آخر يونيو (حزيران) ١٩٦٩.

كان الطقس حاراً. وأثناء وجودي في العيادة لتلقي العلاج قال لي الطبيب: "كلّمني الدكتور لوران. ابتداء من الغد

سنجري لك سلسلة من الفحوص والتحاليل هي الاجراءات الاولية التي تسبق الزرع."

دخل والدي المستشفى في الاسبوع التالي ومكث أربعة أيام أجريت له فيها بعض الفحوص. اذاً هو من سيتبرع لي بكليته.

وثرتُ على الفكرة مجدداً. وللمرّة الثانية أقنعني الدكتور لوران بحججه.

كان الطقس رائعاً في ١٤ يوليو (تموز)، وهو عيد اقتحام سجن الباستيل. ومن سطيحة المستشفى ذلك المساء شاهدت الالعاب النارية فوق باريس: أنواراً متفجّرة تتلألأ في السماء السوداء وتضيء زوايا المدينة. كان الهواء رقيقاً ورطباً وكأنه ينبئُ بعاصفة.

وفي اليوم التالي التقيت الدكتور كوستر بوجهه المتألق بالحيوية والنشاط وشعره الاشقر الذي وخطه الشيب. فخاطبني: "سأجري لك الجراحة غداً، وكل شيء سيكون على ما يرام. سترى."

بعد ذلك جاء اختصاصي التخدير وأجرى لي فحصاً بالسماعة وردد بعض كلمات التشجيع ثم انصرف. حاولت ان استغرق في القراءة لكنني لم أستطع التركيز. فتوجهت الى الغرفة ٦٢١ حيث أنزل والدي وتحدثنا في كل شيء الا في جراحة اليوم التالي. بدا سعيداً، الا أنني كنت على يقين أنه قلق عليّ.

ظهر ١٦ يوليو (تموز) جاء الممرضون يحضرونني للجراحة. فألبست قميصاً أبيض وخفّين أبيضين وأُعطيت العقاقير التي تُعطى عادة قبل الجراحة. وشعرت بفراغ في رأسي، وبدأت أرى الممرضين عبر ضباب لفهم وهم يأخذونني الى غرفة العمليات.

سمعت احدهم يقول: "سننزل الآن."

وسألتهم: "وأبي؟"

فأجابوني: "مضى عليه اكثر من ساعة في غرفة العمليات."

سواعد قوية دفعت العربة النقالة. وفُتح باب ودخلنا غرفة كبيرة بلاطها أخضر والاطباء داخلها في ثياب خضراء. سواعد أربع رفعتني الى طاولة العمليات، ومن خلف القناع كلمني الدكتور كوستر: "سأجعلك تنام."

طعم لاذع ملأ فمي. أبي...!

الحليفة والصديقة

"حسناً يا بُنيّ، كل شيء مرّ بسلام. انك الآن انسان جديد."

- شكراً يا دكتور لوران. وأبي، كيف حاله؟

"انه بخير ويمكنك أن تراه قريباً. والآن يمكننا أن ننزع هذه التحويلة. أنت لم تعد في حاجة إليها على ما أظن. وحالما يصبح في وسعك تناول الطعام، يمكنك أن تأكل منه ما تشاء، اذ سنعيدك الى نظام الغذاء الطبيعي. في أي حال يمكنك أن تشرب الآن."

قال هذا وخرج من الغرفة والسرور باد عليه. وغمرتني سعادة اشتقت اليها منذ زمن طويل.

ضمادات كثيفة لفّت بطني الذي حمل ثلاث ندب: جرحاً في الوسط امتدّ من قاعدة الصدر الى أسفل البطن، وجرحين جانبيين صغيرين خرجت منهما أنابيب.

وعلمت في اليوم التالي أن جراحة

أخرى لزرع كلية أُجريت في اليوم نفسه الذي أخضعت فيه أنا للجراحة، لكنها لم تنجح لأن جسم المريض نبذها.

وغرزت كلمة "نبذها" في ذهني. وفي انتظار نتائج فحصي الدم والبول اللذين أجريا لي كل يومين كنت أشعر بدوار شديد وتملكني قلق رهيب. وأصبحت ميداناً لمعركتين من نوع جديد: واحدة لاسترداد مناعتي وأخرى لاسترداد معنوياتي. على انني خضت الحرب من موقع قوة لأن كليتي الجديدة، وهي سلاحي الرئيسي، أعطيت لي بكثير من المحبة، ولن ينبذها جسدي لأنه يدرك أنها حليفته وصديقته وليست عدوة.

في اليوم الثالث انتُزعت ابر المصل من أوردتي وبقي المسبار (probe) وأنابيب التصريف. على أن هذا لم يثنني عن التوجه وحدي الى غرفة والدي. وما ان قطعت الامتار العشرين بين غرفتينا حتى باغتني ألم كطعن الخنجر في رأسي كان توقف بعد الجراحة، فارتميت في أقرب كرسي في الغرفة.

وفتحت عيني، فرأيت والدي راقداً في سريره والفرح يشعّ من وجهه. ونظر الواحد منا الى الآخر ثم ضحكنا.

قال: "لم تضع أي وقت."

– كيف حالك؟

"انني بخير. مجرّد ألم في الرأس. وأنت؟ يقولون لي ان كليتك تعمل جيداً."

كليتك. نطقها هكذا وكأنها فعلا ملكي. أنا أيضاً شعرت انها ملك لي. وفي أي حال، كان أقصى ما أتمناه هو أن يحتضنها كياني كلّه ويتبنّاها.

مرّت الايام بعد ذلك رتيبة وبدأت أستعيد قوتي وأتناول الطعام. وأظهرت التحاليل أن كليتي تعمل على نحو جيد جداً. وشاركني الاطباء في بهجتي. كل شيء بدا مختلفاً، ورحت اكتشف العالم من جديد: الناس والطعام ونور الشمس، حتى الحياة نفسها. كنت كمن يولد ثانية.

حياة جديدة

في غياب أي مضاعفات غادر والدي المستشفى بعد أسبوعين. اما انا فبقيت اشعر بألم مبرح في منطقة الكلية. ومع أن التحاليل والفحص بالاشعة لم تظهر شيئاً، فان الاطباء أشاروا علي بجراحة استكشافية وحددوا موعداً لها.

وعندما استعدت وعيي بعد الجراحة الثانية – وهذه المرّة كان الامر أسهل بكثير – أُبلغت أن كل شيء طبيعي وأن الامر لم يكن سوى انذار خادع.

اليوم الحادي والعشرون.

جسدياً، شعرت بحال جيدة، وملأت أيامي بالقراءة وبلعب الشطرنج وأصبحت شهيتي شديدة فكنت أجبر نفسي على التمهّل في ازدراد الطعام. ورحت أقوم ببعض التمارين الرياضية لأقوي عضلات بطني، وكل صباح اهبط السلالم الست قاصداً كشك الصحف ثم أعود واصعدها. وعادت الي قوتي تدريجاً ولم يعد نفَسي ينقطع ولم تعد ساقاي كالمطاط تحتي.

وفي اليوم الستين أعطيت اجازة ثلاثة أيام. وذكرتني إحدى الممرضات: "لا تنسَ ان تعود يوم الاثنين."

وصل والدي لاصطحابي بعد ظهر ذلك اليوم. وفي طريقنا الى المحطة توقفنا نصف ساعة في أحد مقاهي الارصفة.

وصعدنا القطار الذي انطلق بنا. وعلى ايقاع العجلات نظمت أغنية رحت ارددها: "إني شفيت... اني شفيت."

في لومان ركبنا سيارة أجرة. الى أين؟ الى البيت! الى بيتنا! استقبلتنا والدتي وأخواتي على السلم بهرج ومرج وصيحات ودموع ونشيج. يا له من استقبال حافل!

وسألتني والدتي: "ماذا تبغي للعشاء؟"

- فاصولياء.

بعد ثلاث سنوات من الحمية وجدت طعم الفاصولياء ولا أشهى. لكنني أقبلت على الطعام بوجل. هل سينتفخ كاحلاي كالعادة كلّما "خبصت" الطعام؟ هل سيعاودني الصداع؟ هيا، انسَ الماضي يا فتى. انك الآن انسان طبيعي. انسان في صحته الكاملة.

في المستشفى، يوم الاثنين التالي، جاءت النتائج ممتازة وأعطيت "علامة" ١٠٠ وقيل لي اني لا أختلف عن اي انسان آخر له كليتان طبيعيتان.

على انني لم أخرج بعد من نطاق الخطر.

لمسات أخيرة

سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩.

عدت الى المستشفى لاجراء فحص عام. وعشية اليوم السابق لمغادرتي اياه جاءني الدكتور غوتييه، أحد مساعدي الدكتور كوستر، وغليونه في يده. كانت عيناه تبتسمان على رغم التواء في زاويتي فمه.

"علينا ان نجري لك جراحة أخرى."

- لماذا؟

"تصوير قناة البول أظهر بداية تضيُّق في الحالب (٤)."

استحوذ عليّ خوف كدت أنساه وطلبت من الطبيب شرحاً لما قاله.

أجاب: "أنت تعلم أن الحالب هو القناة التي تحمل البول الى المثانة. وهذه القناة هي، في حالها الطبيعية، ضيّقة. والذي حصل أننا لاحظنا لديك انقباضاً في نقطة منها، وهي حال تُعرف بالتضيّق وتستدعي اجراء جراحة لا تنطوي على أي خطر. بالطبع هي جراحة دقيقة، لكنها ممكنة."

ولاحظ الطبيب مبلغ اضطرابي فأضاف: "لا تقلق. الدكتور كوستر سيجري لك الجراحة. فهو كغيره من الفنانين يحتاج الى وضع اللمسات الاخيرة على اعماله لتخرج من يديه غاية في الكمال."

انقضى على الجراحة يومان وجاء الدكتور لوران ليعودني وربت يدي. فسألته: "ماذا عن كليتي يا دكتور؟"

فرد: "كل شيء على ما يرام، وكليتك تعمل بانتظام. ولكن يجب أن تحترس. تجنّب الحركة ليبقى المسبار في موضعه أطول فترة ممكنة."

أسبوعان من الألم أعقبهما شعور بحريق لاهب وحاجة مفاجئة وعنيفة الى التبويل ما لبثت أن خفت. وأخيراً جاءني الجواب الذي طال انتظاره وتقت الى سماعه. لقد أظهرت صور الاشعة لمجاري البول أن "كل شيء حسن والكلية تعمل تماماً وليس من مشكلة في الحالب."

أُبلغت أنني في حاجة الى شهرين من النقاهة قبل أي تفكير في العودة الى

(٤) Ureteral stenosis

العمل. أما كمية البريدنيزون فستنقص تدريجاً لتصل الى عشرة مليغرامات يومياً، وهي جرعة عليّ أن أتناولها طوال عمري.

وغادرت المستشفى وحدي هذه المرة. ولم أشعر بخوف. فكليتي الجديدة حرصت على البقاء معي بمقدار ما حرصت على الاحتفاظ بها.

مفاجأة مرة

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩.

أمضيت عيد الميلاد مع العائلة ومع بياريت رفيقة الطفولة التي عرفت كل تفاصيل معاناتي واصبحت بمثابة فرد من العائلة. كنت في حال جيّدة وليس ما يحول دون استمتاعي بوجبة شهية.

وجاءت نتائج الفحص النهائي في مستشفى فوش جيدة ففتحت امامي طريق العودة الى العمل. تلك الاشهر الثمانية الخالية من أي نشاط جسدي تركت آثارها، ولكن مع مرور الايام عدت قادراً على العمل ثماني ساعات في اليوم من دون انزعاج.

أهم حدث ميّز الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٧٠ عزمنا أنا وبياريت على الزواج. حددنا موعد العرس في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ وهو يوم عيد مولدي الثاني والعشرين.

كان العرس مناسبة للفرح وكنّا غاية في السعادة وهو لم يكن مجرد احتفال، بل قمة انتصار كبير تضافرت كل جهود العائلة لتحقيقه بعزم نابع من اليأس.

إلا ان جعبة الحياة لم تفرغ من المفاجآت المرة.

ففي شهر يونيو (حزيران) قضت شقيقتي مونيك في حادث سيارة وهي لم تتجاوز ربيعها السابع عشر. ومرّت علي أيام رهيبة. لماذا خطف الموت هذه الصبية التي أحبّت الحياة كثيراً؟ لو كنت أنا من اختارته المنية لبدا الامر طبيعياً أكثر.

على ان ما قالته لي والدتي يوم الجنازة ما زال صداه يتردد في ذهني: "لن تصاب بنكسة، يا حبيبي، ليس لك الحق في ذلك."

شدت هذه الكلمات عزيمتي. كنت مرتبطاً بعقد عليّ أن أنفذه، والاستسلام ليس من حقي. من أجل والديّ، وأبي بالتحديد، كان علي أن أفي بالتزامي.

أكملنا مسيرتنا في الحياة بالتي هي أحسن.

وحلّ العام ١٩٧١. لقد انقضت ستة اشهر وكنت في اتم الصحة. وأعدت طلي المنزل الذي استأجرته أنا وبياريت وفرشنا ارضه بالسجاد. لم يكن لدي متسع من الوقت لانجاز كل ما تقت الى اكماله.

ودرجنا على تناول طعام الغداء كل يوم أحد في منزل والدي، مما اتاح لهما أن يراقباني عن كثب. وكل أحد كنا نتبادل عبارات كأنها شعائر مرسومة، فكانا يسألانني: "هل أنت بخير؟"

فأجيب: "بالتأكيد، أنا كما تريان قوي كجبل إفرست."

- انما يبدو عليك التعب.

"التعب؟ لا، أبداً. انني ممتلىء نشاطا."

بهذا كان ينتهي الاستجواب حول صحتي. وكنت أعرف أن أبي لا يرغب في

اطالة هذا الحديث. كان يكتفي بالنظر الي، فأقرأ في عينيه فرحاً عظيماً ممزوجاً بالفخر.

واشتريت وزوجتي قطعة أرض في الريف لنشيد عليها منزلا. وللحال غرقت في العمل الشاق. كنت أملأ عربة اليد بالاسمنت والخشب والاكياس وأجرها. كانت ارادتي اقوى من جسدي الذي طالما رجاني لاتوقف. والواقع اني كنت اسجّل أول انتصار لي من دون مساعدة أحد.

ثم اعتدت الجهد الجسدي ولم أعد أشعر بألم في عضلاتي من جراء العمل. وجاءت نتائج الفحوص جيدة وكانت كليتي تعمل حسناً على رغم الاجهاد الذي تعرّضت له.

وانتقلنا الى البيت الجديد بعد أربعة أشهر من العمل المضني.

وجه في الذاكرة

كان شهر فبراير (شباط) من العام ١٩٧٦ بارداً ومثلجاً. عدت من عملي الى المنزل واصطحبت زوجتي الى السوق. بدا كل شيء طبيعياً في ما عدا شعور داخلي غريب.

في طريق عودتنا الى البيت عرجنا على أصدقاء لنا في لومان لنأخذ سيارتنا الثانية التي تركناها عندهم. كانت السيارة متوقفة في مرأب خاص خلف المنزل. وما ان اقتربنا منها حتى لفتتني رقعة من الورق مثبتة تحت مسّاحة الزجاج الامامي. فتوجست شراً وتملكني رعب غريب وراحت يداي ترتجفان ولم أجرؤ على التقاط الورقة.

حملت الرسالة توقيع اصدقائنا أصحاب المنزل، وكل ما فيها كان هذه العبارة: "الرجاء الاتصال بنا حالا."

وخلت الامتار القليلة الفاصلة بين المرأب والباب الامامي للمنزل كيلومترات.

سألتهم ما الامر.

فجاء الجواب موجزاً ومتقطعاً: "حصل حادث في محطة السكة الحديد حيث يعمل والدك، وعليك ان تتوجه حالا الى منزل ذويك."

لم نجد أحداً في منزل والديّ. فاندفعنا الى محطة السكة الحديد حيث رحّب بنا أحد الحرّاس. فبادرته: اسمي جايني وأريد بعض المعلومات عن الحادث. أظن أن والدي بين المصابين.

رفع الحارس سماعة الهاتف ثم ادار القرص وانتظر قليلا ثم سمعته يقول: "عندي سيد اسمه جايني، وهو يريد ان يستعلم عن الرجل الذي أصيب عندنا. انتظر قليلا، سأدعه يكلمك."

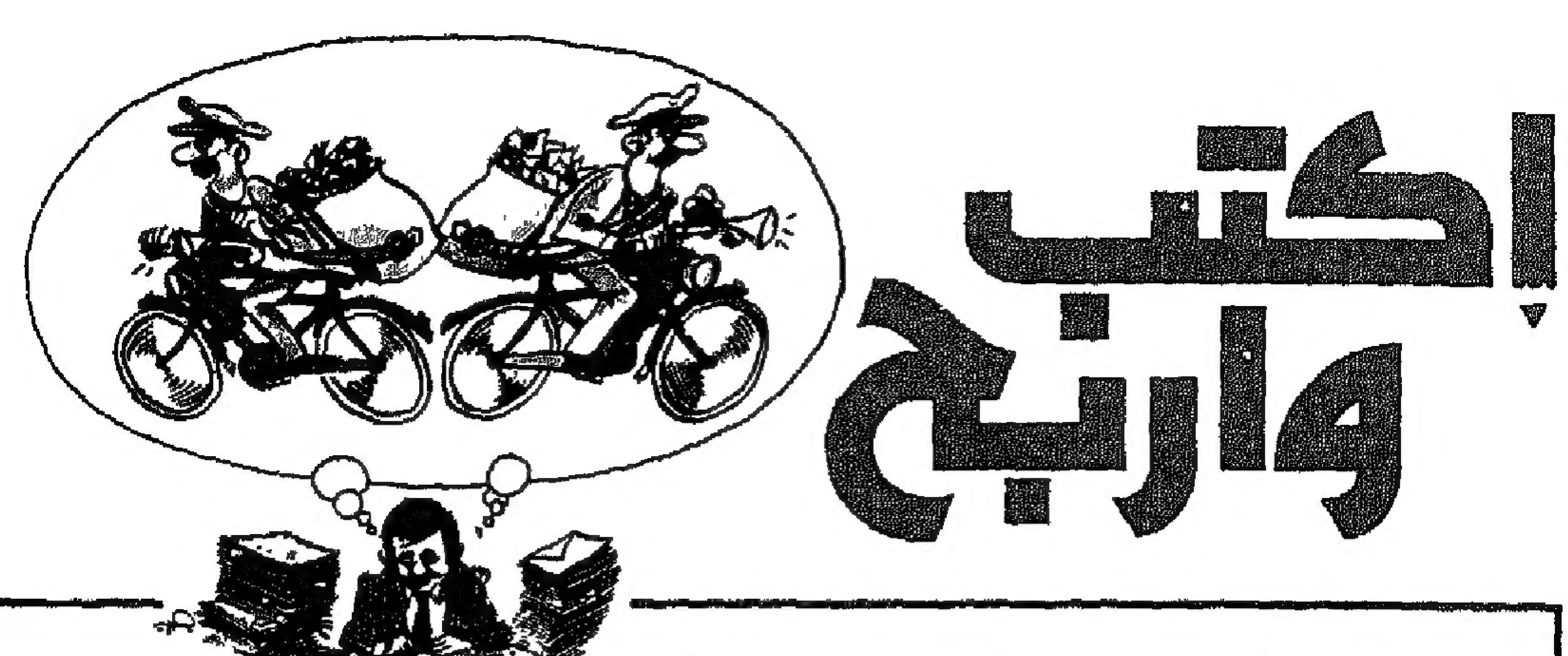
انتزعت سماعة الهاتف بانفعال لأسمع ما خشيت أن أسمعه: "حالما اكتشفنا الحادث نقلنا جثمان السيد جايني الى البراد."

استندت الى بياريت ونحن في طريقنا الى الخارج. لن أرى بعد الآن وجه أبي الباسم وعينيه العابثتين ولن أسمعه يروي النكات التي طالما أضحكته. لقد رحل أبي، لكن وجهه سيظل محفوراً في ذاكرتي، وسيظل جزء منه حياً فيّ يمدّني بالحياة.

شكراً لك مرة أخرى يا أبي.

جان - مارك جايني ■

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدادات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.



"قاطفة الدراق" للفرنسي إيف غان